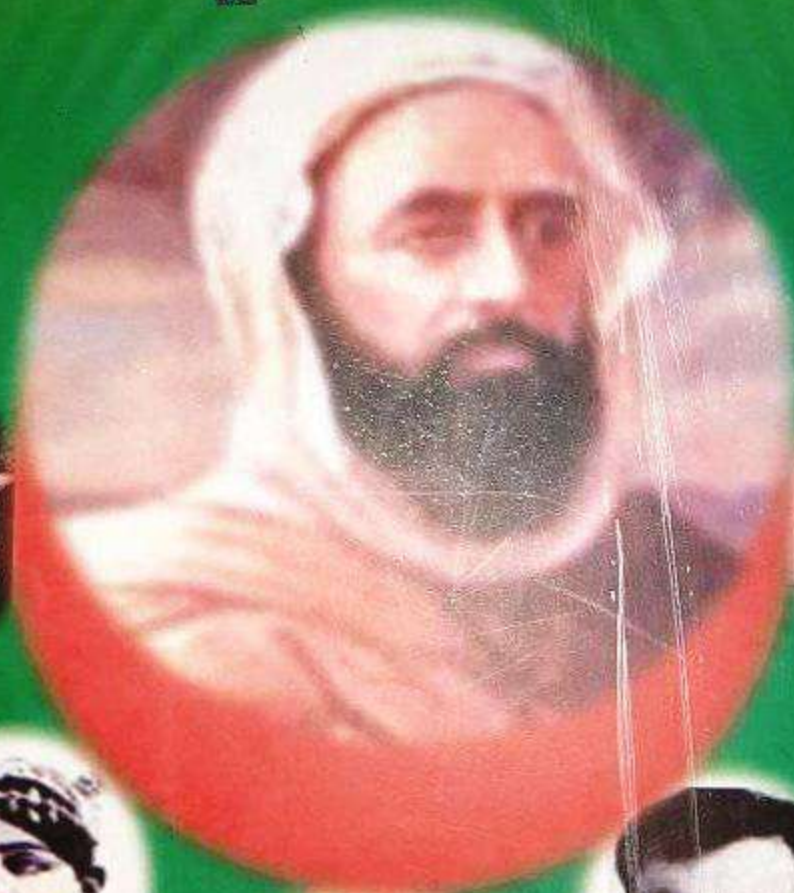


تأليف: أسيا تميم

الشخصيات الجزائرية

100 شخصية



دار المسك

ملحوظة: هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة 2008 في إطار الصندوق الوطني
لترقية الفنون والآداب

دار المسك للنشر والتوزيع
حي آفاق وبحر رقم 37
الجزائر الشاطئ، برج البحري، الجزائر

© جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع القانوني: 4978 - 2008
ردمك: 9- 21 - 928 - 9961 - 978

مقدمة

من المعلوم ان التراجم لأعلام الفكر والأدب والملوك والأمراء قد بلغت في تاريخنا قديماً جداً وما المصنفات التالية إلا دليل واضح عليها :

- 1 مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ أو كتاب إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لمؤلفه شهاب الدين عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الأصل، الحموي المولد البغدادي الموطن والمشهور بياقوت الحموي
- 2 مراتب النحويين وهو من الكتب الأساسية الوائلة في تراجم علماء اللغة والنحو لمؤلفه أبو الطيب، عبدالواحد بن علي اللغوي (ت 351هـ، 962م) من علماء اللغة في القرن الرابع الهجري.
- 3 الشعر والشعراء من أقدم الكتب التي صُنِفَتْ في تراجم الشعراء ألفه أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ، 889م) أحد أئمة القرن الثالث الهجري.
- 4 نُزْهَةُ الْأَيْبَاءِ في طبقات الأديباء كتاب في تراجم اللغويين والنحويين والأدباء ألفه أبو البركات، كمال الدين، عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت 577هـ، 1181م) من كبار علماء النحو .
- 5 إنبئة الزوارة على أئمة النحلة كتاب يُعَدُّ من أهم المصنفات التي تناولت تراجم علماء العربية. ألفه أبو الحسن، حمد الدين بن يوسف القفطي (568 - 646هـ، 1172 - 1248 م). والكتاب معجم شامل لتراجم أعلام اللغة والنحو منذ القرن الأول الهجري وحتى زمان المؤلف، منتصف القرن السابع الهجري. وهو كتاب كبير يمتاز بسداد المنهج وجودة التصنيف وغزارة اللغة.
- 6 طبقات النحويين واللغويين مُصَنَّف من المصنفات القديمة والمصادر الأصلية لتراجم النحلة وعلماء اللغة. وضعه أبو بكر، محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت 379هـ، 989م).

7- المخيرة في محاسن أهل الجزيرة كتاب ألفه أبو الحسن علي بن بسلم التغلمي الشنتريني (460 - 542هـ 1067-1147م). من أعلام الكتاب والنقاد الأندلسيين في القرنين الخامس والسادس الهجريين

8- المؤلف والمؤلف كتاب في أسماء الشعراء العرب وكُنُاهم وألقابهم وبعض أسمائهم ألفه أبو القاسم الحسن بن بشر الأملئي (ت 370هـ 980م)..

هذا على سبيل المثال لا الحصر وهذا ما حكان مشهورا معروفا لدى الكثير من المثقفين ، والحقيقة ان سبب تألف مثل هذه الكتب يرجع أساسا لحفظ ذاكرة الامة وتسهيل البحث والافلا ..

ولا تختلف التراجم عن السير والسير الذاتية إلا من الناحية التقنية فنجد ان الترجمة قد تعني بجمع كتب من عصر وان من صنف واحد وربما كانت العملية تتم عن طريق جعلهم في ترتيب معجمي أو تلويحي ...

اما السيرة وهي دروب من دروب الادب فتعني بشخصية واحدة تأخذها في تفاصيلها ..

والسيرة لغة الطريقة والمهنة، وسار فلان سيرة حسنة: إذا سلك في حياته مسلكاً حسناً. وسير سيرة: حدثت أحداث الأوائل. أما في الاصطلاح، فالسيرة نوع أدبي يعرف بحيلة عَلم أو مجموعة من الأعلام. وهي قسمان: السيرة وهي قصة حياة شخص يكتبها شخص غيره، والسيرة الذاتية وهي قصة حياة شخص يكتبها بنفسه عن نفسه. وهناك أنواع كثيرة من السير منها السيرة الشعبية والتاريخية والأدبية. وتعد تراجم الأعلام سيراً، إلا أنها مختصرة تتناول أهم الأحداث في حياة المترجم له.

وقد عرف تراث الأدب العربي سيراً شتى، في مقلعتها سيرة النبي لابن هشام، ثم سير الشخصيات الأخرى، مثل سيرة ابن طولون، للبلوي، وسيرة صلاح الدين لابن شداد.

ولعل ابن زولاق المؤرخ (ت 387هـ 997م) من أنشط من كتبوا في سير الآخرين، إذ كتب سيرة سيهويه المصري، وهو شخصية غريبة الأطوار ولا تخلو من طرافة كما كتب أيضًا مجموعة سير أخرى مثل سيرة الإخشيد و سيرة جوهر الصقلّي و سيرة المعز لدين الله الفاطمي، وباستثناء سيرة سيهويه وأجزاء من سير أخرى، فإن مؤلفات ابن زولاق لم يُعثر عليها. ومن الواضح أن صفة التاريخ لا الأدب كانت الصفة التي حكمت مؤلفات ابن زولاق وطائفة أخرى من كتّاب السّير، ومن هنا عدّت هذه السّير مصادر للمؤرخين أكثر منها لمخارج أدبية. ومع هذا، فإن هذه السّير كانت تمثل تيارًا قويًا غزير الإنتاج، عُرف من بين كتّابه عدا ابن زولاق أسماء أخرى، مثل: ابن عبد الحكم، وابن النّاية، والبلوي، واليازوري وزير المستنصر الفاطمي بمصر، وعبي الدين بن عبد الظاهر وابن دقمق والعيني، وقد حظيت مصر بنصيب وافر من كتابة السّيرة التاريخية.

كان ما مضى من كتب السّيرة، قد كان، كما أوضحنا، يمثل سيرة الآخرين، لا سير الكتّاب أنفسهم. فإنّ الأدب العربي قد عرف نوعًا آخر من السّير هو السّيرة الذاتية أي السّيرة التي يؤلفها الكاتب بنفسه عن نفسه مثل سيرة أسامة بن منقذ (ت 584هـ 1188م، وسيرة ابن خلدون التي كتبها تحت عنوان التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا، وهي كما يتضح من العنوان، مزيج من أدب السّيرة الذاتية وأدب الرحلة. واعتبارًا من القرن الخامس الهجري تزايد نشاط الكتّاب في كتابة سيرهم الذاتية، وشاع هذا اللون من التأليف، الذي تمثله طائفة من العناوين منها: طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم (الظاهري) (ت 456هـ 1063م) فقيه الأندلس وأديبها، ومنها: المنقذ من الضلال للإمام الغزالي (ت 505هـ 1111م)، ومذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بفرناطة. هذا بالإضافة إلى سير كل من ابن سينا الفيلسوف وموفق الدين البغدادي، وعلي ابن رضوان الطبيب المصري، والفخر الرازي، وعمارة اليمني، ولسان الدين بن الخطيب، والسخاوي، والسيوطي.

وفي العصر الحديث نجد تملج مختلفة من سير الآخرين، والسير الذاتية، وقد دخل فن السيرة بنوعه في العصر الحديث نطق الأدب، ولم يعد أخباراً محكمة، ولا أحداثاً تاريخية، ولكنه قام على عنصر الحقيقة والواقع، في بناء فن متماسك، وبلغه أدبية، تجعل السيرة فناً أدبياً لا عملاً تاريخياً، وإن داخلها شيء من الخيال وصناعة الفن.

من أهم كتب السيرة للآخرين في الأدب الحديث عبقریات العقلا الإسلامية، وكتبه عن ابن الرومي وجبل بئنة، وعمر بن أبي ربيعة، وكذلك بعض ما كتب طه حسين، مثل: على هامش السيرة الشيعية، أما كتب النوع الآخر وهي كتب السيرة الذاتية في الأدب الحديث فمنها: كتاب السلق على السلق في ما هو الفريق لأحمد فارس الشديق، وهي أول سيرة أدبية في العصر الحديث؛ والأيام لطف حسين؛ وأيامي لأحمد السباعي، ثم ما كتبه توفيق الحكيم مثل: يوميات نائب في الأرياف؛ وسجن العمر؛ وزهرة العمر؛ وحياتي لأحمد أمين.

ومن الباحثين من يرى أن كتاب الأيام لطف حسين يعد أكمل ترجمة ذاتية في الأدب الحديث، كما أن كتب جبران لميخائيل نعيمة أكمل سيرة أدبية عن الآخرين.

في السنوات الالف الأولى من تاريخ النصرانية وضعت تراجم أو سير كثيرة تدور كلها على حياة القديسين، ولكن السيرة لم تصبح فناً قائماً بذاته، في أوروبا، إلا في القرن السابع عشر الميلادي، ولعل حياة صمويل جونسون (1791 م) لجيمس بوزويل هي أشهر السير التي عرفت في الآداب الأوروبية في القرن الثامن عشر الميلادي. وفي القرن التاسع عشر كتب جيمس أنتوني فروود المؤرخ الإنجليزي، سيرة توماس كارليل (1882-1884 م) تناول فيها الجوانب الشخصية والعلمية في حياة كارليل، ثم ازدهر هذا الفن في القرن العشرين، حيث كتب المؤلف الإنجليزي هليز بلوك سيرة ماري أنطوانيت (1909 م) وفي أمريكا كتب كارل ساندبيرج سيرة أبراهام لنكولن (1939-1926 م) وفي فرنسا

اشتهر أندريه موروو الذي كتب آرل وهي سيرة تناولت حياة شيللي. واشتهر في ألمانيا أميل لودفيج،
الذي أضفى جانباً من الخيال والحوار على سيره التي تناول أشخاصاً حقيقيين.

وأصبحت السيرة الذاتية اليوم تصف حياة مشاهير القرن العشرين، والشخصيات المعاصرة. وعلى
سبيل المثال، فإن مجموعة من الكتب تناولت حياة الرئيس الأمريكي الأسبق جون كينيدي، وحياة أسرته
وقد لعت في هذا العصر أسماء كثيرة من كتب السير، مثل ليون إيدل، الأمريكي، الذي كتب سيرة هنري
جيمس (1974-1953) م (وكتب الألماني جوشيم فست سيرة هتلر 1973) م، إلى غير ذلك من
السير.

تعلقت الدوافع لكتابة السيرة الذاتية عند الغربيين، فبعض كتب السير يعتمد إلى توضيح بعض
جوانب حياته أو تسويغ بعض الأعمال التي قام بها، وقد تكتب بعض السير بوحى مشاعر الخنين إلى
المضي، وهناك سير ذاتية يكون هدفها كسب المال، لأن أصحابها من المشاهير الذين يرغب الجمهور في
الاطلاع على خلفيات حياتهم.

وتعدّ كتاب اعترافات، الذي كتبه الزعيم النصراني القديس أوغسطين نحو عام 400م أول سيرة ذاتية
حقيقية، ويحكي الكتاب عن نضال أوغسطين الديني وانتصاراته.

ومن بين بعض السير الذاتية المشهورة قلعي اليسرى التي كتبها الأيرلندي كريستي براون (1954م).
ويصف فيها المؤلف كيف يتغلّب على العوائق الجسدية الناجمة عن إصابته بشلل دماغي منذ الولادة.
وقد حوّل الكتاب أيضاً إلى فيلم ناجح. ويضيف آرثر ميلر في منعطفات الزمن عام (1987م) قصة
حياته بوصفه ابناً للمهاجر أُمّي في أمريكا. ويسرد ميلر كفاح أسرته للبقاء على قيد الحياة إبان فترة الكساد
الكبير في الثلاثينيات من القرن العشرين. ويتابع سرده، فيصور صعوده إلى الشهرة كاتباً مسرحياً،
وزواجه من الممثلة مارلين مونرو.

وقد كتب كثير من المؤلفين روايات تحمل إلى حد كبير سمات السيرة الذاتية وعلى سبيل المثال، فإن رواية الروائي الأيرلندي جيمس جويس صورة الفنان وهو شاب عام (1916م) تشبه إلى حد بعيد الحياة المبكرة للمؤلف. وقد كتب بعض المؤلفين روايات في شكل سير ذاتية منها مثلاً رواية المؤلف الإنجليزي جونانك سويت رحلات جيليفر عام (1726م)، وهي سيرة ذاتية لأحد البحارة حول رحلاته في بلاد غريبة.

كملت برزت كذلك مؤخراً فكرة كتابة المذكرات واستعلاء أحداث كان المؤلف قد شارك فيها أو كان له دوراً في صنعها ...

وكلهذه التراجم والسير هدفها كما سبق وإن ذكرنا حفظ ذاكرة الأمة وربط الماضي بال حاضر وخلق النموذج الذي يقتدى به

المؤلفة

من أهم أبطال المقاومة الأمازيغية الذين وقفوا في وجه الحكومة الرومانية الجشعة التي أرادت إذلال نوميديا وتقسيمها بعد أن وحدها الملك ماسينيسا ووسع نفوذها شرقا وغربا وجنوباً وقد استطاع الملك يوغرطة بمكنته العسكرية أن ينظم جيشاً أمازيغياً مدبره وأن يقوم بإصلاحات اقتصادية واجتماعية قصد التصدي للمحتل الروماني الذي أعد سداً أمنياً عتيداً لحماية الركيزة الرومانية في إفريقيا الشمالية ضد الثورات التحررية الأمازيغية المقاتلة. ولكن مقاومة يوغرطة ستؤثر بشكل سلبي على سياسة روما بعد أن ذاعت القوات الرومانية الغزاة مرارة الهزائم المتكررة على أبواب نوميديا، لكن مقاومة يوغرطة لن تدوم طويلاً لكي يقتل هذا الملك الأمازيغي الشهم خيانة وغدراً على يد الرومان سنة 106 قبل الميلاد.

وستحاول في هذه الدراسة التعريف بيوغرطة وبأهم منجزاته الإصلاحية داخل مملكته مع ذكر أهم المراحل التي عرفتها مقاومته ونتائجها المباشرة وغير المباشرة.

تعني كلمة يوغرطة أو يوكرتن أو يوجيرتن Jugurtha في المعجم الأمازيغي أكبر القوم سنة وقد تعني أيضاً الملك أو كبير الأسرة أو القوم أو العشيرة أو القبيلة أو الجد الأكبر أو الرجل الكبير المحترم.

هذا، وقد ولد يوغرطة المازيلي بنوميديا سنة 118 قبل الميلاد، وهو سليل أسرة ماسينيسا الحاكمة، ومن ملوك قبائل نوميديا، تولى الحكم بعد وفاة ميسبس (148-118 قبل الميلاد) الذي وسع التجارة الداخلية والخارجية بين مملكة نوميديا ودول حوض البحر الأبيض المتوسط.

وهناك من يلحظ إلى أن يوغرطة "ابن غير شرعي لماستانابعل بن ماسينيسا"، ألحقه عمه الملك "ميكيوسا" بابنيه "أنزيرعل" و "هيمسعل" وجعله شريكاً لهما في عرشه وبعد وفاة "ميكيوسا" حارب يوغرطة ابني عمه وتخلص منهما بالقتل على التوالي، وانفرد بالملك.

وقد اشتهر يوغرطة بين أقرانه بالشجاعة والهيبة والوقار والذكاء وحب العمل وممارسة الصيد والقروسة حتى امتلك موهبة في مجل الحرب والتنظيم العسكري.

وكان معروفا بتفوقه في مجل السبق داخل حلبات القروسة والمبارزة العسكرية. وأصبح بعد ذلك قائدا عسكريا عتكا وكون جيشا أمازيغيا ليدافع عن سيالة نوميديا مذكرا جيشه دائما بالهوية الأمازيغية وبضرورة الدفاع عن راية الوطن والوقوف بكل شراسة في وجه الرومان المتوحشين الذين لا يريدون من الأمازيغيين سوى استغلالهم واستلابهم ونهب ثرواتهم وممتلكاتهم وإخضاعهم وقا ذلا.

ويعترف المؤرخ الروماني سالوست Salluste في كتابه " حرب يوغرطة " بعظمة هذا الملك الشاب الذي أظهر مقاومة بطولية في مقاتلة الرومان. يقول سالوست: " أثار يوغرطة انتبه الناس منذ أول شبابه بفعل نشاطه وهيئته ووقاره وذكائه ولم يكن من الذين ينخدعون بمظهر التبرج ويستسلمون للراحة ولكنه كان (...) يمارس القروسة ويتدرب على الرمي بالرمح وينافس أقرانه للإحراز على جائزة أسرع سبق... وكان يصرف جزءا كبيرا من وقته في الصيد... ولم يكن أحد يشتغل أكثر منه، ولم يكن أحد يتحدث عن أعماله أقل منه.

... وأمر بأن تستعرض أملكه الكوكبات والرايات (الأمازيغية) واحدة بعد واحدة. فصار يرغبها في تذكير ماضيها المجيد وفي انتصارها... على الأعداء. وفي الدفاع عن حوزة الوطن والمملكه ويحذوها من شر الرومان وجشعهم... لقد عمل كل ما يمكن أن يعمل قائد جيش ليهيئ لنفسه أحسن الظروف في ميدان القتلى... وعتلما يعرف جنديا سبق له أن جازاه على إقدامه وشجاعته، فإنه يقلعه كمثل للآخرين. وكان يعد ويوعده ويرغب ويرهب، ويستعمل كل الوسائل لحث جيوشه على الإقدام... "

ومن جهة أخرى، قام يوغرطة بإصلاحات اقتصادية واجتماعية وإدارية وعسكرية من أجل بناء مملكة أمازيغية قوية على غرار السياسة الإصلاحية التي قام بها عمه ماسينيسا. ففعلا، استطاعت قوات

يوغرطة أن تنق في وجه ثلاثة قواد رومانيين كبار أرسلتهم المشيخة الرومانية للقضاء على ثورة يوغرطة النوميديّة، وهم:

ميتيلوس ومليوس وسيلّا.

وغير من تحدث ومزال يتحدث عن تلويح يوغرطة وحروبه القاسية ضد الرومان المؤرخ الروماني سالوست في كتابه "حروب يوغرطة"، إلا أن مدونات سالوست التاريخية كانت تعبر "عن تناقضات الجمهورية الرومانية بقدر ماتروي قصة ثورة يوغرطة، فقد يكون هذا الأخير قد خطط فعلا لتوحيد البربر وطرد الرومان لكن يستحيل أن نجد لهذا الهدف صدى عند المؤرخ الروماني الذي يذكر أعمال يوغرطة لغرض واحد هو إصدار أحكام قاسية على زعماء روما وهي في دور الانحطاط.

وسين لنا هذا التوجه النقدي للوثيقة التاريخية للمؤرخ سالوست أن المؤرخين الرومان كانوا غير موضوعيين في أحكامهم القاسية التي يصدرونها في حق أبناء تلموغلا وكانوا يعتبرون الأبطال الأمازيغيين إرهابيين ومنشقين عن الحكم الروماني، ومثابة زعماء العصابات ورؤساء جماعات اللصوص الذين يثيرون الهلع والذعر والخوف والفرع في نفوس المواطنين الذين يسكنون في القرى والمدن النوميديّة وخاصة الجالية الرومانية التي كانت تسيطر على مراكز القرار ودواليب الاقتصاد والتجارة والخدمات. بلغت الحكومة الرومانية منذ نزول قواتها على أراضي تلموغلا وبعد وفاة الملك ماسينيسا إلى تقسيم شمال إفريقيا إداريا إلى ثلاث مناطق رئيسية، وهي: أفريقيا اللاتينية ويقصد بها تونس وكانت خاضعة كليا لقبضة الرومان ونوميديا وتمتد من التراب التونسي إلى العاصمة الأمازيغية سيرتا (فستطنة)، وتنقسم هذه المملكة الجزائرية إلى قسمين: القسم الأول كان تحت نفوذ ميسا ابن ماسينيسا (146-118 ق.م)، والقسم الآخر كان تحت تصرف يوغرطة. أما موريطانيا Maurétanie فقد وضعوها تحت تصرف القائد البربري بوكوس Boccus ولقد اختار الرومان لمراقبة هذه الممالك الأمازيغية عاصمة في تونس تكون بديلا لقرطاجنة سموها بـجنونيا.

ومن جهة أخرى، شرع الرومان في بناء سد أمفي يسمى خط الليمس Limes وهو عبارة عن
حصون وقلاع وخنادق ومراكز المراقبة للسيطرة على إفريقيا الشمالية والتحكم في مواردها الاقتصادية
وهذا الخط يمتد طولا بين الساحل المتوسطي وحدود التراب الصحراوي جنوبا، أما عرضا فيمتد الخط
من طرابلس مرورا بالبحيرات التونسية وجبل الأوراس، فيمر ببسكرة جنوبا، ثم يجتاز قرية بوسعلا
حتى نهر وادي شلف. وبعد ذلك يقطع تافلالت والزقيرف وتلمسان ومغنية. ويعبر هذا الخط الفاصل
الحدودي المغرب مرورا بتلة ومنعرجا بمدينتي وليلي وطنجة حتى يصل إلى جنوب الرباط.

بيد أن الأمازيغ لم يرضوا بالحكم الروماني في إفريقيا الشمالية ولم يقبلوا بتدخلاته في نوميديا
وموريطانيا ولم يرضوا كذلك بخط الليمس الذي اعتبروه خطا استعماريا عنصريا يراد منه طرد
الأمازيغيين من أراضيهم الحصية وتحويلهم إلى شعب ذليل وفقير من الدرجة الدنيا. هذا ما دفع يوغرطة
ليجمع الأمازيغ ويوحدهم في مملكة واحدة بعد أن اغتال أبناء عمه ماسينيسا "أثريمل" و"هيمسلا"
ليسيطر على حكمهما ويُخضع مملكة نوميديا ليسيرها بنفسه. وبالتالي، اتخذ يوغرطة مسيرتا قسطنطين
المدينة الجبلية الواقعة في جبل الأوراس عاصمته منذ سنة 104 ق.م. واستطاع أن ينظم الجيش ويقسمه
إلى مشاة وفرسان، وأن يدربه على أحدث الطرق العسكرية لمجابهة الاحتلال الروماني. وقد كان الجيش
الأمازيغي كله تحت تصرف القائد يوغرطة الذي ضرب به الجيش الروماني مرات عديدة، فانتصر عليه في
عدة معارك وخاصة معركة سوتول قرب قلعة بلجناثر. وكانت الحروب التي خاضها يوغرطة ضد الرومان
تسمى عند المؤرخ اللاتيني سالوست بـ "حروب يوغرطة" التي وقعت بين 111 و105 ق.م.

هذا، وقد حقق يوغرطة انتصارا حاسما على البيونس سنة 110 ق.م. وكان لهذه الهزيمة وقع شديد
في رومانيا حيث ساد السخط والتلذذ أوساط الشعب بقبيلة زعمائه وخطبائه الشعبيين الذين طالبوا
بمخوض حرب لا هوادة فيها ضد الملك النوميدي لرد الاعتبار والتأثر للكرامة الرومانية.

عما يبدو معه مدى انعكاس تناقضات المجتمع الروماني على سير الأحداث في شمال إفريقيا فحرب
نوميديا كانت ميدانا للحسم في الصراعات الاجتماعية السياسية بين الطبقات الرومانية.

وهكذا، نجد بوكوس الأول ملك موريطانيا ويوبا الثاني ملك موريطانيا الطنجية يتحالفان ضد
يوغرطة ويسلمانه أسيرا للروم سنة 104 ق.م في طبق من ذهب ليموت يوغرطة في سجنه سنة 106
ق.م

بعد وفاة يوغرطة تقسم مملكة نوميديا إلى قسمين: القسم الغربي من نصيب بوكوس الأول ملك
موريطانيا وحليف روم، بينما القسم الشرقي يتولاه الملك كودا. وعند وفاة بوكوس ملك موريطانيا
ستقسم مملكته بدورها إلى قسمين: مملكة غربية يملكها بوكود ومملكة شرقية يملكها بوكوس الثاني أو
بوكوس الشاب.

" وفي عهد الإمبراطور الروماني أوكتافيوس Octavianus ق.م - 14 ق.م) تمكن بوكوس من
الاستيلاء على ممتلكات بوكود وامتدت موريطانيا - في ذلك التاريخ - من المحيط الأطلسي حتى نهر
المسافة".

ومما يؤسف له حقا أن الرومان والبيزنطيين والوندال كانوا دائما يضربون الأمازيغيين بتخوانهم
الأمازيغيين، ويشعلون نار الفتنة بينهم، ويستعملون كل وسائل الغواية والإغراء لكسب تحالفهم؛ وقد
شجع هذا الأمر الفظيع على انتشار الحسد والحقد والخيانة بين صفوف الأمازيغيين للتحليل على
إخوانهم غدرا ومكرًا؛ وهذا كان يسر بطبيعة الحال المهمات و السبل أمام الأعداء الألفة للانقضاض
عليهم بكل سهولة وسرعة.

وعلى الرغم من القضاء على ثورة يوغرطة من قبل الرومان وحلفائهم الخونة، إلا أن هذه الثورة
ستبقى مشعلا للمقاومة الأمازيغية ودربا للكفاح والنضال من أجل نيل الحرية والاستقلال والتخلص
من المستعمر الروماني. وستشعل ثورة يوغرطة الباسلة فعلا ثورات عسكرية أخرى كثورة تاكلفلينس
وثورات اجتماعية ذات طابع اقتصادي كثورة "الدواوين"، وثورات دينية كثورة إيمون التي كانت تطالب
بطرد الرومان ورجل الدين الكاثوليك والنبلاء الأجانب المستغلين من أرض نوميديا ومن كل أروافهم
تلمازغا.

الأمير عبد القادر

وُلد الأمير عبد القادر بن محي الدين في شهر ماي عام 1807 ببلدة القيطنة قرب مدينة معسكر.

أحد أجداده هو مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى وباني مدينة فاس. ورغم أن نسب الأمير عبد القادر نسب شريف إلا أنه كان يرفض رفضاً قاطعاً استغلال نسبه وأصله لاكتساب الاحترام والتقديس وطاعة الناس، فكان يقول "لا تسألوا أبداً ما هو أصل الإنسان وفصله، بل اسألوا عن حياته وأعماله وشجاعته ومزايه، وعندئذ تدركون من يكون". وكان يستوحى ذلك من روح الإسلام الذي سَوَّى بين البشر مهما كان أصلهم، وإن رسول الله ﷺ يقول "كلكم من آدم وآدم من تراب، لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى".

تعلم عبد القادر القراءة والكتابة وعمره لا يتجاوز خمس سنوات وحفظ القرآن الكريم وكانت له معرفة بأصول الشريعة ولم يتجاوز 12 سنة من عمره. وأرسله أبوه محي الدين لمواصلة دراسته بمدرسة سيدي أحمد خوجة بوهوان لكنه لم يبق طويلاً هناك لأن طريقة التدريس التقليدية لم تعجبه فعاد إلى القيطنة ليتلقى العلوم الحديثة على يدي سيدي أحمد بن طاهر قاضي أرزيو، فدرس الحساب والفلك والجغرافيا، مثلما اهتم بالشؤون الأوروبية وما يحدث فيها من تطورات علمية وتقدم كبير في الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي يتخبط في التخلف والامحاط والضعف والخرافة. فكان الأمير عبد القادر يؤمن منذ صغره بضرورة إخراج المسلمين من التخلف واستعادة أمجادهم الحضارية. ولا يمكن أن يتأتى لهم ذلك إلا بالعودة إلى مبادئ دينهم الحقيقية والاهتمام بالعلوم الحديثة.

ولم يكتف الشاب عبد القادر بتلقي العلوم الدينية والدنيوية بل اهتم أيضاً بالفروسية وركوب الخيل وفنون القتال، فتفوق في ذلك على غيره من الشباب. وبذلك كان الأمير عبد

القادر من القلائل جدا الذين جمعوا بين العلوم الدينية والفروسية، عكس ما كان عليه
الوضع آنذاك إذ انقسم المجتمع إلى المرابطين المختصين في الدين، والأجواد المختصين في
الفروسية وفنون القتال.

إن إدراك الأمير عبد القادر بأن الإنسان يتكون من عقل وجسد وروح ومشاعر جعله
يهتم بكل هذه الجوانب فكان عابداً لله إلى درجة التصوف وعالماً بالدين والعلوم الحديثة
مثلما كان فارساً قوياً الجسد إلى جانب الحس المزهف فنظم الشعر بكل أنواعه وكان
يعتبر أهم الفنون آنذاك وقد أكسبه ذلك حناناً وعطفاً وحبا للناس.

تزوج الشاب عبد القادر مبكراً بلألاً خيرة بنت عمه سيدي علي بوطالب، وكانت
ذات أخلاق عالية، فعندما بايعه الناس على تحمل مسؤولية قيادة الجهاد ضد الاستعمار
الفرنسي، وإدراكاً منه لثقل المسؤولية التي ستشغله عن أهله وبيته ذهب إلى زوجته وقل لها
«لقد وضع القوم أمانة في عنقي، ومن الواجب علي القيام بها، وإن ذلك لا يدع مجالاً لي حتى
أقوم بواجباتي الزوجية على أكمل وجه، ولك إن أردت البقاء معي من دون التفات إلى طلب
حقوقك المقدسة، فلاني أوافق الموافقة التامة على ذلك، وأما إن كان قصدك ألا تفرطي فيها
فأمرك بيدك، وذلك لأنني قد تحملت ما يشغلني عنك»، فقبلت الزوجة الصلحة ذلك وكانت
تعلم متى تقديس زوجها الأمير لحقوق الزوجة التي فرضها الإسلام لها فقالت له «لقد
رضيت لنفسي ما ارتضيته لنفسك».

وأثناء جهاده مرّ يوماً بالقرب من مقام زوجته وكانت لم تره منذ عدة شهور فبعثت
إليه تطلب منه زيارتها فردّ عليها بأنه مزفوف إلى بلاده أي أنه تزوج بقضية وطنه وشعبه.
ورغم كل ذلك بقيت هذه الزوجة وفية له لأنها كانت تدرك ثقل المسؤولية التي تحملها وإن
قضية الوطن والعقيلة فوق كل شيء. رحلته إلى الحج:

عندما بلغ والده محي الدين الخمسين من عمره أراد الحج إلى البقاع المقدسة، ورفض أن يرافقه أي أحد إلا ابنه الرابع عبد القادر الذي لم يبلغ بعد 17 سنة من عمره، فعندما سمع الناس بالخبر أتوا من كل الجهات لتوديع محي الدين وابنه عبد القادر، فخشي الحاكم العثماني في وهران من تحول التجمع الضخم إلى ثورة ضد النظام الفاسد فاضطر إلى احتجازهما لمدة سنتين بوهران، خاصة وأن محي الدين والد الأمير عبد القادر كان من أشد معارضي هذا النظام الذي قسم الشعب إلى فئات تتقاتل فيما بينها عملاً بسياسة "فرق تسد" والهدف من كل ذلك هو الحفاظ على المصالح الخاصة للنظام الذي كان ينهب عرق الشعب ويفرض ضرائب باهضة عليه مما يسمح لحاشية النظام مواصلة حيلة الرغد والترف بينما الشعب يموت جوعاً، فكيف يقبل محي الدين وابنه عبد القادر بذلك وهما المتشبعان بحب العدل الذي ألح عليه الإسلام.

وبعد سنتين من الاحتجاز تدخل داي الجزائر فسمح لهما بالذهاب إلى الحج معتقداً بأن ذلك وسيلة لإبعادهما عن البلاد ولو لمدة قصيرة. فعبرا تونس ثم وصلا إلى الإسكندرية عبر البحر الأبيض المتوسط ليصلا إلى البقاع المقدسة برّاً، وعادا من الحج عبر دمشق وزارا قبر الولي الصالح عبد القادر الجيلاني ببغداد صاحب الطريقة القادرية التي تنتمي إليها أسرة الأمير عبد القادر، وأثناء حجهما اطلعا على أوضاع المسلمين المزرية التي جعلتهم لقمة سهلة للاستعمار الأوروبي في الوقت الذي كان فيه حكامهم يعيشون في غفوة عن ذلك لاهئين وراء حيلة الترف والمجون.

عاد الشاب عبد القادر وأبوه إلى بلدتهما القيطنة بعد أكثر من سنتين قضياها في الحج والترحل والتجوال مما أكسب الشاب إطلاعا واسعا. وقد استقبلهما الناس بحفاوة كبيرة عند عودتهما عام 1828.

ولم يلاحظ بعد ذلك اعتزال عبد القادر في بيته لمدة طويلة خصصها للعبادة والسموعة
الكثيرة للكتب فكان يطلع كتب الفقه والفلسفة والتاريخ التي أنتجها مفكرون مسلمون
وإلى جانب ذلك كان يركز كثيرا في مطالعته على معرفة الفكر العالمي والأوروبي فقرأ
لأفلاطون وأرسطو وهما من كبار فلاسفة اليونان، واطلع على الكثير من الكتب التي تعنى
بالفكر والشؤون الأوروبية. فكان عبد القادر يريد المزج بين الثقافتين الإسلامية
والأوروبية، وهو بكل تأكيد بمحاولته التعرف على تاريخ وعادات وتقاليد وأفكار مختلف
شعوب العالم فإنه كان يطبق الآية القرآنية التي تأمر المسلم بذلك والمتمثلة في قول
الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات الآية 13).

يتبين لنا مما سبق أن شخصية الأمير عبد القادر قد اكتملت وهو لم يتجاوز العشرين
من عمره فهو رجل دولة وسياسة، مثلما هو فارس مقدم ومتصوف زاهد وعالم عارف وأب
حنون وعطوف وشاعر يغازل زوجته ويحمس المجاهدين للقتال. وكأنه كان يستعد دون علم
أحد لمهمة عظيمة.

دخل جيش الاحتلال الفرنسي مدينة الجزائر يوم 5 جويلية 1830 واستسلم الداي
العثماني بحيشه مقابل ضمان خروجه وحاشيته من الجزائر حاملين الأموال التي نهبها من
الشعب المسكين. فشرع الجيش الفرنسي في الزحف لاحتلال البلاد كلها فبدأ بالمدن الساحلية
فاحتل مدينة وهران في عام 1832، مثلما عمت الفوضى في البلاد والتقاتل بين مختلف
القبايل التي زرع الحكم العثماني الفاسد الأحقاد والضعفان بينها، ولجأ جيش الاحتلال إلى
التقتيل والنهب فاستولى على الخزانة التي كانت تحتوي على أموال طائلة فحوّلها إلى فرنسا.

أمام هذا الوضع المتردي لجأ سكان الغرب الجزائري إلى الشيخ محي الدين والد
الأمير عبد القادر يطلبون منه تولية الحكم وقيادة الجهاد ضد الاستعمار وإعلاء الطمأنينة

والاستقرار، لكنه رفض لأنه كان يدرك أنه غير قادر على ذلك، فأشار عليهم بتولية ابنه عبد القادر الذي يمتلك صفات رجل الدولة بالإضافة إلى تدينه العميق مثلما أظهر براعة فائقة في القتال عندما كلفه محي الدين بقيادة المجاهدين ضد الجيش الفرنسي في وهران.

ورحب السكان بفكرة تولية عبد القادر الإمارة لكن هذا الأخير لم يقبل إلا بعد مبايعته من طرف السكان، فتم ذلك تحت شجرة الدردار الضخمة بقرب معسكر في شهر نوفمبر عام 1832، فحددوا له مهمته بقولهم «إننا في حاجة لمن يقود سفيتنا ويقف في وجه العدو في الداخل والخارج ليذيبه العذاب، ولهذا فقد اتفق العام والخاص على إسناد الإمارة لعبد القادر بن محي الدين». فكان أبوه محي الدين أول المبايعين فأطلق عليه لقب «ناصر الدين».

وبعد مبايعة الأمير عبد القادر بدأ الناس يرددون وهم فرحين برئيسهم الذي طلب منهم الاستعداد للجهاد ضد المستعمر فيقولون «حياتنا وأملاكنا وكل ما عندنا له، لن نطيع قانونا غير قانون سلطاننا عبد القادر» فأجابهم بقوله «وأنا بدوري لن آخذ بقانون غير القرآن، لن يكون مرشدي غير تعاليم القرآن، والقرآن وحده، فلو أن أخي الشقيق قد أحل دمه بمخالفة القرآن لمات».

أدرك الأمير عبد القادر بحكم ذكائه أنه لا يمكن مواجهة الاستعمار الفرنسي إلا بعد بناء دولة قوية وحديثة، وهذا يتطلب إقامة مؤسساتها والقضاء على القبلية والعروشية وتوحيد الشعب على أساس الولاء للوطن والعقيدة فقط لا غير ولذلك قام بعنة أعمال منها ما يلي:

إن أول عمل قام به الأمير عبد القادر يتمثل في إخضاع القبائل التي رفضت الولاء له بصفته السلطة الشرعية للبلاد، وهذه القبائل تتمثل في تلك التي كان الحكام العثمانيون الفاسدون يستعملونها لجلب الضرائب من القبائل الأخرى، وهذه القبائل كانت

تسمى بقبائل السمخون وهي على استعداد لعرض ولائها للجيش الفرنسي مثلما كانت تعرضه على الحكم العثماني. وكان الأمير عبد القادر يعلم جيداً أن هذا الصراع بين مختلف القبائل سببه الحكام العثمانيون الفاسدون الذين كانوا يطبقون سياسة «فرق تسد» بضرب هذا بذلك، فعمل عبد القادر من أجل القضاء على ذلك وتوحيد الشعب كله تحت راية واحدة ضد العدو المشترك الجديد وهو الاستعمار الفرنسي.

غادر الأمير عبد القادر وعائلته الجزائر على باخرة أسمودس الفرنسية تحت حراسة مشددة، فأجهت به نحو مدينة طولون، اقترحت عليه فرنسا إعطائه قصراً ضخماً يعيش فيه في فرنسا، لكنه رفض ذلك قائلاً أنه يفضل الإقامة في ديار الإسلام على كل كنوز الأعداء وثرواتهم. فنقلته السلطات الفرنسية إلى سجن لامبواز فنقضت بذلك تعهدها له مثلما هو شأن الفرنسيين دائماً، فرغم مطالبه بإطلاق سراحه والسماح له بالهجرة إلى بلاد الإسلام إلا أنها كانت ترفض ذلك باستمرار خوفاً من نشر روح المقاومة وفكرة بناء البلاد الإسلامية لمواجهة الاستعمار الأوروبي الذي كان يستعد لاحتلالها مثلما احتل الجزائر في عام 1830.

ولم ينجح الأمير في مساعيه إلا بعد مجيء نابليون الثالث إلى الحكم في فرنسا في عام 1851 بعد قيام ثورة ضد الملك لوي فيليب. فاستقر الأمير بروسة بتركيا منذ عام 1853 وغادرها في عام 1855 بعد أن حطمها زلزال عنيف، فتوجه إلى إسطنبول ومنها إلى دمشق بسورية فاستقر بها واتخذها مكاناً لإقامته مع عائلته. وقد قام بدور إنساني كبير في منقله حيث أنقذ آلاف المسيحيين من القتل على يد مسلمين متعصبين في عام 1860 وذلك عندما أثار الإستعماران الفرنسي والبريطاني فتنة بين المسلمين والمسيحيين كي يتخذوا ذلك ذريعة لدخول سورية ثم احتلالها، لكن الأمير عبد القادر نجح في إطفاء نار الفتنة انطلاقاً من سمعته وتأثيره وإدراكاً منه لحقوق اللعينة وهم أهل الكتاب الذين يعيشون في بلاد الإسلام.

وكان الأمير عبد القادر يعلم أن الفتنة وراءها الاستعمار خاصة وأن فرنسا جهزت جيشا لاحتلال سوريا متذرعة بالدفاع عن المسيحيين لكن الأمير أوقف جيشها بإيقافه للفتنة فأنقذ بذلك سوريا من الاحتلال الفرنسي في القرن 19 م.

وقد اكتسب الأمير عبد القادر احترام العالم كله وأعطى صورة نموذجية للمسلم الذي يدافع عن وطنه ويعمل من أجل بناء بلاده وتقدمها، ويتسامح مع أصحاب الأديان الأخرى، ويتحلى بالأخلاق العالية ويحترم كلمته وعهده. وبذلك الاحترام العالمي الذي اكتسبه شارك إلى جانب كبار قادة وملوك العالم في احتفالات افتتاح قناة السويس في مصر في عام 1869.

ألف الأمير عبد القادر الكثير من الكتب في منفعه وأهمها المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد.

ذكرى العاقل وتنبيه الغافل: ضمنه آراءه في التاريخ والفلسفة والدين والأخلاق والإصلاح الاجتماعي

المواقف: كتاب في التصوف.

توفي الأمير عبد القادر في عام 1883 بدمشق عن عمر يناهز 76 سنة وهو عمر قضاه في الجهاد ضد الاستعمار وفي العبادة وطلب العلم ففاز بالدنيا والآخرة، وبقي جهاده شعلة تنير الطريق في الجزائر أثناء فترة الاستعمار فشارك ابنه محي الدين في ثورة المقراني عام 1871، وناضل حفيده خالد بن الهاشمي ضد الاستعمار الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى فنفتته السلطات الاستعمارية من الجزائر عام 1919 مثلما نفى جده عبد القادر.

وبعد الاستقلال اتخذت صورة الأمير عبد القادر رمزا للدولة الجزائرية فكانت توضع على الأوراق النقدية، وأعيدت رفاته إلى مقبرة العالية، ووضع له تمثال بالعاصمة ليقى عالقيا في ذهن الجيل الصاعد كواحد من عظماء الجزائر الذين صنعوا استقلالها ومجدها وثورتها العملاقة التي صنعت الجزائر المستقلة.

حمدان بن عثمان خوجة

ولد سنة 1773 بمدينة الجزائر من عائلة محافظة وثرية ذات مكانة سياسية، والده عثمان خوجة كان علما وأستاذا في الشريعة وأصول الفقه.

أتم حمدان بن عثمان خوجة تعليمه بتفوق في مراحل حياته حيث تعلم الأصول والفقه والتاريخ والتصوف وعلم الطب، كما أجاد تعلم اللغات العربية والفرنسية والتركية والإنجليزية كما ساعده ذلك على توسيع أسفاره ورحلاته في العالمين الإسلامي والمسيحي للاطلاع على الجانب الثقافي والسبلي والاجتماعي.

عمل حمدان خوجة في التدريس وشغل منصب الكاتب العام للداي، وبعدها تعرضت الجزائر للغزو الاستعماري في سنة 1830 عينه الجنرال كلوزيل في مجلس بلدية الجزائر، فاعتنم الفرصة وكان على علم دائم بمخططات الجيش الفرنسي، وفي سنة 1833 عزلته السلطات الفرنسية من منصبه وجردته من أملاكه ثم قامت بنفيه.

غادر حمدان خوجة فرنسا سنة 1836 واستقر في اسطنبول عاصمة الخلافة وهناك وافته المنية سنة 1840 بعيدا عن وطنه فكان خير محام له أمام الرأي العام وعمره يقارب السبعين عاما. من أشهر كتبه "المرأة" عالج فيه الانتهاكات التي قام بها الاستعمار الفرنسي وأحوال الجزائر السياسية والاجتماعية والاقتصادية في أواخر العهد العثماني. "آعاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء" : أصدره سنة 1836 باللغة العربية وقام بترجمته إلى اللغة التركية موضوعه كان حول الطب (الوقاية من الأمراض وكيفية علاجها).

الحاج أحمد باي

ولد الحاج أحمد باي بمدينة قسنطينة سنة 1786 وهو من فئة الكراغلة الناجمة عن زواج الأتراك من نساء جزائريات.

تلقى تعليمه بمنطقة بسكرة أين كان يقطن عند أخواله (بن قانة) وهناك تعلّم الفروسية وفنون القتال، وعندما بلغ سن الشباب توجه إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، وعندما عاد عين خليفة الباي في قسنطينة سنة 1817 لمدة ثلاث سنوات وفي سنة 1826 عينه الداي حسين باشا بايا على قسنطينة التي كانت تعد من أكبر البايليكات في الجزائر.

كان يعد الحاج أحمد باي من الفرسان الشجعان حيث خاض مع الفرنسيين حروبا ومعارك أدمشت مخططاته الزعماء الفرنسيين.

خاض أحمد باي معركة ضد الجنرال كلوزيل سنة 1836 في قسنطينة وباءت بنصر عظيم لأحمد باي وهزيمة نكراء للجنرال الفرنسي أين عزل واستدعي إلى باريس، ثم عزمت فرنسا على الانتقام لما جرى، فأعادت خوض معركة في شهر أكتوبر سنة 1837 بقيادة الجنرال دامريمون ودام القصف بالمدافع أربعة أيام متواصلة، ثم تسرب الجيش الفرنسي إلى داخل المدينة ودارت معركة دامية أين قتل قائدها دامريمون وضباط آخرون.

وفي سنة 1848 اشتبك الباي أحمد والعدو الفرنسي في معارك كثيرة تناوب فيها النصر والانهزام، ومن بينها معركة أولاد السلطان التي كانت في ربيع 1844 ودامت ثلاث أيام ضد الدوق دومل ابن لويس فليب وانتصر فيها الباي أحمد انتصارا عظيما.

بعد 18 سنة من الكفاح ومجاهلة العدو، خارت قوى الباي أحمد وتدهورت صحته وقلّ ما لديه من إمكانيات وذخائر، بالإضافة إلى خيانة خاله بوعزيز بن قانة الذي انضم إلى طرف الفرنسيين، فلم يجد الباي أحمد سبيلا في مواصلة المقاومة وسلم نفسه للعدو بعد أن

وُعد بحمله إلى العيش في بلد إسلامي لكن فرنسا كان شعارها الخفي العودة الكفيلة إلى
حمل البلي إلى مدينة الجزائر وظلّ مسجوناً تحت الرقابة المشددة حتى وافته المنية سنة
1850 عن عمر يناهز الرابعة والستين.

الشيخ بوزيان

يعتبر الشيخ بوزيان من أبرز الشوار الذين خاضوا المعارك مع العدو الفرنسي في القرن 19 وشهد له التاريخ بصفات الشجاعة والبطولة النادرة.

ويجدر بنا عند تطرقنا إلى الشيخ بوزيان أن نتذكر ثورة الزعاطشة التي اندلعت في عام 1849 والتي تعد من أعظم الثورات.

الشيخ بوزيان هو رجل متصوف ومقدم الطريقة الدرقاوية بمنطقة زيان، عمل تحت إمرة الخليفة الأمير عبد القادر كشيخ على سكان الزعاطشة، اتصف الشيخ بوزيان بالكرم والجود والروح القتالية القوية والذكاء الحاد والشجاعة الصلبة.

كان الأمان يسود المكان وفي ظل هذا الأمان نشط الشيخ بوزيان واستدعى رؤساء القبائل المجاورة والأعراش للتخطيط وتدارس الأوضاع للنهوض بثورة يكون السلاح فيها أداة الجهاد في سبيل الله مبداً وبالفعل وافق الرؤساء والأهالي وجمعوا المال لشراء السلاح والنخيرة، وفي شهر مارس 1849 أقرت السلطات الفرنسية الزيادة في الضرائب المفروضة على النخيل فثار الأهالي لما سمعوا واشتد غضبهم واستغل الفرصة الشيخ بوزيان وزاد من إثارة السكان ضد العدو والنهوض بالثورة.

كشف المستعمر نشاط الشيخ بوزيان فأصدر حكماً بالقبض عليه، تحرك الضابط سيروكا للقبض عليه فثارت معركة شهدت رمال الصحراء على نجاحها وأول شرارة أشعلت من ثورة الزعاطشة.

بعد هذا قررت السلطات الفرنسية فرض الحصار لاحتلال الزعاطشة فخرج أهالي فرفار وفوغالة وطولقة وبوشقرون لمساندة أهالي الزعاطشة وحمل السلاح معهم.

حققت هذه المساندة انتصارا عظيما وانضمت إلى الشيخ بوزيان قبائل أخرى من
الأوراس الحضنة لإعلان الجهاد في سبيل الله وإشعال نار الثورة.

لم تسكت السلطات الفرنسية عن هذا الأمر بل أرسلت قواتها إلى الزعاطشة يوم 16
جويلية 1849 لإقامة حصار مشدد على المنطقة وفرضت الحصار أوائل شهر أكتوبر وامتد إلى
غاية 8 نوفمبر 1849 ثم بعد ذلك اضطر الغزاة إلى احتلالها فقتلوا النساء والشيخ ونحوها
الأطفال وقطعوا الأشجار وبعد أن سقطت كل المنازل خرج الشيخ بوزيان من منزله بعد
انفجاره وهناك سقط شهيدا على رصاص العدو، فصل رأسه عن جسده هو وابنه الشاب
ورفيقه الحاج موسى الدرقاوي ورفعت الرؤوس الثلاث على مقصلة بباب معسكر هيريون.

الشيخ بوبغلة

ولد الشريف بوبغلة سنة 1810 واسمه الحقيقي هو محمد الأحمّد بن عبد المالكه لُقّب بوبغلة لركوبه بغلة في جميع تنقلاته، استقر سنة 1849 بدائرة سور الغزلان وعمره في حدود الأربعين اشتغل معلما يعلم الأطفال القرآن الكريم ويكتب التمام ويداوي المرضى بالطرق التقليدية مما ساعده ذلك على الاحتكاك بالناس وتوعيتهم لحوض المعركة ضد المستعمر الفرنسي وفي بداية 1851 انتبه العدو لنشاطه فاتهمه بمحاولة إثارة السكان ضد المستعمر الفرنسي فأصدر الحكم باعتقاله في سور الغزلان، تفتّش الشريف بوبغلة لنوايا المستعمر فغادر سور الغزلان سرا إلى قلعة بني العباس بمنطقة وادي الساحل وسرعان ما اكتشف العدو مكانه فطلب من القبيلة تسليمه لهم، رفض أهل القبيلة مراعاة لحق الضيافة ونتيجة تعرّض أهل القبيلة لضايقات وتهديدات المستعمر الفرنسي فطلبوا من الشريف بوبغلة أن يغادروهم رحل من قبيلة بني العباس يوم 24 فيفري 1851 وانتقل إلى قبيلة بني مليكش التي استقبلته بحفاوة ورفضت تسليم الشريف بوبغلة إلى السلطات الفرنسية ولو كلفها ذلك حيلة القبيلة كلها، واتخذ بوبغلة من قرى بني مليكش قلاعا للمقاومة وانطلقا لنشاطه الثوري وعيّن أربعة قادة من سكان القبيلة، ومن بين نشاطاته شن هجوما على قوات الضابط الفرنسي بوبريتر حاكم بني منصور يوم 2 مارس 1851، وما بين فترة 24 مارس و4 أفريل امتدت هجماته إلى القرى الخاضعة للسلطات الفرنسية وحقق نجاحا هاما.

وفي سنة 1851 حاول الشريف بوبغلة أن يكشف نشاطه الثوري فاتصل بزعماء شمال قسنطينة في قرى وجبال البابور، وفي شهر ماي 1815 تعرّض لخط المواصلات الرابط بين سطيف وبجاية وألحق خسائر معتبرة بالعقيد الفرنسي دي ولجي عندها أدركت فرنسا أنها أمام رجل ليس كباقي الرجال وإن نيران ثورة تكاد تشتعل فجنّدت قوة ضخمة لمواجهة بوبغلة

لنشئت قوات المقاومة، وانخفضت الأهالي إلى الهجوم المستمر واتجه بوبغلة إلى جبل جرجرة
وخاض معركة 18 أوت 1851 التي وقعت بضواحي عين زاوية وكان النصر حليف بوبغلة
وانصاره، كما شارك في معارك مع شخصيات لها أثرها في المقاومة مثل لالا نسومر والشيخ
أصديق وأعراب في منطقة القبائل.

عاد الشريف بوبغلة إلى بني مليكش وهو متأثر بجروحه فما إن استعاد عافيته حتى
باشر نشاطه الثوري لكنه لم يدم طويلا حتى سقط شهيدا على يد رجال قبيلة بني عباس
الخاضعين للسلطة الفرنسية وكان ذلك يوم 26 ديسمبر 1854 فقطعوا رأسه وسلموه إلى
حاكم برج بوغريج وهو بدوره رفعه على عمود وسط السوق ليكون عبرة لمن أراد أن يخطو
خطواته.

لالا فاطمة نسومر

طفولتها وشخصيتها

ولدت المجاهدة لالا فاطمة نسومر في عام 1830 بقرية ورجة بتيزي لجماعة قرب عين الحمام بمنطقة القبائل، اسمها الحقيقي فاطمة سيد أحمد، ولُقبت بلالا فاطمة نسومر لتقواها وتدينها ونسبة إلى قرية سومر التي كانت تقيم فيها.

وتنحدر من عائلة متدينة، أبوها هو سيد أحمد محمد صاحب المدرسة القرآنية بسومر التابعة لزاوية محمد بن عبد الرحمان الملقب بـ «بوقبرين»، أما أمها فتدعى تركية نايت خولاف نوعسكر. وللمجاهدة لالا فاطمة نسومر أختين وخمسة إخوة ذكور أكبرهم هو سي محند الطيب الذي كفلها بعد وفاة أبيها، وكان رفيقها في قيادة الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي.

تتميز لالا فاطمة نسومر بالتدين العميق، والذاكرة القوية جدا فحفظت القرآن الكريم وهي صغيرة عن طريق سماعها لما يردده الأطفال في مدرسة أبيها من آيات قرآنية. وبعد وفاة أبيها أصبحت تساعد أخاها سي محند الطيب في المدرسة القرآنية فتكفلت برعاية الفقراء والأطفال. فذاع صيتها في منطقة القبائل لتقواها وذاكرتها القوية وحكمتها وذاكرتها الحاد.

تتمتع لالا فاطمة نسومر بشخصية قوية وكانت ترفض الاضطهاد من أي إنسان كان. فلهذا كانت ترفض الزواج من كل رجل يطلب يدها لما رآته من تعسف الرجال في حق النساء وهضم حقوقهن التي كفلها الإسلام، كانت تعتبر ذلك المخرافا عن المبادئ الحقيقية للإسلام الذي أكرم المرأة وضمن لها حقوقها. خاصة وأن المجتمعات الإسلامية، كانت قد دخلت في المخطأ منذ زمن طويل.

الزحف الاستعماري على منطقة جرجرة

احتل الاستعمار الفرنسي مدينة الجزائر في عام 1830، ومنها بدأ يركز على احتلال المدن الساحلية، فوجد مقاومة عنيفة لدى الجزائريين الذين هبوا كرجل واحد للدفاع عن وطنهم ودينهم وشرفهم، وقد قاد المقاومة في البداية أحمد بلي في الشرق الجزائري إلا أن لم يستطع مواجهة جيش الاحتلال الذي كان يملك أسلحة متطورة جدا مقارنة بأسلحة الجزائريين الذين دخلوا في الحطاط وضعف منذ زمن طويل، فاحتل الاستعمار الفرنسي مدينة قسنطينة عام 1837، كما ارتكب مجازر ينل لها جبين الإنسانية في عدة مناطق أخرى من البلاد فمثلا أحرق قبائل بكاملها تضم نساء وأطفالا لجأوا إلى مغارات هربا من الهجمة الاستعمارية. وقاد الأمير عبد القادر المقاومة ضد الاستعمار لمدة 18 سنة إلا أنه انهزم في عام 1847 بسبب قوة أسلحة العدو مقارنة بأسلحة جيشه، وبعد انهزام الأمير عبد القادر شرع الاستعمار في احتلال المناطق الداخلية للبلاد الجزائرية، فوجد مقاومة عنيفة من الشعب القوي بالإيمان والضعيف من ناحية الأسلحة، ومن هذه المقاومات يمكن لنا ذكر ثورة بومعزة في جبل الظهرة (1844 - 1847)، ومقاومة واحة الزعاطشة والشيخ بوزيد بمنطقة الزيان بنواحي بسكرة عام 1849، وثورة سي قويدر التيطراوي وابنه المختار الملقب ببوحمار بنواحي المدية (1834-1855)، وثورة سي الصفاق في جبل الخنفة وبسكرة عام (1858)، وثورة محمد بوختاش في المسيلة وجبل الحضنة عام 1860، وثورة الزواغة وفرجوة بالباور (1849 - 1864)، وثورة الشريف محمد بن عبد الله بالغرب الجزائري (1842 - 1895)، وثورات أولاد سيلبي الشيخ وبوعلمامة بالجنوب الغربي (1864-1883)، وابن ناصر بن شهرة بورقلة (1851-1875) وبوشوشة في شرق الصحراء (1869-1874)، بالإضافة إلى الكثير من المقاومات التي فشلت في طرد الاستعمار لضعف أسلحتهم وعدم شموليتها أرض الوطن كله.

زحف الاستعمار على منطقة القبائل الكبرى والصغرى مباشرة بعد تراجع وانهزام الأمير عبد القادر، ونشير إلى أن أحمد الطيب بن سالم نائبه على منطقة القبائل كان قد دافع عن المنطقة بكل ما أوتي من قوة وصل إلى حد تهديد الوجود الفرنسي في مدينة الجزائر ذاتها، لكن ضعفت المقاومة باستسلام الأمير عبد القادر، فشرع الاستعمار في احتلال المنطقة شبرا شبرا فاحتل دلس ثم تلاميت وذراع الميزان، ثم تيزي وزو أين أقام ثكنة عسكرية عام 1846.

وصادف الجنرال راندون في حملته على منطقة القبائل جبلا وعرة ورجالا ونساء يدافعون بشراسة عن الدين والوطن والحرية مثل كل أبناء الجزائر في مختلف المناطق، ومن هؤلاء المقاومين نذكر على سبيل المثال أحمد الطيب بن سالم نائب الأمير عبد القادر الذي حاول تنسيق الجهاد مع الشريف بوعود ومولاي إبراهيم بعد استسلام الأمير عبد القادر، مثلما نجد محمد زعموم بالناصرية، بلقاسم أو قاسي بمقلع، والحاج عمر ببوغني، والشريف بوبغلة بذراع الميزان، ولا ننسى الإشارة إلى مقاومة المقراني والشيخ الحداد في عام 1871 التي تعتبر أكبر مقاومة عرفتتها منطقة القبائل. وبرزت أثناء هذه المقاومة كلها شخصية لالا فاطمة نسومر في عام 1854، أطلق عليها الاستعمار الفرنسي لقب جان دارك جرجرة لكن هيات أن تقبل بهذا اللقب، فأية علاقة بينها وبين جان دارك الفرنسية التي ارتكب أحقادها جرائم ضد الإنسانية في الجزائر بإحراق الأطفال والنساء والشيخوخ.

لا يمكن لالا فاطمة نسومر أن تربط إلا بتلك النساء المسلمات اللائي أقمن أمجاد الحضارة الإسلامية ونشرن دين الإسلام الذي حرر الإنسان وكرمه، فإن كان لابد لها من لقب فلن تلقب إلا بلقب «خولة جرجرة» نسبة إلى خولة بنت خويلد التي جاهدت إلى جانب رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم.

في عام 1851 انطلقت في منطقة القبائل مقاومة المجاهد محمد الأجد بن عبد المالك الملقب بالشريف بوبغلة نسبة إلى بغلته التي كانت تضرب بأرجلها كلما اقترب الجيش الفرنسي من

المجاهدين، وفي عام 1854 كان بوبغلة يخوض معركة شرسة ضد الجيش الاستعماري بسواحي سبار
وكانت أن تلحق ببوبغلة الهزيمة لو لم تهب لالا فاطمة نسومر بمجموعة من المجاهدات
والمجاهدين لتتقلنه من الهلاك، وأعطت للجيش الفرنسي درسا لن ينساه، فذاع خبر شجاعتها في كل
منطقة القبائل فأصبح السكان يدعون لها بالنصر في المساجد والبيوت وفي كل مكان فبرزت كقائدة
عظيمة لسكان المنطقة كلها.

كان حلم الجنرال الفرنسي راندون هو السيطرة على منطقة جرجرة بجبالها الوعرة لكنه وجد
صعوبة للوصول إليها، فبعد دراسة ميدانية وجد أنه للوصول إليها كان لابد من العبور عبر عزازقة
فاعتقد أنه بإمكان سكانها السماح له بالمرور عبرها، فأرسل مبعوثا إلى سكانها يقترح عليهم الأمر، فرد
عليه السكان بغضب شديد اقشعرت أبدانهم لما دعاهم إليه فقالوا له : « عد إلى من أرسلك » وقل له
بأن آذاننا صماء للكلام الذي يدعونا للخيانة، فقال الجنرال راندون « ماداموا صمما لكلامنا، فلنبي
سأسمعهم صوت المدافع، ومن خلال موقف هؤلاء السكان أصبحوا يسمون بأعزوقن ومعناه الصم
فصمد أعزوقن صمود الأبطال بأسلحتهم التقليدية، لكن في الأخير سقطت المدينة تحت السيطرة
الفرنسية وفضل سكانها الموت والتعذيب والتقتيل على الخيانة التي دعاهم إليها الجنرال راندون.
بعد سقوط عزازقة أصبح الطريق مفتوحا أمام الجنرال راندون للسيطرة على الأربعة نايت
ايراثن، فهبت لالا فاطمة نسومر تعبى السكان للجهاد وتقول لهم « هيا إلى الجهاد في سبيل الدين
والأرض والحرية وهي مقدسات لا يمكن التنازل عنها بأي ثمن »، فجاء المجاهدون من كل المناطق
تلبية لنداء لالا فاطمة نسومر، فأعطوا الجنرال راندون درسا في التضحية والفداء، في معركة إيشريضن،
وكاد أن يدفن حلم الجنرال راندون إلى الأبد في هذه المعركة. لو لم يتدخل الجنرال مكماهون الحاكم
العام للجزائر بجيش لينقذ الفرنسيين من هزيمة نكراء.

وانسجبت لالا فاطمة نسومر مع المجاهدين والمجاهدات لتتحصن بالقرى تنتظر وصول الجنرال راندون بجيشه الاستعماري، ف وقعت معركة تاشكرت يوم 18 جويلية 1854 التي دامت يومين كاملين أبلى فيها المجاهدون بقيادة لالا فاطمة نسومر وأخيها سي محمد الطيب أحسن البلاء فأرغمت الجيش الفرنسي على الانسحاب تاركا وراءه أكثر من 800 قتيل منهم 25 ضابطا بالإضافة إلى 371 جريح. فأتى الجنرال راندون صعوبة تحقيق أهدافه فطلب الهدنة، وقبلت لالا فاطمة نسومر بها لعلها تكون فرصة للاستعداد أكثر لمواجهة الفرنسيين، فعاد المجاهدون من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر المتمثل في حرث الحقول وزراعتها وصناعة الأسلحة.

طلب الجنرال راندون من السلطات الفرنسية في باريس والجزائر تجهيز جيش ضخم بأسلحة جد متطورة قادرة على أن تنتصر على هؤلاء المجاهدين الأفذاذ الذين عوضوا ضعف سلاحهم بقوة الإيمان بالدين والوطن والحرية. ونقض راندون الهدنة في عام 1857 فزحف فجأة على الأربعة نايت إيراثن بجيش كبير فارتكب جرائم يندى لها الجبين في حق الأطفال والشيخ وسقطت الأربعة نايت إيراثن في يد الاستعمار رغم صمود المجاهدين الأشاوس الذين كلفوا العدو أكثر من 400 قتيل و800 جريح. ووضع راندون حامية عسكرية في الأربعة نايت إيراثن وغير اسمها إلى فور نابليون أي حصن نابليون ليتحول إلى فور ناسيونال بعد سقوط نابليون الثالث عام 1870 وبعد الاستقلال في عام 1962 عادت إلى اسمها الأصلي الأربعة نايت إيراثن.

وتلقى الجنرال راندون التهاني في باريس، لأن الطريق أصبح مفتوحا أمامه إلى جرجرة، ولم يبق له إلا السيطرة على قرية سومر وما جاورها، فشرع في الاستعداد للسيطرة على القرية. أما المجاهدة لالا فاطمة نسومر فرأت بأن أحسن وسيلة للدفاع هي الهجوم، وكانت تقول للمجاهدين « إن الوقت يعمل لصالح العدو، فهو يهاجمنا كلما تلقى دعما جديدا بالأسلحة، فلماذا لا يجب أن نترك لهم المجال للراحة، فعلينا بالهجوم عليهم فوراً قبل وصول مساعدات جديدة إليهم».

وسمع الجنرال راندون عن استعدادات المجاهدين بقيادة لالا فاطمة نسومر، فباغتهم بالمئات والأسلحة الثقيلة يوم 10 جويلية 1857 وعمد إلى قتل الأطفال والشيوخ، فدعت المجاهدة لالا فاطمة نسومر السكان بقولها لهم «إلى الجهاد، إلى الجهاد في سبيل الدين والأرض والحرية والشرف، إلا أنها انهزمت في الأخير في إشريض، واستشهد الكثير من المجاهدين والمجاهدات، وفي هذه المعركة انهبر الجنرال راندون بهذه المرأة العظيمة التي لقنته دروسا حربية فلقبها بـ «جان دارك جرجرة» نسبة إلى امرأة عسكرية فرنسية يعتبرها الفرنسيون بطلة، وفي الواقع حتى نحن نملك عدة بطلات في تاريخنا وحضارتنا ساهمن في بناء الحضارة الإسلامية العظيمة في كل المجالات كالخرب والفن والفن والآداب والعلوم وغيرها.

جابت لالا فاطمة نسومر كل المناطق المجاورة لسومر تعبى السكان للدفاع عن هذا الموقع الاستراتيجي وتقول لهم إذا وقع في يد الفرنسيين فإن منطقة جرجرة كلها ستخضع للرومي ونصبح عبيدهم كما كانت تقول لهم، فهب كل السكان مقتنعين برأي هذه الصديقة المؤمنة بالدين والوطن والحرية، وشرع الجنرال راندون في التحضير بكل ما أوتي من قوة للسيطرة على آخر موقع يفصله عن تحقيق حلمه الممثل في السيطرة على كل منطقة جرجرة مما سيدخله التاريخ من بابها الواسع، لأن هذه المنطقة لم تخضع أبدا للأجنبي وهي رمز المقاومة عبر تاريخ البلاد كله، فكان راندون يقول لو خضعت جرجرة لخضعت الجزائر كلها وانتهت كل مقاومة.

وصمد المجاهدون الأبطال بقيادة لالا فاطمة نسومر وأخيها سي محمد الطيب، فعجز الجنرال راندون عن تحقيق هدفه بالسلاح لأن السكان كانوا مستعدين للدفاع عن أرضهم إلى آخر قطرة من دماهم، فلجأ الجنرال راندون إلى استعمال الخيلة والخدعة، فطلب من لالا فاطمة نسومر إرسال وفد للتفاوض معه من أجل الانسحاب، فأوفدت مجموعة من المفاوضين الذين كانوا يتميزون بالحكمة والحجة بقيادة أخيها سي محمد الطيب فشرعوا في المحادثات ليلا، وفي الوقت نفسه كلف راندون النقيب

فرشو بمداومة مكان إقامة البطلة لالا فاطمة نسومر ليلا وإلقاء القبض عليها، وساعد فرشو في ذلك أحد الخونة الذي كشف لهم مكان إقامتها.

وجهاز النقيب فرشو في إحدى ليالي شتاء 1857 مجموعة من الجنود والضباط يرافقهم الخائن يوسف، فتسللوا ليلا بقرب مكان إقامتها الذي كانت تنتظر فيه عودة الوفد المفاوض، فحاصروا البيت ومن ثم ألقوا القبض عليها، وفي الوقت نفسه حاصر الجنود الفرنسيون المدججون بالسلاح الوفد المفاوض فألقوا القبض على أعضائه.

ونقل المجاهدون الأبطال إلى مكماهون الحاكم العام الفرنسي في الجزائر، وفرح راندون بانتصاراته التي حققها بالمكر والخديعة، ولم يكن يعلم أنه بفعلته تلك قد مرغ شرفه العسكري في التراب، ولم يكتف راندون بذلك بل أمر جنوده بنهب الأموال التي كانت المجاهدة لالا فاطمة نسومر تنفقها على تلاميذ مدرسة أخيها القرآنية كما نهب راندون وجنوده أيضا أكثر من 150 كتابا ثميناً من التراث العلمي والديني لأجدادنا.

وضعت المجاهدة لالا فاطمة نسومر وإخوانها في سجن بيسر الواقعة بين العاصمة وتيزي وزو، ثم نقلوا جميعاً إلى بني سليمان بتابلاط، ووضعوا تحت حراسة مشددة من أحد عملاء الاستعمار وهو الباشاغا الطاهر ابن محي الدين.

تأملت لالا فاطمة نسومر كثيراً لأن الوطن المفقود سيطر عليه الرومي الذي كان ينهب خيراتهِ ويستغل شعبه، ويمسخ دينه وثقافته، وهي عاجزة عن الدفاع عنه، وكانت تفرح في بعض الأحيان عندما تسمع ببعض المقاومات هنا وهناك في وطنها الجزائر إلا أن الألم والحسرة كانا يتغلبان عليها واشتد أكثر بعد وفاة أخيها سي الطاهر في عام 1861، فأصيبت بشلل نصفي لتنتقل إلى رحمة الله في عام 1863 وهي في ربيع شبابها إذ لم تتجاوز 33 سنة كلها جهاد وعبادة لله سبحانه وتعالى، توفيت لالا فاطمة نسومر وتناقلت الأجيال بطولاتها وشجاعتها وعظمتها، وتغنى بها الشعراء ومنهم قاسي نايت

يحي، وقد ألحق بقصة البطلة المجاهدة الكثير من الأساطير والخرافات فمرة يقلب عنها أنها جنية ومرة أخرى أنها لم تكن من البشر وأنها ملاك أنزلها الله للدفاع عن دينه، لكن كل ذلك غير صحيح لأن أصل التفسيرات والأقوال تنتشر بين الشعوب المتخلفة العالجة عن تفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية والبشرية تفسيراً علمياً فتفسرها بالأساطير والخرافات. وهذا هو شأن المجتمعات الإسلامية في القرن 19 م التي دخلت في عصور انحطاط منذ زمن طويل فعوضت العلم والعقل بالخرافة والأسطورة والشعوذة ولو لم تكن مجتمعاتنا متخلفة آنذاك لما سيطر عليها الاستعمار بقوة السلاح.

ولد بن ناصر بن شهرة بالأرباع قرب مدينة الأغواط عام 1804، كان صاحب شخصية مرموقة وشهامة، تعلّم في مسقط رأسه وحفظ القرآن الكريم في صغره وتعلّم مهائى الفقه على مشايخ الطريقة القادرية ورشّح عام 1846 لمنصب آغا على الأرباع خلفاً لأبيه، تزوّج في مطلع شبابه من ابنة سلطان الأغواط (أحمد بن سالم)، ولما احتل المستعمر الفرنسي الأرباع رفض ابن ناصر بن شهرة العيش تحت ظل المستعمر واختار لنفسه الصحراء مأوى لحمل السلاح.

وفي سنة 1852 توجّه إلى مدينة ورقلة واستقر بالرويسات وبدأ من هناك حركته الثورية، بعدها لجأ ناصر بن شهرة إلى منطقة الجريد بالجنوب التونسي، واستمر من هناك يشن الغارات على الفرنسيين من داخل الحدود الجزائرية، ثم بعد ذلك رحل إلى تونس ثم إلى غرب طرابلس واستمر على منازلة جيش المستعمر حتى أرغمه بلي تونس على الرحيل.

كما اشترك في معارك مع قيادات مثل ثورة أولاد سيدي الشيخ التي اندلعت في صيف 1864 وشارك في معارك أخرى مثل معركة واد النساء جنوب بريزينة، ومعارك واد زرقون، ومعارك واد محيقن، ومعركة سيدي الحاج الدين بالساوره كما شارك مع الشيخ المقراني والشيخ الحداد سنة 1871.

اتّجه على متن باخرة يوم 2 جوان 1875 من مرسى حلق الوادي إلى بيروت، ثم بعدها التحق بالأمير عبد القادر بدمشق إلى أن توفاه الله عز وجل سنة 1884 بعد سنة من وفاة الأمير عبد القادر.

الشريف محمد بن عبد الله

يصل نسب محمد بن عبد الله إلى أولاد سيدي أحمد بن يوسف قرب تلمسان، واسمه حسب الوثائق الفرنسية إبراهيم بن أبي فارس، أتم تعليمه وحفظ القرآن الكريم في قبيلته ثم انتقل بعائلته إلى تلمسان حيث اشتغل معلما للقرآن في زاوية أولاد سيدي يعقوب.

في البداية عينه الجنرال بيجو سنة 1842 خليفة على تلمسان لما تظاهر به من ولاء للفرنسيين لكن سرعان ما شكوا في ولائه لهم فعرضوه لمضايقات بعد ذلك اتجه إلى سبيل الكفاح وأعلن الثورة ضد الفرنسيين.

وكان في بداية نشاطه يتستر بثياب التعبد حتى لا يثير شكوك الفرنسيين حوله و عندما اكتشف أمره عام 1844 غادر تلمسان إلى الإسكندرية ومن هناك اتجه إلى مكة لأداء فريضة الحج ، و اتصل بعدد من الجزائريين المنفيين والمطرودين والمهاجرين من الضغط الفرنسي و كان من بينهم " محمد بن علي السنوسي الذي طرد من الجزائر عام 1849

ثم عاد من بعدها إلى ورقلة لإعلان المقاومة مستغلا بذلك ظروف أحداث الثورة في فرنسا 1848 و المقاومات التي كانت تندلع هنا وهناك ، واستقر فيها سنة 1851 ولقب بسلطان ورقلة وفي الوثائق الفرنسية بشريف ورقلة، شملت ثورته الأغواط، ورقلة، توقرت ووادي سوف واستطاع أن يجند العديد من الناس تحت لوائه ، لاسيما القبائل الصحراوية.

و كانت ورقلة أول هدف وضعه نصب عينيه فاستطاع الاستيلاء عليها وجعلها مركزا لنشاطه، وبعد ورقلة فكر في الإستيلاء على توقرت التي تخضع لسلطنة عائلة ابن جلاب فالتجّه إليها و انضم إليه سلطانها السابق سليمان بن جلاب كما انضم إليه سكان متليلي.

غادر بعدها توقرت واتجه إلى جبل عمور لجمع المزيد من الأنصار . و للقضاء على حركته قام الجنرال راندون بتجنيد 3 فرق كبيرة لمحاربهه ، فاشتبك معه في معركة عين الرق وكان ذلك في شهر

أكتوبر 1852 فقتل من الفرنسيين حوالي 200 رجل فاستقبل في الأغواط بعد أن فشل في دخولها من قبل . أظهر بطولة فائقة في الدفاع عن مدينة الأغواط وقصورها خاصة بعد انضمام ابن ناصر بن شهرة، إلى أن سقطت يوم 1852/12/4.

توقف نشاط محمد بن عبد الله إلى غاية فيفري 1853 حين حاول استرجاع الأغواط إلا أنه فشل بعد اشتباكات ومعارك في بريزينة و الرويسات.

انتقل بعدها إلى تونس ثم عاد مرة أخرى إلى ورقلة في شهر سبتمبر 1854 وأخذ يتنقل بين المناطق الصحراوية ويتردد على تونس، إلى أن ألقى عليه القبض بمساعدة الباشا آغا سي بوبكر ولد حمزة أحد عملاء فرنسا سنة 1861، وزجّ به في سجون الفرنسيين إلا أنه استطاع أن يفر من قبضتهم، ولم يظهر مرة أخرى على مسرح الأحداث إلا بعد انطلاق ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864. انضم إلى سي الأعلى و سي الزبير و سي محمد و بقي معهم مدة من الوقت ثم اختلف معهم وانسحب إلى تونس لعدة سنوات ولم يظهر إلا أثناء مقاومة المقراني 1871 فاتصل بابن ناصر بن شهرة في توقرت و بوشوشة في ورقلة وربط صلاته بأولاد خليفة الذي شارك معهم في ملجة واحة " ليانة " بالزاب الشرقي، ومن هناك عبر الحدود إلى " نفطة " و منها بشر العليق ثم وادي بونخان و منه إلى منطقة الكاف التونسية فاعتقله هناك الباي و سجنه عام 1876 بعد حادثة مقتل العربي المملوك حاكم سوف.

بعد احتلال تونس عام 1881 غادر بن عبد الله قريته إلى الحدود الشرقية الجنوبية بجوار طرابلس مدة ثم عاد مع باقي المهاجرين إلى الجنوب التونسي إلى أن توفي عام 1895 بالجنوب التونسي ودفن بقرية دوز التونسية، دامت ثورته حوالي نصف قرن ولقب بالثائر أو المجاهد.

اسمه الحقيقي هو محمد بن محمود بن محمد بن حسين، ولقب شهرته "ابن العنابي".

ولد ابن العنابي سنة 1189 هجرية 1775 ميلادية، عاصر الثورة الفرنسية 1789م التي كان لها تأثير كبير في تشكيل ثقافة العالم المعاصر. وعاصر كذلك حروب الجزائر البحرية مع الإنجليز والأمريكان والفرنسيين والإسبان، وعاصر كذلك احتلال الجزائر سنة 1830 وبسبب معارضته للاحتلال فقد المارشال كلوزيل من الجزائر سنة 1831 وتوجه إلى مصر.

ينتمي المفتي ابن العنابي إلى أسرة جزائرية ذات مكانة فكرية ودينية وسياسية معتبرة، فقد تولي جده الأكبر حسين بن محمد منصب الإفتاء الحنفي وهو أعلى رتبة دينية في الجزائر في زمن العثمانيين ولا يفوق هذه المكانة سوى منصب الداي. واشتهر جده الأدنى محمد بن حسين بالعلم والوجاهة والخطبة عند الحكام العثمانيين للجزائر.

تمتع ابن العنابي بثقافة واسعة وتلمذ على يد كبار علماء عصره، فبرع في علوم الدين والدنيا بما أهله لأن يتولى منصب القضاء الحنفي وأن يقوم بمهام دبلوماسية ناجحة كلف بها من طرف عدد من دايات الجزائر.

اتسمت مواقف ابن العنابي بالنقد الشديد للسلطات الاستعمارية الفرنسية واعترض على علم وفائهم واختراقهم للاتفاق الموقع بين الداي حسين باشا وبين الكونت دوبورمون، مما سبب له النفي من الجزائر التي غادرها مكرها نحو الإسكندرية، وقد التف حول ابن العنابي العديد من التلاميذ وعلماء الأزهر الذين استفادوا من دروسه في الفقه والحديث.

توفي المفتي الجزائري ابن العنابي بمصر سنة 1851 م، ومن أهم المؤلفات التي تركها كتاب "السعي المحمود في نظام الجنود"، ويشرح في هذا الكتاب نظم الجيش الحديث وضرورة الأخذ بأسباب الحضارة حتى لا يبقى العالم الإسلامي فريسة سهلة لأطماع الأوروبيين وغزوات جيوشهم المنظمة والقوية

اسمه الكامل هو محمد أمزيان بن علي الحداد.

انتقلت أسرته من بني منصور واستقرت في إيفيل إيمولة ومنها إلى بلدة صدوق، وفيها امتن جده حرفة الحدادة، لذلك أطلقت تسمية الحداد على الأسرة.

أسس والده زاوية في صدوق، وهي الزاوية التي تعلم الشيخ الحداد قواعد اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم فيها، ثم استكمل تعليمه في زاوية الشيخ أعراب في جبل جرجرة.

وفي نهاية المطاف أخذ الميثاق على خليفة السيد محمد بن عبد الرحمن في زاوية سيدي علي بن عيسى، وعند عودته إلى قرية صدوق تولى تسيير زاوية أبيه واختاره أهله لأن يكون إماما على قرية صدوق. وأصبح بعد ذلك خليفة لطريقة محمد بن عبد الرحمن.

أدى انهيار النظام الإمبراطوري الحاكم في فرنسا وظهور النظام الجمهوري بعد هزيمة نابليون الثالث أمام بسمارك الألماني في سنة 1870 إلى تصاعد نفوذ المستوطنين (الكولون)، وتعرضت سلطة الباشا محمد المقراني إلى اهتزازات، وتعرض المقراني إلى عدد من الاستفزازات والإهانات التي دفعته إلى الاستقالة من منصبه كباشاغا في فيفري 1871، وإعلان الثورة على فرنسا في شهر مارس 1871، وبعد محاصرة مدينة برج بوعريريج امتدت الثورة إلى مختلف مناطق الوطن، وشملت مدن مليانة وشرشل وجيجل والقل وبوسعادة ومسيلة وباتنة وتوقرت وبسكرة. وكان أولاد عدون بالميلية قد قاموا خلال شهر فيفري 1871 بمحاصرة القوات الفرنسية.

وفي هذه الظروف برزت خلافات بين زوايا منطقة القبائل، منها زاوية الرحمانية بصدوق وشلاطة وإبلولة، وانقسموا حول الموقف من ثورة المقراني، فأعلن الشيخ الحداد الجهاد في 8 أبريل 1871، فانضم الكثير من أتباع الطريقة الرحمانية إلى صفوف الثورة واشتعلت الأوضاع في دلس وتيزي وزو

وصور الغزلان ودراع الميزان والبويرة، وكان لأتباع الشيخ الحداد وابنه عزيز من الإخوان الرحمانيين دور بارز في انتصارات الثورة.

وشاء الله أن يستشهد قائد الثورة محمد المقراني في 5 ملي 1871 بسبب غدر أحد الحوّن التابعين للإدارة الفرنسية، فدبت الخلافات في صفوف الثوار مما جعل الشيخ الحداد يستسلم في 24 جوان 1871 لقوات الجنرال "لامان"، فحكم عليه بالسجن 5 سنوات في سجن انفرادي في قلعة بلال بيجاية، ولكنه لم يحتمل السجن لكبر سنه فتوفي في أواخر أفريل 1873 عليه رحمة الله.

هو الحسين بن أحمد الملقب بمولاي الشقفة، من الشخصيات الثورية الجزائرية التي حملت لواء المقاومة ضد العدو الفرنسي، وقد ظهر في منطقة الشمال القسنطيني.

كان رجلا متدينا، أقام علاقات متينة مع الشيخ عزيز بن الشيخ الحداد ودعم مقاومته، بعد الانضمام إليه في 20 جوان 1871، بعدها قدم العون للمجاهدين في منطقة الزواغة بتاريخ 4 جويلية 1871. لكن القوات الاستعمارية الفرنسية استطاعت إلقاء القبض عليه في 21 أوت 1871.

محمد بن عبد الرحمن

هو الشيخ محمد الصالح بن عبد الرحمن المدعو محمد بن جبار الله، وكان سكان المنطقة يلقبونه بالشيخ بوبرمة. ولد حوالي عام 1849 بقرية جبار الله من عرش بني بوسليمان، ينتمي إلى الطريقة الرحمانية. ويرتبط اسم هذا البطل بأهم مقاومة في الشرق الجزائري وهي مقاومة الأوراس.

كان إماماً بجامع قرية الحمام وشيخاً للزاوية الدينية بها، اشتغل بتدريس القرآن والإمامة في مسجد سيدي عيسى بوقبرين بقرية جبار الله قبل أن يلتحق بقرية الحمام.

كان إماماً متديناً وتابعاً للطريقة الرحمانية، وكان قد ورث المشيخة الدينية كرئيس للرحمانية عن الشيخ إبراهيم بن سي صادق واستطاع أن ينشر نفوذه على العديد من القبائل ويشحنهم بروح المقاومة والجهاد ضد العدو الفرنسي وبهذا العمل أصبح له أنصار وأتباع ومريدين، وقام باتصالات متتالية مع العديد من رفقاء السي الصادق لتدارس الأوضاع وإمكانية القيام بمقاومة عارمة في المنطقة ضد العدو الفرنسي، ومع مطلع سنة 1879 تهيأت كل الظروف لاندلاع هذه المقاومة الشعبية بزعامته.

الحاج سيدي السعدي

من عائلة دينية ثرية لها زاوية قرب سيدي عبد الرحمن الثعالبي، في هذا الوسط الديني ترعرع الحاج السعدي، في سنة 1827 أدى فريضة الحج، بقي مدة عامين بالشرق وأثناء عودته زار مدينة ليفورنيا والتقى بالداي حسين بعد نفيه. التحق الحاج السعدي بصفوف المقاومة في متيجة بعد أن رفض دخول مدينة الجزائر وهي تحت السلطة الفرنسية.

انضم الحاج السعدي إلى محمد بن زعموم، واستغل نفوذه الروحي وعلاقاته مع جل شيوخ الزوايا ورجال العلم في المنطقة، حيث اشترى حصانا وأخذ يتصل بالشيخ ويحرضهم على الجهاد فكان بحق الزعيم الروحي لمقاومة متيجة، عينه الأمير عبد القادر خليفة له على متيجة ما بين 1835-1837، توفي سنة 1843.

الشريف بوشوشة

ولد محمد بن التومي بن إبراهيم المدعو بوشوشة (بمعنى الفارس) بقرية الفيشة قرب جبل العمور حوالي 1827 من أسرة فقيرة.

عاش منذ صغره حياة الرعي والفروسية وتعلم ما تيسر من القرآن الكريم وبعدها انتقل نحو فتيق لجمع الأموال والمؤن والأسلحة الضرورية لتنقلاته وحركته فتعرض للاعتقل وأدخل السجن سنة 1862 لمدة.

حاول أن يلعب دورا في مقاومة أولاد سيدي الشيخ لكنه لم ينجح في مسعاه. قام برحلة نحو تونس وطرابلس وبعد عودته إلى الجزائر جند بوشوشة جماعة من عين صالح فبايعته قبائل الشعانية على الجهاد ضد الفرنسيين واستطاع تحقيق انتصارات عديدة عليهم.

ينتسب الشيخ أمود بن المختار إلى قبيلة إيمانان التي استوطنت منطقة جانت آتية من الساقية الحمراء ووادي الذهب وفي هذه المدينة الجزائرية الصحراوية تعلم القرآن وحفظه، ونهل من معين اللغة العربية استطاع الشيخ أمود أن يتزود بالعلم والمعرفة، فقام بعدة رحلات علمية منها رحلته إلى مدينة تامنغست وعين صالح وهذا ما جعله محط أنظار سكان قبائل التوارق الذين التفوا حوله عندما ناداهم إلى الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي في المنطقة.

وقد ألحقت مقاومة الشيخ أمود عدة هزائم بالجيش الفرنسي في الجزء الشرقي من الصحراء الجزائرية. ومن أهم معاركه ضد الاستعمار معركة بشر الغرامة عام 1881 التي تم فيها القضاء على الضابط الفرنسي فلاترز. وكذلك معركة جانت عام 1909 يضاف إليها معارك أخرى في عين صالح وتامنغاست وعين إيجن 1916 وقد وجد الشيخ أمود سنداً قوياً في هذه المعارك التي خاضها ضد الفرنسيين يتمثل في الطريقة السنوسية التي كانت تمهّد بالسلاح وتجاهد إلى جانبه.

البطل محمد المقراني

ولد محمد المقراني ما بين 1810-1820 بمنطقة مجانة ولاية برج بوعرييج من أسرة كبيرة ذات مكانة سياسية بارزة، كان والده محمد المقراني خليفة على منطقة مجانة وفي سنة 1853 توفي والده وعينت السلطات الفرنسية ابنه محمد المقراني باشاغا على مجانة.

اشتعلت نيران المقاومة الجزائرية بعد توسع زحف العدو نحو المناطق الداخلية، فرأى محمد المقراني أن من واجبه إعلان الثورة ضد المحتلين، قدّم استقالته يوم 27 فيفري 1871 وأعدّ شارة الباشاغا لوزارة الحرب الفرنسية وبدأ بتحركاته الثورية منذ مطلع جانفي 1871.

ومن بين معاركه الشهيرة حصاره للجيش الفرنسي بمدينة برج بوعرييج يوم 16 مارس 1871 واستمرّ الحصار إلى غاية 26 مارس لكن كثرة جنود القوات الفرنسية أدت بالمقراني إلى الانسحاب، ومن بين المعارك أيضا معركة ضد الجنرال سنوسي بمنطقة مجانة يوم 12 أبريل قرب جبل تفرطاست شمال مجانة واستمرّ الحجاج المقراني في نضاله وتحركاته وهو في الطليعة على رأس المجاهدين حتى أتى يوم 5 ماي 1871، ففي هذا اليوم كان المقراني في مواجهة مع العدو الفرنسي بقيادة العقيد تروملي حاكم سور الغزلان بموقع (واحي سوفلان) واستمرت الاشتباكات حتى منتصف النهار ثم اغتنم الشيخ محمد المقراني الفرصة لأداء صلاة الظهر هو ومن معه من المجاهدين ولم يأخذ الاحتياطات اللازمة وهو في صلاته ظهر عدد من جنود الزواف الفرنسيين وأطلقوا أربع رصاصات في جبينه فسقط المقراني شهيدا، حمل الثوار جثمان الشهيد محمد المقراني إلى قلعة بني العباس ودفن في مسقط رأسه.

الشيخ بوعمامة

ولد الشيخ محمد بن العربي المدعو بوعمامة بقصر الحمام الفوقاني من واحات فيجيج على الحدود المغربية الجزائرية سنة 1840 تعلّم كباقي الشوار الجزائريين تعاليم الدين ومبادئ اللغة وحفظ القرآن الكريم وفي سنة 1875 انتقل هو وعائلته إلى مفرار التحتاني وسط جبل القصور وهناك أنشأ زاوية لتعليم القرآن ودراسة المسائل الفقهية، وهناك اشتهر اسمه وكثر أتباعه واشتهرت أراؤه الجهادية في شهر مارس 1880 أصدرت السلطات الفرنسية أمرا بإيقافه واعتقاله إلا أن الضابط دوكاستري رفض بعد أن قابلته وتأكّد أن سكان المنطقة سيشتعلون ثورة إن تمّ إيقافه.

ظهرت شجاعة الشيخ بوعمامة في أول معركة خاضها مع العدو وكانت في 27 أبريل 1881 واسمها معركة سفيفة جنوب عين الصفراء ثم معركة مولاق يوم 19 ماي 1881 الشهيرة قرب قصر الشلالة بجبال القصور قادها العقيد إيسنوسني للقوات الفرنسية وسيبت المعركة خسائر بشرية ومادية للعدو الفرنسي على إثرها تمّ عزله عيّن بدله الجنرال ديترى، ثم ظهر تحدي الشيخ بوعمامة للجيش الفرنسي في مسيرة دامت 23 يوما من 30 جوان إلى غاية 21 جويلية بداية من الشمال مرورا بالبيض وفرنلة ثم سعيطة وعاد ثانية إلى الجنوب الغربي كانت المسافة حوالي 730 كيلومترا كانت مسيرة ناجحة لم يتمكن المستعمر من إيقاف الشيخ بوعمامة واجتاز الحد الفاصل بين التل والصحراء بنجاح ووصف العدو عملية الشيخ آنذاك بالعملية الجريئة .

وانتقاما لهذه العملية قام الضابط لويس بتدمير زاوية الشيخ بوعمامة وإتلاف ممتلكاته بعدما دخل الشيخ بوعمامة إلى المغرب الأقصى سنة 1883 وبالضبط واحة دلدول بمنطقة قورارة واستقر هناك إلى غاية 1894، أنشأ فيها مدرسة قرآنية وظل هناك يتتبع أخبار الثورة الجزائرية وبعدها انتقل إلى وجدة المغربية وهناك وافته المنية في 7 أكتوبر سنة 1909 بعد عمر يقارب 70 علما قضى أكثر من 20 عاما في الجهاد.

الشيخ عبد الحليم بن سماية

هو عبد الحليم بن علي بن سماية من أعيان مدينة الجزائر من أسرة مشهورة بالعلم والتدين. ولد عبد الحليم بن سماية بالجزائر العاصمة في 15 يوليو (جويلية) 1866.

يعتبر من الجيل الذي التحق بالمدرسة التي فرنستها قرارات شانزي، كما يذكر الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه الموسوعي (تاريخ الجزائر الثقافي). ولذلك يعتبر الشيخ عبد الحليم بن سماية من المثقفين الذين يجيدون اللغتين العربية والفرنسية، كما كان متمكنا من العلوم الإسلامية.

زار بلاد الشام وأدى فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وانتقل إلى تونس للدراسة وتحصل فيها على إجازة من العالم الجزائري المهاجر محمد بن عيسى الجزائري. وتحصل على إجازة من شيخ زاوية الهامل ببوسعادة الشيخ محمد بن بلقاسم.

اشتغل الشيخ عبد الحليم بن سماية بالتدريس، وله مساهمات في كتابة الشعر، واشتهر بمقالات الصحفية ومراسلات مع معاصريه. وكان الشيخ عبد الحليم من المواظبين على قراءة مجلة "المنار" التي كان يصدرها الشيخ محمد عبده، وقد تبنى مذهبه الإصلاحية.

وكان الشيخ بن سماية من أبرز المستقبلين والمرافقين للشيخ محمد عبده عندما زار الجزائر في سنة 1903، وله صور تذكارية معه.

واعتبرت زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر من الأحداث الهامة التي مهّدت لظهور تيار الإصلاح الفكري والديني في الجزائر على يد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الإمام المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس.

وشارك الشيخ عبد الحليم بن سماية في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر بالجزائر سنة 1905، وألقى بحثا عن وضع الإسلام.

تميز الشيخ بمواقفه الشجاعة واعتزازه بحضارته العربية الإسلامية، وكان من معارضي قانون التجنيد الإجباري ومن أنصار حركة الجامعة الإسلامية.

الشيخ حمدان الونيسي

هو الشيخ حمدان بن أحمد الونيسي أو ابن الونيسي. ولد في سنة 1856 في مدينة قسنطينة من عائلة عريقة.

وفي سنة 1881 عين مدرسا بالجامع الكبير بقسنطينة وعمره لا يتجاوز 25 سنة، وكان هذا المنصب يخصص في العادة لكبار الشيوخ وفحول العلماء، ولكن الشيخ حمدان تمكن من ملأ مكانه في الجامع الكبير، وأصبح من أعيان مدينة قسنطينة، وكان في سنة 1891 من بين أعيان المدينة الذين وضعوا توقيعاتهم على عريضة مظالم من سكان قسنطينة ضد السلطات الفرنسية.

ظل الشيخ حمدان لونييسي يمارس دوره في الجامع الكبير في منصب مدرس ومربي الجيل الذي ساهم في تحقيق نهضة الجزائر العلمية والثقافية قرابة 30 سنة. وقد وصفه أحد المشرقين الفرنسيين بأنه كان "من بين المدرسين الأكثر ذكاء وإخلاصا للتعليم الإسلامي".

وفي سنة 1910 طردته الإدارة الفرنسية من منصبه وكان إمام الحركة الإصلاحية رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ عبد الحميد بن باديس قد التحق بدروسه في سنة 1907 وعمره آنذاك 18 سنة، وكان من أصغر تلاميذ الشيخ الونيسي.

وبعد أن تم طرد الشيخ الونيسي من الجامع الكبير فضل التوجه إلى البقاع المقدسة وزيارة الحرمين الشريفين، وكان ذلك في سنة 1910 واستقر في المدينة المنورة.

والتف حوله عدد من التلاميذ ومن العائلات الجزائرية المهجرة، ومنها عائلة الشيخ البشير الإبراهيمي وعائلة الشيخ الطيب العقبي.

وقد التحق الشيخ عبد الحميد بن باديس بأستاذه الونيسي في المدينة المنورة وأراد البقاء
هناك ولكن الشيخ حمدان الونيسي نصح تلميذه عبد الحميد بالعودة إلى الجزائر لتسيير
الشعب وزرع بذور النهضة والانبعاث.

وفعلا بعد عودة الشيخ عبد الحميد بن باديس واجتماعه بأصحابه النجب من أمثال
الشيخ الإبراهيمي والشيخ العقبي تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت
حركتها خيرا وبركة على الشعب الجزائري.

وبعد سنين طويلة قضاهما الشيخ حمدان الونيسي في التدريس بمدينة الرسول الأعظم
محمد ﷺ، أي المدينة المنورة التحق بحوار ربه ودفن هناك وبذلك كان الشيخ عبد الحميد بن
باديس عندما يذكره يقول عنه :

"شيخني وأستاذي العلامة الفقيه سيدي حمدان الونيسي دفن طيبة الطيبة".

دخلت الجزائر بعد خمود ثورة 1871م بقيادة الحاج المقراني، والشيخ أحماد في مرحلة متقدمة من تثبيت الاستعمار الفرنسي على أرض الجزائر المجيلة.

ورغم الثورات والانتفاضات التي اشتعلت هنا وهناك إلا أن الأمل في تحرير الوطن من القبضة الاستعمارية تراجع في قلوب البعض، وأجل آخرون التفكير في ذلك إلى حلول الفرصة السالحة.

عرفت الجزائر في تلك الفترة انتشارا رهيبا للمجاعة والأوبئة، وتحولت يوميات الشعب الجزائري الطاهر إلى يوميات استعباد وقهر وحرمان، فلم يعد يمثل الفرد الجزائري في نظر المستعمر، سوى أداة شغل حقيرة تنتهي الحاجة إليها بنهاية العمل.

... وفي هذه الظروف المغزية، ومع مطلع القرن العشرين، تولد الأمل في جيل جزائري جديد نرد على الوضع القائم، وراح يفكر في سُبُل الخلاص... فكانت بدايات انبعاث الحركة الوطنية الجزائرية، ومن بين هؤلاء سطع نجم الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر بن الشيخ محي الدين أحد رموز المقاومة الوطنية المسلحة للاستعمار الفرنسي.

سنحاول من خلال هذه الصفحات، التعريف بشخص الأمير خالد الذي يعتبر "باعت الحركة الوطنية الجزائرية".

هو حفيد الأمير عبد القادر من الأمير هشام، ولد في 20 فيفري 1875م، بالعاصمة السورية دمشق التي تربى فيها وترعرع إلى غاية 1892م، تاريخ تنقل عائلته إلى الجزائر، وكان آنذاك طالبا ثانويا بالعاصمة باريس (1885 - 1893م) وكان عمره ثمانية عشر سنة حينما تخرج من الثانوية ليدخل المدرسة العسكرية في نفس العام 1893م باقتراح من والده وتخرج منها بعد أربعة سنوات عام 1897م. شارك الأمير خالد في الحرب العالمية الأولى، في الجبهة الأوربية، ووصل لرتبة نقيب، وبعد نهاية هذه الحرب قرر الدخول إلى الجزائر، والشروع في العمل السياسي، فأسس "جماعة النواب" وأصدر

جريدة الإقدام، ورفع مطالبه إلى مؤتمر السلام بفرساي، وفي ربيع سنة 1922م، تقدم الأمير خالد بمطالب إصلاحية لألكسندر ميليران - رئيس الجمهورية الفرنسية عندئذ - أثناء زيارته للجزائر، وبعد سنة قضت الحكومة الفرنسية بنفيه، فنقل ساحة نضاله إلى فرنسا فقام بعقد عدة مؤتمرات واتصالات مع المهجرين من أبناء الشمال الإفريقي، والمنفيين السياسيين من المستعمرات.. الخ، وفي سنة 1924م تقدم بمطالب للرئيس الفرنسي " إدوار هيريو " وفي أوت 1925م، حوكم الأمير خالد في الإسكندرية من طرف المحكمة القنصلية الفرنسية، فاتهم بحمل جواز سفر مزور، ومحاولة الهروب من منفاه إلى أوروبا. بعد أن تم اعتقاله في مصر، في طريقه إلى بور سعيد، متجها إلى إيطاليا.

وقد حصل على جواز سفر من السلطات المصرية، وأذن له القنصل الإيطالي بدخول إيطاليا واعترف الأمير خالد بهذه التهمة، وقال أنه كان مضطرا لذلك، توفي الأمير خالد في أواخر عام 1936م عن عمر يناهز الـ 61 عاما .

خلال الفترة 1911م - 1912م، طغت قضية التجنيد على الحياة السياسية في الجزائر، فاستغلت النخبة المثقفة هذه القضية، لدخول الميدان السياسي من بابه الواسع.

واعتبرت الجماهير الجزائرية في المدن والأرياف، أن التجنيد وسيلة ابتكرها الاستعمار الفرنسي لمصادرة أرواح الجزائريين بعد مصادرة أملاكهم وأراضيهم. أما النخبة فتناولت القضية من الزاوية القانونية، إذ أن القانون الذي فرض إجبارية الخدمة العسكرية على الشباب الجزائري المسلم، سيمنح له حتما بالموازاة حقوقا سياسية، كحق الانتخاب مثلا.

وما كان مؤكدا آنذاك أن فرض التجنيد الإجباري على الجزائريين، كان يهدف إلى تطبيق السياسة الاستعمارية لفرنسا... فمن فرض الحماية الفرنسية على المغرب الأقصى، إلى التوسع الاستعماري بإفريقيا السوداء

وفي شهر فيفري 1912م، صدر قانون التجنيد الإجباري، دون أن يتزامن معه التغيير المرجو في حالة الأهالي، وفي شهر جوان من نفس السنة، أرسلت السلطات بالجزائر وفدا مفرنسا إلى العاصمة باريس، حاملا لائحة حشرت فيها مطالب الجزائريين، في زاوية ضيقة تخدم مصالحه، دون الأخذ بعين الاعتبار اهتمامات المواطنين، مما دفع بجريدة "الحق الوهراني"، إلى الدعوة لتشكيل لجنة وطنية لجمع عرائض الأقاليم، وصياغة لائحة عامة تهدف إلى تحقيق مطالب عامة أوسع من مطالب الأقلية المفرنسة المذكورة. ونشرت الجريدة هذه اللائحة تحت عنوان: "ميثاق الشعب المسلم" في عددها السادس والثلاثين، واحتوى الميثاق على ثلاثة أنواع من المطالب:

دعوة الإدارة إلى ضرورة إصلاح أوضاع الفلاحين الأهالي، وحمايتهم من المبادرة والمضاربة العقارية، وتقديم المساعدات التقنية والمالية لهم.

إلغاء قانون الأهالي، والإجراءات التعسفية الأخرى، ومنح الحقوق السياسية والمدنية للجزائريين، أبى المطالبون الليونة في طريقة منح هذه الحقوق، إذ لا مانع لهم أن تمتح هذه الحقوق تدريجيا، على أن لا يلزم المتمتع بها على التخلي عن أحواله الشخصية وشريعته الإسلامية.

المطالبة بتعميم التعليم الابتدائي، وإعادة الاعتبار للغة العربية، ومعاملة المعلمين الجزائريين معلمة لائقة وتسوية رواتبهم برواتب المعلمين الأوروبيين.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، شرعت حكومة كليمانصو، في إصلاحات جريئة، بتاريخ 04 فيفري 1919م، وقد كانت مفيدة للعنصر الجزائري، حيث أوجدت المساواة في الضرائب، فألغيت الضرائب الأهلية، وألغيت القوانين الصارمة، وزادت في عدد الناخبين للمجالس التمثيلية المحلية.

إلا أن هذه الإصلاحات كانت عقيمة في عمقها السياسي، فلم تتحقق بها أمل الذين أرادوا المساواة في الحقوق والواجبات مع باقي المواطنين الفرنسيين. مما دفع بهم إلى الاستمرار في المطالبة بحقوقهم الشرعية، في حين رفض الأوروبيون المقيمون في الجزائر، بشكل قطعي هذه الإصلاحات.

وتزعج الجانب الجزائري الأمير خالد، فيما طغى على الواجهة الأوروبية أحد المعمرين ويسمى
"أبو"، الذي تمكن من جمع مجموعة من الشيوخ في مختلف أقطار الجزائر، ليعبروا للوالي العام المعمر
لتطبيق إصلاحات حكومة كليمانصو، عن قلقهم إزاء الحقوق الممنوحة للجزائريين "كحق التسليح دون
مانع".

وانضم إلى هذا المسمى مجموع النواب المنهزمين أمام الأمير خالد في الانتخابات التي جرت نفس
السنة فاضطر الوالي العام إلى إلغاء الكثير من الحقوق، والرجوع إلى أحكام قانون الأهالي الفرنسي
الذي لم تلغ بعض بنوده، إلا بعد 1930م كالنفي الإداري.

لم يئأس الأمير خالد في المطالبة بمنح الجزائريين كامل حقوقهم، كمواطنين فرنسيين، في إطار
الشخصية الإسلامية وهو يعلم أن ذلك مستحيل كون السلطة الفرنسية في باريس، لن تسمح بأن يكون
ثلاثون ألف أوروبي رهينة بيد خمسة ملايين مسلم.

وقد ألب موقف الأمير خالد جهات عديدة ضلته، كالحكومة الفرنسية بباريس، والمستوطنين
الأوروبيين والراغبين من أبناء الجزائر في الالتحاق بالأوروبيين، ولو على حساب أمل وحقوق الأمة
الجزائرية، وهي الحالة التي عبر عنها الإمام عبد الحميد بن باديس قائلا: "أخذت الحكومة وأخذ
الاستعمار يضيقون النطق حول خالد وأنصار خالد، فانفض من حوله كل الذين كان يعتمد عليهم
وعداؤه أغلب من كان قد والا، ووجد نفسه وحيدا أمام أمة منقادة طائعة، قصارى ما تستطيع عمله هو
أنها توصله إلى كراسي النيابة، وأمام قوة استعمارية رهبة آلت على نفسها أن تمحو اسمه من الوجود في
الجزائر، وأمام رجل كونهم من العدم السياسي وأخرجهم لعالم الظهور، فقلبوا له ظهر الحزن، وأصبحوا
حربا عليه ووبالا".

ولما اشتد الوضع تأزما حول الأمير خالد تدخل أحد أعيان الجزائر، وهو السيد عمر بوضربة
الذي يعتبر من ألد خصوم الأمير سياسيا، ومن أصدقائه الشخصيين، فعرض عليه التوسط بينه وبين

الحكومة، على أساس أن يترك الجزائر، إلى أجل نهاية الأزمة السياسية فيها، ويعود بعدها وقت ما يشاء
فقبل الأمير بالعرض. فدفعت الحكومة الفرنسية كامل ديونه المقدرة بـ 85 ألف فرنك فرنسي، وتركت
له تقاعده العسكري وأوصلته إلى سوريا، بعدما استقل من عضوية المجالس البلدية التي فاز فيها بالأغلبية
الساحقة هازما "ابن تامي" الذي كان على رأس قائمة ثانية، و"شكيكن" على رأس قائمة ثالثة.

ورغم مغادرته الجزائر، إلا أنه بقي يراقب عن كثب، نشاط وتطور نجم الشمال الإفريقي، الذي
عين رئيسا شرفيا له، وكان رئيسا لأحد فروعه بباريس.

لم يكن ضمن البرنامج السياسي للأمير خالد، إشارة واضحة للاستقلال، واكتفى في أبريل
1916م، بالمطالبة بتشغيل اليد العاملة الجزائرية بفرنسا، وحققها في الوقاية الصحية والاجتماعية، وبإلغاء
القوانين الاستثنائية الخاصة بالجزائريين، وبحقهم في التمثيل السياسي والإداري في المجالس المنتخبة.

وأثناء مؤتمر السلام الذي أعقب الحرب العالمية الأولى، تقدم الأمير خالد برسالة إلى الرئيس
الأمريكي ولسن، يطالب فيها بضرورة تمثيل الجزائر ضمن عصبة الأمم، وهو ما يعني سياسيا وقانونيا
قيام دولة جزائرية لها شخصيتها السياسية المستقلة عن فرنسا.

وفي عام 1922م، طالب بالمواطنة الفرنسية في ظل احترام الأحوال الشخصية الإسلامية، ثم بحق
النيابة في البرلمان الفرنسي. وفي عام 1924م، اكتمل البرنامج السياسي للأمير خالد، والمخصص في
الرسالة الموجهة للرئيس "هريو" بمناسبة انتخابه رئيسا للجمهورية الفرنسية، وتضمن عشرة مطالب
سياسية ذكرها في الملحق التالي.

ولد الشيخ عبد الحميد بن باديس يوم 4 ديسمبر 1889 بقسنطينة أبوه محمد بن مصطفى بن مكي بن باديس وأمه زهيرة بنت علي بن جلون. ينتسب ابن باديس إلى أسرة كبيرة وذات وجاهة، تمتد جذورها إلى قبيلة صنهاجة البربرية التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ البلاد، أثناء العصور الإسلامية المزدهرة في المغرب الإسلامي. وتمتد شجرة العائلة للشيخ ابن باديس إلى بلكين بن زيري مؤسس دولة بني زيري والذي بنى كل من مدينة الجزائر العاصمة ومليانة والمدية في القرن العاشر الميلادي، وكذلك نجد أحد أجداده هو المعز بن باديس الذي خلّص البلاد من السيطرة الفاطمية في عام 1048م.

كان بإمكان والد عبد الحميد بن باديس إدخال ابنه إلى المدرسة الفرنسية مثلما تفعل أغلب العائلات الغنية آنذاك لكنه رفض ذلك وفضل أن يلقنه تربية إسلامية، فأتى له بالمعلم إلى البيت، وكان الشيخ محمد المداسي أول معلم لعبد الحميد بن باديس وقد أعجب بذكاء الصبي مما جعله يقدم لإمامة المصلين في صلاة التراويح ثلاث سنوات كاملة في الجامع الكبير بقسنطينة.

ويعتبر الشيخ حمدان لونيسي من الأساتذة الذين تركوا تأثيراً بليغاً في الشيخ عبد الحميد بن باديس، وكان وراء رفضه تولي أية وظيفة في الحكومة الاستعمارية، ويقول عن ذلك «فقد أوصاني وشده علي أن لا أقرب الوظيفة ولا أرضاها ما حييت ولا اتخذ علمي مطية لها كما كان يفعل أمثالي في ذلك الوقت». ونظراً لحدى ارتباط ابن باديس بأستاذه فإنه أراد مرافقته إلى الحجاز، لكن أباه رفض ذلك فوقع الشيخ ابن باديس في حيرة بين اتباع أستاذه الناصر ضد الاستعمار أو طاعة والده الذي لم ييخل عليه بأي شيء من أجل تعليمه حيث كان يقول له «يا عبد الحميد أنا أكفيك أمر الدنيا أنفق عليك أقوم بكل أمورك، ما طلبت شيئاً إلا لبيت طلبك كلمج البصر فاكفني أمر الآخرة، كن الولد الصالح

العامل الذي ألقى به وجه الله. وكان والد ابن باديس الذي عجز على مواجهة الاستعمار مباشرة أراد تعويض ذلك بتنشئة ابنه للمقيام بهذه المهمة، لعل ذلك العمل يشفع له عند لقاء ربه يوم القيامة.

وعند التاسعة عشرة من عمره، التحق ابن باديس بجامع الزيتونة بتونس، فتحصل على شهادة العلمية بعد أربع سنوات من الدراسة، عُرف فيها بكثرة المطالعة، فكان ينهل من الصحف والكتب التي كانت تأتيه من المشرق الإسلامي، وقد كونت فيه هذه المطالعة شخصية مميزة ومستقلة في آرائه، مثلما امتلك روحاً نقديّة فهو يُخضع كل شيء للنظر والنقد فأصبح يناقش أساتذته في العديد من القضايا، مثلما طرح فكرة تجديد التدريس بجامع الزيتونة، واستبدال الطريقة التقليدية بطرق وبرامج حديثة، مما جعله عرضة لهجوم الرافضين لكل جديد والمتمسكين بالقديم حتى ولو كان بالياً. ويعترف ابن باديس بأن أساتذته في الزيتونة محمد النخلي كان وراء امتلاكه روح النقد ورفض التقليد فيقول: «كانت على ذهني بقية من غشاوة من التقليد واحترام آراء الرجال حتى في دين الله وكتاب الله، فذاكرت يوماً الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق، فقل لي: اجعل ذهنك مصفوفة لهذه الأقوال المختلفة، وهذه الآراء المضطربة، يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتسترح ... فوا لله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة عن ذهني آفاقاً واسعة لأعهد له بها»

أنهى ابن باديس تعلّمه وهو في الثالثة والعشرين من عمره، فاكسب علماً إلى جانب أخلاق عالية استمدّها من الإسلام، فكان شديد الوفاء، والإخلاص، والشجاعة، والجرأة، والصلوق فكان لا يحامل في الحق، وكان يتميز بالتسامح مع كل الأجناس والأديان فيقول: «أنا زارع محبة، ولكن على أساس من العدل والإنصاف والاحترام مع كل أحد من أي جنس كان، ومن أي دين كان، فكان شديد الاحترام لآراء الآخرين، فلا يتعصب بجنسه ولا لدينه ولا لرايه. وكان تعصبه الوحيد للحق والعدل وفي جميع الظروف.

عبد ابن باديس إلى قسنطينة في عام 1913 وهو مسلح بالعلم والأخلاق العالية، فلما أراد استخدام ذلك في خدمة أمته وشعبه لا مصلحته الخاصة، فشرع يعلم الناس ويلقي عليهم الدروس في الجليل الكبير بقسنطينة، لكن السلطات الإستعمارية تدخلت فمنعته من ذلك لأنها تدرك أن ابن باديس يحمل أفكاراً جديدة وحية نابعة من الإسلام الصحيح الرافض للاستعمار والظلم والجهل والتخلف مما يمكن أن يكشف عملاء الاستعمار الذين كانوا يتسترون وراء الدين للإبقاء على تخلفه وجهله وخضوعه فكانوا يقولون للشعب إن الاستعمار من القضاء والقدر أي المكتوب فلماذا ترفضون ما كتبه الله لكم فلم يستطع ابن باديس مواجهة الاستعمار لوحده فاضطر للهجرة إلى الحجاز للتعلم أكثر واكتساب الخبرة والتجربة والالتقاء بالكثير من العلماء الجزائريين الرافضين للاستعمار من أجل جمع شملهم والتخطيط الجماعي والتفكير في كيفية مواجهة هذا الاستعمار الذي يعمل من أجل فرنسة الشعب الجزائري والقضاء على شخصيته.

لم تكن هجرة الشيخ عبد الحميد ابن باديس إلى الحجاز هروباً من القمع الإستعماري أو استسلاماً للعجز عن مواجهته، بل كانت وفق منهج «تراجع خطوة إلى الوراء من أجل تقديم خطوات إلى الأمام».

فعندما ذهب إلى الحجاز تعرف عن قرب على المصاعب والعراقيل التي تواجه حركات الإصلاح الديني في المشرق العربي، فاطلع على تجارب جهل الدين ومحمد عبده، وأكثر من هذا فقد وجد في الهجرة ذريعة للهروب من التجنيد الإجباري الذي كان يفرضه الإستعمار الفرنسي على كل شاب جزائري بلغ سن التجنيد.

وقد التقى ابن باديس بأستاذة حمدان لونيسي الذي نصحه بالعودة إلى الجزائر من أجل خدمة الإسلام والعربية اللذين يهددهما الإستعمار، ويمكن القول أن المشروع الإصلاحي لابن باديس قد وُضع في الحجاز حيث كان يلتقي يومياً بصديقه الطيب العقبي والبشير الإبراهيمي اللذين أسامعا

جميعه العلماء المسلمين الجزائريين في عام 1931، ويقول الإبراهيمي عن تلك اللقاءات بأنها «تدبيراً للوسائل التي تنهض بها الجزائر ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضة الشاملة التي كانت لها صور ذهنية تترامى في مخيلتنا، وصحبها من حسن النية وتوفيق الله ما حققها في الخارج بعد بضع عشرة سنة، وأشهد الله أن تلك الليالي من عام 1913 ميلادية هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود إلا في عام 1931».

وعاد ابن باديس إلى الجزائر، مروراً بسورية ولبنان وفلسطين ومصر فالتقى بالكثير من العلماء فاستزاد منهم علماً واطلع على تجاربهم في الإصلاح للاستفادة منها في تحقيق أهدافه في الجزائر.

عاد ابن باديس ورفاقه إلى وطنهم الجزائر الذي كان يعاني تحت سيطرة الإستعمار الفرنسي فوجدوا شعباً يعيش في الجهل والتخلف . وكان دينه الإسلامي ولغته العربية مهلدين بالزوال، فكيف يواجه ابن باديس هذا الواقع المر ؟

عاد إلى القرآن الكريم الذي أنار له الطريق عندما قرأ الآية القرآنية التي تقول «إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»، فقال إن الطريق من هنا، من تغيير الإنسان المسلم الجزائري وإخراجه من الإحباط والجهل الذي يتخبط فيه وجعله قادراً على مواجهة الإستعمار في المستقبل . وبعبارة أخرى تحفيزه للثورة. ولهذا حدد ابن باديس أهداف جهاده في ما يلي:

يقول ابن باديس «إننا نربي تلامذتنا على القرآن ونوجه نفوسهم إلى القرآن من أول يوم وفي كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق، أن يكون القرآن منهم رجالاً كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين نعلقُ هذه الأمة آمالنا، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودها». ولا يكفي بذلك بل عليه أن يكون عصرياً يتحكم في زمام الإقتصاد والعلوم والتكنولوجيا فيقول لتلامذته : «حافظ على مالك فهو قوام أعمالك فاسلك كل سبيل مشروع لتحصيله وتنميته واطرق كل باب خيري لبذله ... حافظ على حياتك ولا حية لك إلا بحية قومك ووطنك ودينك وجميل عاداتك، وإذا أردت الحية لهذا كله فكن ابن وقتك تسير مع

العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة وطرق المعاشرة والتعامل». ويضيف: «كن عصرياً في فكرك وفي تجارتك وفي صناعتك وفي فلاحتك» وفي تمدنك ورقيك». وعندما سأله أحد المسؤولين الفرنسيين عن الهدف من جولاته إلى كل مناطق البلاد رد عليه: «إننا نريد للمسلمين الجزائريين أن يبلغوا في المعارف والفلاحة والتجارة والصناعة مستوى الفرنسيين».

ولا يمكن أن يتحقق كل ذلك حسب ابن باديس إلا بالتربية الإسلامية الصحيحة وطلب العلم والتأمل في الكون مثلما أمرنا القرآن الكريم ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السمكة كيف رفعت، وإلى الجبل كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ وقوله تعالى ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ وهي دعوة للمسلم للقراءة في الكتب والتأمل في الإنسان والطبيعة والكون والمجتمع بهدف اكتشاف مختلف القوانين العلمية ثم الاستفادة منها.

تتمثل هذه المقومات في الدين الإسلامي واللغة العربية التي كانت عرضة للتهديد الاستعماري الفرنسي للقضاء عليها لأنها تقف كحجرة عثرة أمام محاولات الإستعمار في تحويل الشعب الجزائري إلى شعب فرنسي مما جعل ابن باديس ورفاقه يبذلون جهوداً كبيرة في ذلك لأنهم يدركون أنه لا يمكن للجزائر أن تستقل عن فرنسا إذا ضيعت لغتها ودينها اللذين يميزانها عن الأمة الفرنسية فيقول ابن باديس في ذلك «إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تستطيع أن تصبح فرنسا ولو أرادت، بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها، لا تريد أن تندمج. ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده المعروفة. ولها جعل شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو «الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا» بمعنى الحفاظ على الإسلام وتنقيته من الخرافات التي ألصقت بالعقيدة الإسلامية ثم إحياء اللغة العربية والحفاظ عليها هو الطريق لاستعادة وطننا الجزائر.

كان ابن باديس يدرك كل الإدراك أن الإستعمار كان يشجع الخرافات والشعوذة التي ألصقت بالدين الإسلامي لأن ذلك هو الطريق لإعطاء صورة متخلفة ومشوهة عن الإسلام تمهيداً لإبعاد الناس تدريجياً عنه معتقدين أن هذه هي حقيقته عند مقارنته بما تقدمه الكنيسة الإستعمارية. ولهذا حارب ابن باديس الطريقة الفاسقة والشعوذة والدروشة بكل ما أوتي من قوة، مثلما كان يفصح هؤلاء المشعوذين والدرائش والطرقين الفاسدين الذين كانوا يتلبسون ويستغلون الدين ويميتون ملكة العقل والتفكير في الإنسان الجزائري بهدف تحقيق مصالحهم الخاصة، فيقول عن الطريقة الفاسقة بأنها مبنية «على الغلو في الشيخ، والتحيز لإتباع الشيخ، وخدمة دار الشيخ، وأولاد الشيخ، إلى ما هناك من استغلال وإذلال وإعانة لأهل الإذلال والاستغلال، ومن تجميد العقول، وإماتة للهمم، وغير ذلك من تلك الشرور». وأصبح ابن باديس يهدد مصالح هؤلاء المشعوذين الذين كانوا يتآمرون مع الإستعمار لإبقاء الشعب في تخلفه وعدم وعيه وسباته عما يسهل عليهم استغلاله وإبقائه منقاداً إليهم وكانوا يقومون بكل ذلك باسم الدين البريء منهم. ولم يكن أمام هؤلاء المشعوذين للدفاع عن مصالحهم إلا اغتيال ابن باديس، فعرفوا كيف يستغلون أحد أتباعهم فزعموا له بأنه كافر وأن قتله جهاد يفتح الطريق إلى الجنة، فحاول اغتيال ابن باديس في 1927، لكنه ألجأ الله في آخر لحظة وألقى الشعب القبض على هذا الجاني، لكن ابن باديس عفا عنه لأنه كان يدرك أنه لم يقم بفعلته بمحض إرادته وإنما بتحريض هؤلاء الدراويش المستغلين للدين ولجهل الجاني.

حتى يبقى الإستعمار الفرنسي سيطرته على الجزائر كان يطبق المبدأ الإستعماري المعروف «فرّق تسد» فكان يعمل جاهداً للتفريق بين الشعب الجزائري وضرب بعضه ببعض، فلبساً خاصة إلى التفريق بين العرب والبربر (الآمازيغ) وإثارة الفتنة بين الطرفين، وأكثر من هذا حاول الإستعمار التفريق بين البربر أنفسهم فقسمهم إلى وحدات عشائرية، القبائل، والشاوية، والطوارق، وبني ميزاب تمهيداً لضرب بعضهم ببعض، فلم يكن أمام ابن

بلديس إلا العمل من أجل إطفاء نار الفتنة بين أفراد الشعب المسلم الواحد فكان يقول: فإن
أبناء يعرب وأبناء مازيغ (البربر) قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرناً ثم بدأت تلك
القرون تمزج ما بينهم في الشلة والرخلة، وتؤلف بينهم في العسر واليسر، وتوحدهم في
السراء والضراء حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيلة عنصراً مسلماً أمه الجزائر وأبوه الإسلام.
وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من
دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله، وما أسالوا من محابرههم في مجالس الدرس لخدمة
العلم... فلي قوة بعد هذا يقول عاقل، تستطيع أن تفرقهم، لولا الظنون الكواذب والأمانى
الخواذج، يا عجباً لم يفرقوا وهم الأقوياء، فكيف يفرقون وغيرهم القوي؟ كلا والله بل لا
تزيد كل محاولة للتفريق بينهم إلا شلة في اتحادهم وقوة لرابطتهم.

هذه هي الأهداف التي وضعها ابن بلديس والتي كان يراها ضرورية لبناء الإنسان الذي سيقوم
بتحرير الجزائر من الإستعمار ثم بنائها بعد الاستقلال. لكن ما هي الوسائل والأساليب التي كان
يستعملها ابن بلديس لتحقيق هذه الأهداف ؟

استعمل عبد الحميد ابن بلديس عدة أساليب ووسائل لتحقيق أهدافه ومنها:

تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عام 1931 وكان الهدف من
تأسيسها هو جمع شمل علماء دين الأمة بهدف تنسيق الجهود فيما بينهم لتحقيق الإصلاح
الديني وفق أهداف محددة وخطة محكمة منسقة بينهم. ومن أهم الشخصيات المؤسسة للجمعية
رفيقه في الحجاز الشيخ البشير الإبراهيمي الذي أصبح رئيساً للجمعية بعد وفاة الشيخ ابن
بلديس، والطبيب العقبي ممثلها في العاصمة، بالإضافة إلى العربي التبسي الذي استشهد أثناء
الثورة، ومبارك الميلي المعروف بكتابه " تاريخ الجزائر في القديم والحديث " و" رسالة في
الشرك ومظاهره".

إن الشيخ ابن باديس هو الذي أوحى بفكرة إنشاء الكشافة الإسلامية الجزائرية للشهيد محمد بوراس في عام 1933 وكان الهدف منها تربية النشء على حب الوطن والدين والأخلاق العالية. وقد أعدم الإستعمار محمد بوراس في عام 1941 بتهمة التحريض على الثورة. وقد تربي أغلب الشهداء والمجاهدين في الكشافة الإسلامية الجزائرية ومنهم العربي بن مهيدي وديدوش مراد... وغيرهما. فقلما نذكر حيلة شهيد من شهداء الثورة إلا ونجد أنه قد تلقى تربيته الوطنية والدينية في الكشافة الإسلامية الجزائرية.

عندما عاد ابن باديس من الحجاز في عام 1913 كان يحبب مساجد قسنطينة فيلقي فيها الدروس التي كانت تصل إلى عشرة دروس يوميا، ثم أسس جمعية التربية والتعليم في قسنطينة لتهتم بالتعليم هناك وبعد إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ركز جهوده من خلالها على إنشاء المدارس الحرة بفضل أمواله وتبرعات الشعب. فكانت هذه المدارس تعلم الأطفال والكبار اللغة والدين والتاريخ التي هي مقومات الشخصية الوطنية، بالإضافة إلى الحساب والجغرافية، وكان يفكر في إنشاء مراكز للتكوين المهني والتقني لولا العراقيل الإستعمارية له، ويعتبر الجامع الأخضر بقسنطينة من أكبر المدارس التعليمية التي كان يدرس فيها الشيخ ابن باديس. ونشير إلى أن ابن باديس إذا كان يركز على اللغة العربية فلأنها كانت مهلة من الإستعمار الفرنسي، ولا يعني ذلك أنه لم يهتم باللغات الأجنبية بل كانت تدرس أيضا الفرنسية في المدارس الحرة. وقد اهتم ابن باديس بتعليم البنات داعيا إلى نزع حجاب الجهل عنهن، ولتحقيق ذلك إعفائهن من دفع رسوم التعليم عكس الذكور، وهي أموال تدفع للمساهمة ولو بقدر ضئيل في تمويل هذه المدارس والتكفل بطلبتها الفقراء. وقد كان تلاميذ المدارس الحرة من الطلبة الأوائل الذين التحقوا بالثورة عند اندلاعها في أول نوفمبر 1954.

شرح الشيخ ابن باديس في الكتابة في صحيفة النجاح منذ 1919 بهدف نشر أفكاره الإصلاحية، لكنه توقف عن الكتابة في هذه الصحيفة بعدما انحرفت عن خلية الوسط والدين، وأصبحت العوبة في يد الإستعمار. فاضطر ابن باديس إلى إنشاء علة صحف كومية لنشر أفكاره وتوعية الشعب الجزائري وكشف الأعياب الإستعمار وأذنايه. وأول هذه الصحف «المنتقد» التي ظهرت في عام 1925، لكن الإستعمار أوقفها بعد أن صدر منها 18 عددا، وكان شعارها «الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء». وسميت بالمنتقد كدعوة لفكرة ابن باديس التي كانت تقول بإخضاع كل شيء للنقد والنظر عكس ما كان يدعو إليه المتمزمتون الذين كانوا يقولون «اعتقد ولا تنتقد»، وتظهر ثورة ابن باديس على الأوضاع المنحطة في العالم الإسلامي من خلال جريدته (الشهاب) التي أنشأها في عام 1929. وعنوانها نابع من الشهب الحارقة التي ترمز إلى ضرورة حرق ومحو كل التقاليد البالية والماضي المنحط الذي ورثه المسلمون منذ دخولهم عصور الإنحطاط، فهي دعوة للثورة ضد الماضي المنحط ومن أجل التجديد. وكتب ابن باديس في جرائد وصحف جمعية العلماء كالבصائر والشریعة... وغيرهما، بل كان ينشر مقالاته مترجمة إلى الفرنسية في جريدة «الدفاع» الصادرة عن العلماء باللغة الفرنسية بهدف إيصال أفكاره الإصلاحية والوطنية إلى المفرنسين. وأنشأ ابن باديس المطبعة الجزائرية الإسلامية التي تسمح له بنشر الأفكار الإصلاحية والوطنية بكل حرية. وقد لعبت دورا في طبع منشورات جيش وجبهة التحرير الوطني عند بداية الثورة في أول نوفمبر 1954.

كان ابن باديس خطيبا مفوها. فقل عنه أحد الصحفيين الفرنسيين بأنه «قد ملك مقاليد الكلام، وبصوته الناري يستفز الجماهير... وأن نبرات صوته لتنتزع منك الإعجاب انتزاعه، ثم تجتث من صدرك ما أنت مقتنع به من رأي وتعمل منك عمله وملك يمينه. ويعود

تأثيره الخطابي في الشعب إلى إعانة الصالح بما يقوله، ولم يكن مثل الكثير يعرف الكلام ولا يعرف العمل، بل قرن كلامه بعمله فهو الذي يقرأ يوميا في القرآن الكريم «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» وكان ابن باديس يحظ في المساجد والمؤتمرات والتجمعات، مثلما كان يلقي المحاضرات في النوادي.

أنشأ ابن باديس وإخوانه العلماء الكثير من النوادي التي كان المثقفون والأدباء يلتقون فيها ويتبادلون الأفكار حول أحوال الأمة. وكانت تلقى فيها المحاضرات، ومن أهم هذه النوادي نادي الترقى في العاصمة.

ويمكن لنا القول أن الشيخ عبد الحميد ابن باديس استعمل كل الوسائل والأساليب الممكنة لنشر أفكاره الإصلاحية والوطنية في صفوف الشعب الجزائري، بل كان وراء إنشاء نواد لكرة القدم، وفرق مسرحية وموسيقية، والهدف منها ترقية الشعب ونشر الأفكار الوطنية والإصلاحية وإخراج الشعب من الانحطاط والتخلف.

وما يدل على إصرار الشيخ ابن باديس على الجهاد ونشر أفكاره هو رده المفحم على مسؤول استعماري قال له: إما أن تقلع عن هذه الأفكار وإلا أغلقنا المسجد الذي نفتت فيه سمومكم ضدنا. فلجابه الشيخ ابن باديس: لن تستطيع ذلك. فأنا إن كنت في عرس علمت المخطئين، وإن كنت في مأتم وعظت المعزين، أو في القطار علمت المسافرين، أو في السجن أرشدت المسجونين، فأنا معلم مرشد في جميع الميادين فالأمة استجابت لداعي الله الذي يحببها، وخير لكم أن لا تتعرضوا لها في دينها ولغتها.

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية في عام 1939 طلبت السلطات الإستعمارية من الشيخ عبد الحميد ابن باديس إصدار بيان مؤيد لفرنسه فرفض أن يتخذ موقفا من صراع لا ناقة فيه ولا جمل للشعوب المستعمرة. وكيف يُلبى طلب

الإستعمار وهو المعروف بقوله هـ لو طلبت مني فرنسا قول لا إله إلا الله لما قلته
وبسبب موقفه ذاك وُضع تحت الإقامة الجبرية بمنزله في قسنطينة حتى نعي الشعب
الجزائري بوفاته يوم الثلاثاء 16 أبريل 1940 الذي اتخذ كيوم للعلم في الجزائر
بعد الإستقلال. وقد قل البعض أنه قُتل مسموما من طرف الإستعمار. وقد مـ
الشعب الجزائري كله لتوديع الشيخ الإمام في جنازة مهينة لم تعرف لها الجزائر
مثيلا. وبذلك وري التراب ذلك الرجل النحيل والقصير القامة والضعيف الجسم
لكنه المفعم بالإخلاص والإرادة وكانت تلقبه الأمة الجزائرية آنذاك بمرشد الأئمة
وإمام البلاد وأبي النهضة.

ولد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يوم 14 جوان من عام 1889 براس الوادي في نواحي سطيف، وعام 1889 هو عام مولد الكثير من عظماء الأمة الإسلامية في العصر الحديث، اسمه الكامل هو محمد البشير بن محمد السعدي طالب الإبراهيمي، من أسرة علم وتقوى درس الكثير من أجداده في الأزهر الشريف.

بدأ الطفل البشير الإبراهيمي حفظ القرآن الكريم وهو في السنة الثالثة من عمره، وذلك حسب تقاليد العائلة، ثم تعلم على يد عمه الشيخ محمد المالكي الإبراهيمي، كان الإبراهيمي يتمتع بذاكرة قوية جدا، فحفظ القرآن كله واستوعب الكثير من أمهات الكتب في اللغة والنحو والفقه والتاريخ، وعندما بلغ الرابعة عشر من عمره توفي عمه الأستاذ فاضطر الشاب الإبراهيمي إلى أخذ مكانه في تدريس تلامذته لمدة ست سنوات.

عندما بلغ الشاب البشير الإبراهيمي العشرين من عمره استدعي لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الاستعماري، فهرب متخفيا خارج البلاد كما كان يفعل آنذاك أغلب الشباب الجزائريين، فذهب إلى مصر أين بقي ثلاثة أشهر فالتقى فيها بجمع من علماء الأزهر الكبار، وكبار الشعراء أمثال أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ليلتحق بعد ذلك بأبيه المقيم بالمدينة المنورة الذي هرب من القمع الاستعماري عام 1908.

وواصل الإبراهيمي تعلمه في المدينة المنورة على يدي العالمين الجليلين الشيخ العزيز الوزير التونسي والشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي، اللذين تركا أثرا بليغا في الشاب الإبراهيمي، وكان يقول فيهما «وأشهد أني لم أر لهذين الشيخين نظيرا من علماء الإسلام إلى الآن، وقد علا سني، واستحكمت التجربة، وتكاملت الملكة في بعض العلوم، ولقيت من المشايخ ما شاء الله أن ألقى».

واطلع الشاب الإبراهيمي على كتب مكتبات المدينة المنورة كلها والتي تتجاوز عشر مكتبات
مملوءة بكتب نادرة في علوم الدين واللغة والتاريخ وعلوم الاجتماع... وغيرها من العلوم، فاكتمل
بذلك معرفة واسعة بشؤون العالم ومختلف شعوبها وحضاراتها وآدابها بالإضافة إلى ثقافته الإسلامية
العالية جدًا.

تعرف الإبراهيمي في المدينة المنورة على الشيخ عبد الحميد ابن باديس، فاكتمل أنه يشترك
في هموم وطنه الجزائر الذي ابتلي بالاستعمار الفرنسي، فكانا يجتمعان دائما بعد صلاة العشاء بالمسجد
النبوي ليتدارسا الوضع ويفكران ويخططان في كيفية تحرير وطنهما الجزائر. فوضعا هناك لجنة تأسيس
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وفي عام 1917 شد الإبراهيمي الرحال إلى دمشق مع 80 ألفا من
سكان المدينة المنورة، بعد ما أمر السلطان العثماني بذلك لأن المدينة عاجزة على توفير القوت
لسكانها بسبب الحرب العالمية الأولى والفوضى العارمة التي انتشرت في المدينة بسبب ثورة الشريف
حسين ضد الحكم العثماني.

وأصبح الإبراهيمي يُلقي الدروس في الجامع الأموي في دمشق كما كان يفعل العالم الجزائري
أحمد المقرئ في القرن السابع عشر الميلادي. واشتغل الإبراهيمي كذلك أستاذا في المدرسة السلطانية
بدمشق، فدرس على يديه الكثير من الأدباء والعلماء والفلاسفة ومنهم الدكاترة جميل صليبا وعدنان
الأتاسي وأديب الروماني... وغيرهم. وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى في عام 1918 عرض عليه
الأمير فيصل منصب إدارة المعارف والتعليم في المدينة المنورة إلا أنه رفض ذلك لأنه كان يستعد
للعودة إلى وطنه وتنفيذ خطة تحريره التي وضعها مع الشيخ الإمام عبد الحميد ابن باديس، فعاد إلى أرض
الوطن في عام 1920.

اتفق الشيخان ابن باديس والإبراهيمي على أن الاستعمار الفرنسي لم يطل وجوده في الجزائر
إلا بسبب التخلف والجهل والخرافات والشعوة التي كان يتخبط فيها الشعب المسكين، ولطرد
الاستعمار الفرنسي لابد عليهما من تحضير الشعب وتوعيته للقيام بذلك. مما يستدعي تغيير ذهنية

ونفسية الشعب وجعله يثور على ماضي المسلمين المنحط ويرفض التقليد الأعمى ويتمسك بمبادئه وأخلاقه الإسلامية ومتفتح على العصر بجميع علومه وتقنياته وثقافته فكان الإبراهيمي يقول «إن أسوأ ما وقع فيه دعة الثقافة الغربية من عيوب هو الجهل المطبق بحقائق الإسلام، وأن أسوأ ما وقع فيه أنصار الثقافة الإسلامية هو الجهل المطبق بمشاكل العصر ومستلزماته».

ووصف الإبراهيمي نوع الشباب الذي يريده للجزائر فكان يقول عنه «أتمثله متساميا إلى معالي الحجة... متقدا العزمات ...

مقداما على العظائم في غير تهور...جاعلا آخر الفكر أول العمل، أتمثله واسع الوجود لا تقف أمامه الحدود... يرى كل مسلم أخا له، أخوة الدين، وكل بشر أخا له أخوة الإنسانية... أتمثله حليف عمل لا حليف بطالة، وبطل أعمال لا ماضغ أقوال، ومرئاد حقيقة لا رائد خيال... أتمثله مقبلا على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنفع، إقبال النحل على الأزهار والثمار لتضع الشهد والشمع، مقبلا على الارتقاء، إقبال النمل تجدُّ لتجد، وتدخر لتفتخر ولا تبالي مادامت دائبة، أن ترجع مرة منجحة ومرة خائبة يا شباب الجزائر هكذا كونوا أولا تكونوا...».

حرب البشير الإبراهيمي الخرافات والشعوذة التي نشرها عملاء الاستعمار الذين يتسترون وراء الدين ويستغلونه لخدمة مصالحهم الخاصة، فكانوا العوبة في يد الاستعمار ووسيلته لتخدير الشعب وتنويم وإبقائه في الجهل والخضوع والخنوع، ويقومون بهذا كله باسم الدين، والدين بريء منهم بل يحاربهم، مثلما كان الاستعمار يستخدم هؤلاء المشعوذين والدراويش لإعطاء صورة مشوهة وسلبية عن الدين الإسلامي فيعتقد الناس عنه، وكان هؤلاء المشعوذون والدراويش يقولون لمريديهم أن ابن باديس شيطان وأتباعه أبالسة يعملون ضد الدين، حاشا أن يكون ابن باديس كذلك فما كانوا يشوهونه إلا أنه فضح حقيقتهم وأطماعهم وخطورتهم على الدين والوطن وعماليتهم للاستعمار.

وقد حفاظ على وحدة الوطن والأمة بإطفاء نار الفتنة التي كان يشعلها الاستعمار عملاً بسياسته
«فرق تسد»، فقسم الشعب إلى عرب وقبايل وشاوية ومزاب، ويشير بعضهم ضد بعض، فوقف
الإبراهيمي بالمرصاد لهذه الفتنة التي كان يثيرها الاستعمار بين الجزائريين .

وكان الإبراهيمي يتأسف لتصارع الأحزاب الجزائرية فيما بينها بل ومواجهة الاستعمار فقط. لما
فتى يدعو إلى الاتحاد فيما بينها فكان يقول «يا قادة الأحزاب إنكم مسؤولون أمام الله وأمام التاريخ وأمام
الوطن وأمام الأمة، فاعرفوا قيمة هذه المسؤولية الثقيلة، إن العمل النافع للجزائر يبتدئ من الجزائر»
وكان يدعو الشعب للضغط على الأحزاب من أجل الاتحاد والعمل للجزائر فقط التي يجب أن تكون
مصلحتها فوق مصلحة الأحزاب، فكان يقول «أيتها الأمة الجزائرية إن هذه الأحزاب تستمد قوتها منك
وأنت الزاد والمدد والعدة والعدد فاحملها بجميع الوسائل على الاتحاد إنها متكلمة باسمك، فاحملها على
الاتحاد باسمك، إنها إن اختلفت كنت أنت الخاسرة على كل حال».

هكذا كان الإبراهيمي وإخوانه المجاهدون من علماء الدين يحضرون الشعب لتحمل مسؤولية
الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي ثم بناء الدولة الجزائرية على أسس صحيحة، ووصف الإبراهيمي
الاستعمار الفرنسي بأنه «من الأمراض الوافلة تحمل الموت وأسباب الموت، والاستعمار سل يحارب
أسباب المناعة في الجسم الصحيح، وهو في الجزائر قد أدار قوانينه على نسخ الأحكام الإسلامية، والعبث
بحرمة المعابد، وحارب الإيمان بالإلحاد والفضائل بحماية الرذائل والتعليم بإفشاء الأمية والبيان العربي
بهذه البلبلة التي لا يستقيم معها تعبير ولا تفكير».

ولمواجهة هذه الأخطار كلها شن الإبراهيمي وإخوانه من علماء الإسلام حرباً شعواء على
الاستعمار الفرنسي وأعدائه من الدجالين والمشعوذين والدرابيش ولم تنته هذه الحرب إلا بعد إشعال
الثورة المسلحة وتحرير البلاد من الاستعمار وجرائيمه.

إن الأهداف التي حددتها الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ عبد الحميد بن باديس لا يمكن تحقيقها بعمل فردي، بل كان لابد من تنظيم فعل ومحكم ينسق الجهود ويضم رجلا عظاما، ولتحقيق كل ذلك كان على الشيخين تكوين هؤلاء الرجال فأصبحا يعملان ليلا ونهاراً لتكوين هؤلاء الذين سيقومون بهذه المهمة السامية، فمنذ عودة الإبراهيمي إلى أرض الوطن شرع يحبب المدن والقرى والمدائر لنشر الفكرة الإصلاحية. وبعد عشر سنوات من العمل الدؤوب دعا الشيخان ابن باديس والإبراهيمي الجزائريين إلى إنشاء تنظيم يجمع العلماء وينسق جهودهم من أجل الحفاظ على الإسلام النقي الذي كان يهدده الاستعمار.

وتم الإعلان عن إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم 5 ماي 1931 بنادي الترقى بالعاصمة، فانتخب الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيسا لها والشيخ البشير الإبراهيمي نائبا له كلفت جمعية العلماء الشيخ الإبراهيمي بالقيام بالعمل الإصلاحي في منطقة الغرب الجزائري فتخذ من مدينة تلمسان العريقة مركزاً لعمله.

وشرع الشيخ البشير الإبراهيمي في نشر الفكرة الوطنية والإصلاحية في المنطقة، فكان يحبب القرى والمدائر والمدن ليخطب في الشعب ويوعيه، وإنشاء الكثير من المساجد الحرة والنواحي والمدارس في مختلف المناطق بالغرب الجزائري أهمها مدرسة دار الحديث بتلمسان التي كان يلقي فيها أكثر من عشرة دروس يوميا.

فبدأ الشعب يكتشف حقيقة دينه الذي يرفض الظلم والهوان والشعوة والجهل، ويستفطن إلى الخيل الاستعمارية الدنيئة التي كانت تسعى لإبقائه في التخلف والجهل. فتزعزع نفوذ الشعوذيين والدراويش الذين كانوا يتعاونون مع الاستعمار ويمتصون عرق الشعب باسم الدين ولا حظ هؤلاء الشعوذون كيف أن ذهنية وعقلية الشعب في المنطقة قد تغيرت بعد مجيء الإبراهيمي، فاكثفوا بعض أناملهم وتساءلوا كيف لم يفق الاستعمار لما يفعله هذا الشيخ ذو العمامة والقشابة التلمسانية فيوقفه عند حله قبل استفحل أمره فيصبح أي مساس به يؤدي إلى كارثة على الاستعمار. ولم يبق أمامهم إلا

محاولة ترويض هذا الشيخ وتشويه الفكرة التي يدعو إليها لتخفيف الأضرار التي سيلحقها بالوجود
الاستعماري الفرنسي في الجزائر.

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية في عام 1939 طلبت السلطات الاستعمارية من الشيخ
ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إصدار بيان تأييد للحكومة الفرنسية، إلا أنه رفض
أن يُدخل نفسه في حرب بين الدول الاستعمارية لا ناقة فيها للشعب الجزائري فوضعت الإدارة
الاستعمارية الشيخ الجليل تحت الإقامة الجبرية في قسنطينة ثم اتصلت بنائبة الشيخ الشيخ البشير الإبراهيمي
فعرضت عليه الطلب نفسه إلا أنه رفض ذلك رفضاً كلياً، فقال له الحاكم الفرنسي بتلمسان احضر
حقيقتك وودع أهلك، فرد عليه الإبراهيمي: قد فعلت ذلك، لأنه كان يعلم ما سيطلب منه وبأن مصر،
النفي، فتقي الشيخ الإبراهيمي في 10 أبريل 1940 إلى منطقة آفلو النائية التابعة اليوم لولاية الأغواط
وبعد أسبوع من نفيه تلقى نبأ وفاة أخيه الشيخ عبد الحميد بن باديس فبكاه كثيراً، ومنعه الاستعمار من
حضور جنازته المهيمة، وبعد أيام تلقى خبر انتخابه كرئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلفاً
للشيخ الراحل ابن باديس.

وبقي الشيخ الإبراهيمي ثلاث سنوات بأفلو يسيّر جمعية العلماء بطرق سرية، فأنشأ فروعاً لها
بالأغواط، ولم يكتف بذلك بل قضى معظم وقته في المطالعة والكتابة، فألف أرجوزة شعرية من
3600 بيت تناول فيها تاريخ الجزائر وقيم وتقاليد الشعب الجزائري وكشف فيها الأعياب وحيل
الاستعمار ضد الشعب الجزائري، وألف أيضاً «رواية الثلاثة» وهي عبارة عن مسرحية شعرية من 877
بيتاً. هكذا كان الإبراهيمي فرغم النفي والوحلة وفرقة الأهل والأصدقاء استغل وقته كاملاً في العمل
حسب الإمكانيات المتوفرة له فكان بذلك نموذجاً في التضحية والعمل وحسن استغلال الوقت.
بعد ثلاث سنوات من النفي عاد الشيخ الإبراهيمي إلى مدينة تلمسان فحظي باستقبال شعبي

كبير، ثم انتقل إلى العاصمة لتسيير وإدارة شؤون جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكان يقضي أوقاته
كلها في الكتابة وإلقاء الخطب والدروس والأسفار للاطلاع على شؤون مدارس جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين، فأراد أن يستغلّ انشغال فرنسا بالحرب لينجز أكبر عدد ممكن من المدارس والمساجد وتكوين الرجال لأنه كان يعلم أنه بعد نهاية الحرب ستعود الإدارة الاستعمارية لعرقلة أعمال الإصلاح كما كانت تفعل من قبل.

انتهت الحرب العالمية الثانية في 8 ماي 1945، فخرج الشعب الجزائري في مظاهرات يطالب فيها فرنسا بإعطائه الاستقلال، فواجه الجيش الاستعماري الشعب الجزائري بوحشية وهمجية ينلّ لها جين الإنسانية، فقتل أكثر من 45 ألف جزائري واعتقل أكثر من 73 ألف من أبناء الشعب، ومنهم الشيخ البشير الإبراهيمي الذي بقي في السجن حتى مارس 1946.

وواصل الشيخ الإبراهيمي جهاده ضد الاستعمار بشتى الأساليب والوسائل وانتشرت الفكرة الوطنية والإصلاحية في صفوف الشعب كالنار في الهشيم، أصبح لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أكثر من 400 مدرسة حرة و1300 معلم وحوالي 150 ألف تلميذ وميزانية تقدر بـ 100 مليون فرنك بالإضافة إلى معهد ابن باديس بقسنطينة الذي أنشأ في عام 1947 وهو بمثابة ثانوية، دون أن ننسى الجرائد والصحف التابعة لجمعية العلماء، وهذه الإنجازات كلها تمت بفضل تبرعات الشعب الجزائري وجهوده. وكيف لا يقوم الشعب الجزائري بكل ذلك ودينه الإسلامي يأمره بالعلم والتعلم وتربية النفوس.

لم يغتر الشيخ الإبراهيمي ورفاقه في جمعية العلماء بالإنجازات الكبيرة التي حققوها لأن عملهم كان مخلصاً لوجه الله، وأصبح الإبراهيمي يفكر في إنشاء معهدين آخرين بتلمسان والعاصمة يشبهان معهد ابن باديس بقسنطينة، كما طُرحت عليه مشكلة إرسال المتخرجين من معهد ابن باديس إلى مختلف جامعات العالم العربي والإسلامي لمواصلة الدراسة.

وتكفل الشيخ الإبراهيمي بحل هذه المشكلة كلها فانتقل إلى المشرق العربي في عام 1952 لطالبة الحكومات العربية والإسلامية بإعطاء منح لتلامذة مدارس جمعية العلماء في جامعاتها ومساعدة

الجمعية ماليا لمواصلة نشاطها التعليمي والتربوي في الجزائر. فحقق الإبراهيمي الكثير من مطالبه
يحظى به من سمعة واحترام في مختلف البلاد الإسلامية.

وبفضل الشيخ الإبراهيمي انتقل الكثير من الجزائريين للدراسة في جامعات المشرق العربي
فكان الشيخ يلتقي بهم أسبوعيا ليتعرف على مشاكلهم وهمومهم، فكان يقول لهم «إنكم لن
تستطيعوا أن تنفعوا وطنكم وأمتكم إلا إذا ملكتم سلاحين مهمين بدونهما لن تفلحوا في الحياة ولن
يستفيد منكم وطنكم شيئا هما العلم القوي والأخلاق القويمة».

وكان ينصحهم دائما بروح النقد وعدم التسليم والقبول بكل ما يسمعون أو يقرؤون بل عليهم
غربلته وتمحيصه بعقولهم، وكأنه كان يبين لهم كيفية تطبيق الآية القرآنية «ولا تقف ما ليس لك به علم
إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا» الإسراء 36، أي التأكد من حقيقة الأشياء
والقضايا والنظر إليها بعقلانية وموضوعية وروح نقدية لأن الذي لا ينتقد ويمحص بعقله يمكن أن يقع
إلى الهاوية دون أن يعلم.

يوصف الشيخ البشير الإبراهيمي بعلمه الواسع وتبحره في علوم الدين واللغة، فاقترح على
تولي منصب شيخ الأزهر إلا أنه رفض ذلك خوفا من أن يشغله هذا المنصب عن قضية شعبه ووطنه
الجزائر، واكتفى فقط بقبوله عضوية المجمع العلمي العربي بالقاهرة. وكيف لا يقبل بذلك وهو الضلع
في اللغة العربية فلقب بـ «أمير البيان».

اندلعت الثورة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي في ليلة أول نوفمبر من عام 1954، وكان
تلامذة مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الأوائل الذين التحقوا به. أما الشيخ البشير
الإبراهيمي فانضم إليها بالخارج بعد ما تبين منها في البداية وأرسل نداء إلى الشعب الجزائري عبر إذاعة
صوت العرب يدعو للالتحاق بالجهاد لطرد الاستعمار الغاشم بقوله «... إنكم كتبتكم البسملة بالدماء
في صفحة الجهاد الطويلة العريضة، فاملاوها بآيات البطولة التي هي شعاركم في التاريخ... ما كان

للمسلم أن يخاف الموت وهو يعلم أنه كتاب مؤجل، وما كان للمسلم أن ييخل بماله أو بصحته في سبيل الله والانتصار لدينه...».

وأصبح الشيخ الإبراهيمي الذي تجاوز الخامسة والستين من عمره ممثلاً للثورة في المشرق العربي فكان يجوب بلدانها يجمع لها المال ويُعرف بها ويُكسبها الدعم المادي والمعنوي، فأقام في عدة بلدان كمصر وسورية والسعودية والباكستان. وفي هذا البلد الأخير تعرض الشيخ الإبراهيمي لانكسار في ضلعه فطلب من الحكومة الباكستانية إخفاء الأمر عن الناس فتعجبت لرفض هذا الشيخ الجليل عيلة الناس له، وعندما سألته عن سبب طلبه؟ رد عليها الشيخ «إني أخشى أن يسمع السفير الفرنسي بذلك فيقول انكسرت الجزائر» لأنه يعلم أنه رمز لوطنه في الخارج ولهذا فلا يمكن أن يقل عن الرمز إنه انكسر.

وعندما كان في الخارج أحس بدنو أجله فخشي الموت قبل أن يرى بلاده مستقلة فيدفن خارج وطنه مما جعله يردد للمقربين منه «أي وطني ما ملكت فوق ثراك شبراً أتراني أملك تحت ثراك قبراً».

عاش الشيخ البشير الإبراهيمي حتى رأى استقلال وطنه الذي جاهد في سبيله فعاد إليه معززاً مكرماً وكان أول من أمّ المصلين في مسجد كتشاوة الذي استعاد طابعه الإسلامي بعد ما كان الاستعمار الفرنسي قد حوله إلى كنيسة، وقد حضر أول الصلاة فيه كبار رجال الدولة وقادة الثورة.

تألم الشيخ الإبراهيمي كثيراً عندما رأى أبناء الوطن الواحد يتصارعون من أجل السلطة في بدايات الاستقلال فخشي من الانحراف عن مبادئ وقيم الثورة وأهدافها فنشر بياناً في الذكرى الرابعة والعشرين لوفاته الإمام عبد الحميد ابن باديس أي يوم 16 أبريل 1964 يحذر فيه من الأخطار المحدقة بالوطن فيقول فيه «كتب الله لي أن أعيش حتى استقلال الجزائر، ويومئذ كنت أستطيع أن أواجه المنية مرتاح الضمير، إذ تراءى لي أنني سلمت مشعل الجهاد في سبيل الدفاع عن الإسلام الحق والنهوض

باللغة، ذلك الجهاد الذي كنت أعيش من أجله إلى الذين أخذوا زمام الحكم في الوطن. ولذلك قررت
أن ألزم الصمت.

غير أني أشعر أمام خطورة الساعة. وفي هذا اليوم الذي يصادف الذكرى الرابعة والعشرين لولادة
الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمه الله أنه يجب علي أن أقطع ذلك الصمت، إن وطننا يتلحرج لحرب
أهلية طاحنة ويتخبط في أزمة روحية لا نظير لها ويواجه مشاكل اقتصادية عسيرة الحل ولكن
المسؤولين فيما يبدو لا يدركون أن شعبنا يطمح قبل كل شيء إلى الوحدة والسلام والرفاهية وإن
الأسس النظرية التي يقيمون عليها أعمالهم يجب أن تنبعث من صميم جذورنا العربية الإسلامية لا من
مذاهب أجنبية.

لقد آن للمسؤولين أن يضربوا المثل في النزاهة وألا يقيموا وزنا إلا للنصيحة
والكفاءة وأن تكون المصلحة العامة هي أساس الاعتبار عندهم. وقد آن أن يرجع لكل
الأخوة التي ابتذلت معناها الحق، وأن تعود إلى الشورى التي حرص عليها النبي ﷺ. وقد آن أن
يحتشد أبناء الجزائر كي يشيدوا جميعا مدينة تسودها العدالة والحرية، مدينة تقوم على تقوى
من الله ورضوانه.

وقد لخص الشيخ الإبراهيمي في هذا البيان نظرتة إلى جزائر الاستقلال وكيف يجب أن تكون.
سئل الإبراهيمي في أواخر حياته عن سبب عدم تأليفه الكتب؟ فرد قائلا «لم يتسع وقتي للتأليف
والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا، ولكنني أتسلى بأنني ألفت للشعب رجلا، وعملت
لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته ... وصححت له موازين إدراكه فأصبح
إنسانا أبيا وحسي هذا مقربا من رضى الرب ورضى الشعب». ولا يعني هذا أن الإبراهيمي لم يؤلف
كتبا فقد وضع عدة مخطوطات وتركها في الجزائر عندما ذهب إلى المشرق عام 1952 ولم يكن يدري أنه
لن يعود إلا بعد عشر سنوات وهذه الكتب في الأدب واللغة والدين والشعر هي:

إسرار الضمائر العربية.

التسمية بالمصنوع.

الاطراد والشذوذ في اللغة.

كاهنة أوراس (رواية حول الكاهنة).

رسالة الصب.

رواية الثلاثة.

ملحمة رجزية في 3600 بيت حول تاريخ الإسلام والجزائر.

بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية في الجزائر.

حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام.

شعب الإيمان.

من آثاره (منشورة) في أربعة أجزاء وهي مجموع مقالاته في مختلف الجرائد والصحف.

توفي الشيخ البشير الإبراهيمي يوم 20 ماي 1965، فودعته جموع الشعب التي جاءت من كل
أرجاء البلاد إلى مثواه الأخير بمقبرة سيدي محمد بالعاصمة، وقد حضر جنازته الكثير من الشخصيات
الوطنية والعالمية وعلى رأسها الرئيس هوراي بومدين الذي كان آنذاك نائبا للرئيس بن بلة ووزيراً
للتنسيق الوطني.

الشيخ مبارك الملي

ولد الشيخ محمد مبارك بن محمد الملي سنة 1898 بقرية أولاد المبارك بدائرة الملي.
تربى يتيم الأب والأم فرباه جده وتولى رعايته وتعليمه، حفظ القرآن الكريم في سن الحادية
عشر وفي سن الخامسة التحق بمدينة ميله، وفي سنة 1919 انتقل إلى قسنطينة مدينة العلم
فكان أحد تلامذة الشيخ ابن باديس، ثم التحق بجامعة الزيتونة ليتخرج بشهادة التطويع سنة
1922.

عاد مبارك الملي إلى الجزائر واشتغل بالتدريس وإلقاء الدروس في المساجد ثم انتقل
إلى الأغواط لينشر فيها العلم والمعرفة وما إن فطنت فرنسا للأمر حاولت اغتياله في سنة
1926 لكن الأمر باء بالفشل، ثم غادر الأغواط إلى ميله.

شارك مبارك الملي في تأسيس جمعية علماء المسلمين وكان عضوا بمجلسها الإداري، كما
شارك بمقالات جريئة في إشعال الثورة في جرائد الجمعية مثل المنتقد، الشهاب والبصائر تحت
إمضاء اسم مستعار (الببضاوي) وفي 1937 جمع مقالاته في كتاب أسماه (رسالة الشرك
ومظاهره)، كما كتب مبارك الملي كتابا حول تاريخ الجزائر قسّمه إلى جزأين الجزء الأول نشر
سنة 1928 والجزء الثاني نشر سنة 1932 وكان اسم الكتاب (تاريخ الجزائر في القديم
والحديث) وفي سنة 1937 نصب مديرا لجريدة البصائر وتولى مهمة قسم التحرير، ولما توفي
الشيخ ابن باديس خلفه مبارك الملي في إلقاء الدروس بالجامع الأخضر.
تابع الشيخ مبارك الملي جهاده الفكري وناضل بقلمه إلى أن وافته المنية في 9 فيفري
1945 وهو ابن السابعة والأربعين من عمره.

كان عضواً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولد سنة 1890م بسيلني عقبة (بسكرة) وسط عائلة متدينة، هاجر مع عائلته سنة 1895م إلى الحجاز واستقر بالمدينة المنورة أين تلقى تعليمه الأول بها وأخذ من مشايخها مختلف العلوم الإسلامية التي كانت تدرس بالمسجد النبوي. وهناك نشر في الصحف عدة مقالات في الدين والسياسة مما جلب له مشاكل مع السلطات العثمانية التي نفتته إلى الأناضول بتركيا. في سنة 1918م عاد إلى مكة المكرمة وأشرف على إدارة المطابع الملكية وجريدة "القبلة" خلفاً للكاتب الإسلامي الشهير محب الدين الخطيب.

بعد عودته إلى الجزائر سنة 1920م استقر بمدينة بسكرة وبعد سنوات بدأ نشاطه الإصلاحي رفقة الشاعر محمد العيد آل خليفة، ومحمد الأمين العمودي، وأنشأ جريدة "الإصلاح" لنشر أفكاره الإصلاحية داعياً إلى ضرورة قيام نهضة عربية إسلامية بعيداً عن الخرافات والشعوقة، والتمسك بتعاليم الإسلام الصحيحة انطلاقاً من القرآن الكريم والسنة النبوية. وكان ينتقل بين المدن الجزائرية للدعوة إلى إصلاح الأوضاع.

استقر بالجزائر العاصمة وقام فيها بنشاط فعال في مجال الإصلاح الديني والاجتماعي حيث كان يشرف على إدارة نلبي الترقى، ساهم مع ابن بلديس والبشير الإبراهيمي في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعين مديراً لجريدة البصائر لسان حل جمعية العلماء، وكان له تأثير كبير على التمكن لهذه الحركة الدينية كما كان له فضل مشكور على النهوض بالصحافة الوطنية. لعب دوراً كبيراً في نجاح المؤتمر الإسلامي سنة 1936م وكان ضمن الوفد الذي انتقل إلى باريس لتقديم مطالب المؤتمر الإسلامي وعند عودته من باريس قدم تقريراً عن نتائج المؤتمر الإسلامي في تجمع شعبي بملعب العنصر (العاصمة) رفقة مصالي الحاج اعتقلته السلطات الفرنسية بتهمة اغتيال مفتي الجزائر محمود كحول ووضع في السجن رغم أنه كان بريئاً. بعد خروجه من السجن تأثر كثيراً بتهمة الاغتيال، وقلص من نشاطه بتخليه عن إدارة تحرير

جريدة البصائر، ثم انسحابه من عضوية المجلس الإداري لجمعية العلماء، وأعلن سنة 1939 إصدار جريدته الأولى "الإصلاح". وبدأ يظهر بينه وبين أعضاء الجمعية خلاف حول منهجية الدعوة والإصلاح لكن واصل نشاطه ضمن نادي الترقى بلجزائر العاصمة. وخلال فترة الثورة التحريرية كان الشيخ العقبي طبع الفرائش يعاني من مرض السكري إلى أن توفي يوم 21 ماي 1960م.

ولد محمد الأمين العمودي سنة 1892 بمدينة الواحي من أسرة عريقة في العلم والوعي الوطني حفظ القرآن الكريم في الكتاب وتعلم مبادئ اللغة الفرنسية في المدرسة الابتدائية.

ولما بلغ السادسة عشر من عمره انتقل إلى قسنطينة -عاصمة الشرق الجزائري- ليواصل دراسته في المدرسة الفرنسية الإسلامية وهي إحدى ثلاث مدارس (مدرسة قسنطينة، مدرسة العاصمة، مدرسة تلمسان) كانت تشرف على تكوين القضاة ورجال المحاكم الشرعية وأعاون الإدارة الأهلية.

بدأ محمد الأمين العمودي نشاطه الإسلامي في مدينة بسكرة رفقة جماعة من الشباب المثقفين كانت تطلق على نفسها اسم جماعة الإصلاح الديني تحت رئاسة الشيخ الطيب العقبي، وسرعان ما لمع اسم محمد الأمين العمودي في الصحافة الجزائرية بفضل المقالات التي كان يكتبها.

وعندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 انتقل محمد الأمين العمودي إلى العاصمة حيث أصبح بمثابة الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين وكتبها السري نظرا لتضلعه في القانون والسياسة ومعرفته الجيدة للغة الفرنسية.

أسس سنة 1934 صحيفة "الدفاع" الناطقة بالفرنسية وسخرها لبث الوعي الإصلاحي في أوساط المتعلمين باللغة الفرنسية من الشباب الجزائري، كما أسس صحيفة "الجحيم"، وكانت من أشد الصحف ضراوة في لهجتها النقدية ومعارضتها للدروشة والبدع في الدين وصحافة الزوايا والطرقية.

شارك محمد الأمين العمودي رفقة الإمام عبد الحميد بن باديس وزعماء الحركة الوطنية الجزائرية باستثناء مصالي الحاج زعيم حزب الشعب الجزائري في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد سنة 1936 لحمل مطالب الجزائريين إلى حكومة ليون بلوم الاشتراكية في عاصمة الدولة المستعمرة للجزائر، باريس. وبالإضافة إلى النشاط الإصلاحي الكبير والكتابة الصحفية في جرائد جمعية العلماء المسلمين،

فإن محمد الأمين العمودي كان أديبا ذا أسلوب متميز، وله عدة قصائد شعرية تنم عن عمق وعيه الوطني وسعة اطلاعه الثقافي ورهافة حسه الشعري.

وقد ظهرت أشعاره في كتاب "شعراء الجزائر" الجزء الثاني، الصادر عن مطبعة النهضة بتونس. وكان محمد الأمين العمودي كذلك رجل قانون ضليع وتولى منصب رئيس الوكلاء الشرعيين، ولا اندلعت ثورة التحرير المباركة في أول نوفمبر 1954، كان محمد الأمين العمودي من مناضليها في المنظمة المدنية.

لم يغفر الاستعمار الفرنسي للشهيد محمد الأمين العمودي دوره الوطني والتثقيفي منذ سنة 1927، فاصطادته اليد المجرمة للمنظمة المسلحة السرية الإرهابية قرب منزله بحي سانتوجان (بولوغين) واغتالته بلا رحمة، وقد عثر على جثمانه يوم 10 أكتوبر 1957 قرب السكة الحديدية ودفن بمقبرة حي بولوغين.

محمد بن أبي شنب واحد من أبناء المدينة البررة، وقد كان العلامة سليل عائلة شريفة، حيث يرجع أصله الأصيل إلى برصالي الأناضول، وهي مدينة على جانب كبير من التأثر بالحضارة الهيلينية، وهو نومي الأصل، فهو من أولئك الفلاحين الذين عرفت منطقتنا بفضلهم السلم والاستقرار والازدهار قبل الغزو الفرنسي للجزائر.

ولد العلامة ابن شنب يوم 26 أكتوبر 1869 في "السبع قلائش" وهو "دوار تاجبو"، تعلم القرآن على يد الشيخ برمق النبي اكتشف ولاحظ قدراته الكبيرة.

كان العلامة أول من دخل ثانوية ابن شنب المسماة باسمه اليوم أين درس الابتدائية والثانوية، وقد نجح في امتحان الدخول إلى مدرسة ترشيح المعلمين ببوزريعة سنة 1886 التي تخرج منها معلما وهو ابن 19 سنة، فدرس الصبية في سيدي علي، ثم انتقل إلى مدرسة إبراهيم فاتح بالجزائر العاصمة بينما دخل ثانوية BUGEAUD مستمعا حرا، فأعد البكالوريا سنة 1872، إذ سجل نفسه بكلية الجزائر العاصمة، حيث نجح في شهادة الدراسات العربية العليا وأصبح نائبا لأستاذه الشيخ بوسديدة.

لم يكن هذا حدا من تعطشه للعلم، فقد عده كبار رجال العلم في العاصمة من نخبة طلبتهم، وقد درس علوم الإسلام العليا مثل البلاغة والمنطق والفقه على يد الشيخ عبد الحليم بن سماية، وراح في نفس الوقت يتعلم اللاتينية والألمانية والإسبانية والعربية والفارسية والتركية لغة أجداده.

وبات الأستاذ الشاب منذ 1898 يبيت الحية في مدرسة قسنطينة الفرنسية الإسلامية بدروسه، ثم أصبح مدرسا في الجزائر العاصمة في 1901، وفي 1904 دخل التعليم العالي فأصبح أستاذا محاضرا وهو ابن 35 سنة، يتمتع بشهرة على مستوى العالم، فصارت الأكاديميات والجمعيات العلمية تتنازع عليه لتضمه إليها.

وفي 1924 تولى كرسي الأستاذ كولان الذي كان شاعرا، تتلمذ على يده أجيال من الطلبة
 المرشحين، وتقلد وسام كثيبة الشرف، كما تهاطلت عليه الألقاب والرتب الشرفية حتى انتخب حينئذ
 عضوا أكاديمية العلوم الاستعمارية، ثم شغل
 المعهد ابن عين وصديقه مارتينو لتعشيل فرنسا في مؤتمر المستشرقين في الرباط ثم بأكسفورد
 ولما بات الشيخ ابن شنب قاب قوسين أو أدنى من قمة المجد الجامعي والعلمي وعين استغفار في
 كوليج دو فرانس توفي بعد المرض في سانتوجان يوم 5 فيفري 1929، ولم يتجاوز 59 سنة، فلف في
 مقبرة سيدي عبد الرحمن وفقدت الأمة الإسلامية في شخصه واحدا من أبرز أبنائها من الديار الجزائرية
 وواحدا من أعدل علمائها وثكلت الجامعة فيه واحدا من أبرز أبنائها البررة.
 وقد خلف الشيخ ابن شنب من زوجته وهي بنت سمحة الشيخ إمام الجزائر العاصمة قرية
 صلحة كثيرة بنورها مجد أبيها وتحلب إليها حبة أهل المدينة. وشغلوا وظائف عليا في الإدارات السنية
 والديبلوماسية والجامعة والقضاء والأعمال الخاصة، فكانوا خير خلف لخير سلف.
 إذا فالشيخ بن شنب بحياته التي قضاها في طلب العلم كان أسوة حسنة لكل أبناء الجزائر وعلى
 رأسهم تلاميذ وتلميذات ثانوية ابن شنب اليوم.

الدكتور بن جلّول

ولد محمد الصالح بن جلّول سنة 1896 بمدينة قسنطينة من عائلة ثرية، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ثم انتقل إلى باريس لمواصلة دراسته وسجل بكلية الطب التي تخرج منها سنة 1924، وبدأ ممارسة مهنته كطبيب بالجزائر.

بدأ بن جلّول ممارسة السياسة منذ العشرينات حين أصبح مستشارا بالمجلس البلدي وظهر منذ البداية يدافع عن النخبة المثقفة باعتباره من عائلة غنية، وتلقى تعليمًا عاليًا باللغة الفرنسية، وقد اظهر في بداية نشاطه السياسي ميلا نحو أفكار الأمير خالد الإصلاحية قبل أن يتحوّل عنها إلى المطالبة بالإدماج باعتباره عضوا في فيدرالية المسلمين الجزائريين المنتخبين، التي يترأسها الدكتور بن التهامي وتضم أغلب النخب الجزائريين الممثلين في المجالس المنتخبة مثل فرحات عباس بن جلّول... وغيرهم.

مع مطلع الثلاثينات برز نجم بن جلّول يترأسه فيدرالية المسلمين الجزائريين المنتخبين ودعوته الصريحة إلى المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في كل المجالات كالخدمة العسكرية العمل... الخ، وكان يكتب مقالاته في جريدة التقدم لسان حل الفيدرالية.

لعب بن جلّول دورا في أحداث قسنطينة في أوت 1934، كما لعب دورا أساسيا في الدعوة والتحضير إلى عقد المؤتمر الإسلامي سنة 1936. وكان رئيسا للوفد الذي سافر إلى باريس لتقديم مطالب المؤتمر.

أنشأ سنة 1938 التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري "R.F.M.A" وحافظ على منصبه كنائب متميز بعد الحرب العالمية الثانية.

عند اندلاع الثورة التحريرية لم يظهر موقفا صريحا رغم مشاركته في توقيع عريضة
النواب الـ 61 بعد هجومات 20 أوت 1955 والمؤكدة على أن سياسة الإصلاح لم ينفذ
معنى
احتفى عن الحياة السياسية بعد الاستقلال، إلى غاية وفاته سنة 1986 بقسنطينة

ولد أبو القاسم بن التهامي في 20 سبتمبر 1873 بمدينة مستغانم تلقى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه، والثانوي بالجزائر العاصمة، بعد حصوله على شهادة البكالوريا انتقل إلى مونبيلييه بفرنسا وسجل في كلية الطب واختار تخصص طب العيون. بعد تخرجه عاد إلى الجزائر وعين طبيبا مسؤولا على عيادة طب العيون بكلية الطب بجامعة الجزائر. وبرز بدوره العلمي في نشر عدة مقالات علمية. إضافة إلى نشاطه الاجتماعي في مساعدة الفقراء والمرضى في الجزائر العاصمة.

ظهر نشاطه السياسي مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى إذ تزعم حركة الشباب الجزائري، كان من المطالبين بالإدماج ضمانا للمزيد من الحقوق السياسية للجزائريين إلى جانب السماح لهم بالتجنيد في الجيش الفرنسي.

ترشح بن التهامي إلى الانتخابات البلدية بالجزائر العاصمة وفاز بعضوية المجلس البلدي، ودخل في خلاف وخصومة مع المعمرين الرافضين لمطالب الإدماج، كما اختلف مع الأمير خالد حول كيفية الحصول على الجنسية الفرنسية بعد نفي الأمير خالد سنة 1923، وأصدر جريدة " التقدم " للدفاع عن فكرة الاندماج وظل يكتب مقالاته المعبرة عن الفكر الإدماجي إلى غاية 1931 تاريخ انسحابه من النشاط السياسي. سنة 1936 أيد مطالب المؤتمر الإسلامي. وقدم عدة محاضرات في نادي الترقى بالعاصمة، وترشح من جديد في الانتخابات البلدية وصار مرة أخرى عضوا في المجلس البلدي لمدينة الجزائر إلى أن توفي في جوان 1937.

الدكتور بن زرجب

ولد الشهيد الدكتور بن زرجب بن عوفة يوم 9 جانفي من سنة 1921 بمدينة تلمسان حيث ترعرع في أوساط شعبية بسيطة، درس بمتوسطة بن خلدون، أين تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1941، إلى جانب إحرازه على الجائزة الأولى الخاصة باللغة الألمانية.

ونظرا لأفكاره الوطنية، تكون لديه حس سياسي جعله ينخرط في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية. وبين أعضاؤ هذا الحزب، بدأ عمله السياسي الذي واصله بعد ذلك في المهجر عندما تواصلت دراسته الجامعية في علوم الطب. هناك عين أمينا عام للتخزين لجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين. في سنة 1948، تحصل على شهادته في الطب، حيث ناقش موضوع سرطان الدم.

بعد حصوله على الشهادة عاد الشهيد إلى مدينة تلمسان ليتفرغ لمعالجة المرضى بمقر سكنه حين كان يكتب الوصفات باللغة العربية.

استغل الدكتور بن زرجب مهنته كطبيب للقيام بنشاط الثوري بسرية تامة، حيث كان يستقبل المجاهدين في عيادته وكانهم مرضى ليقدم لهم التعليمات الواردة إليه من الجهات المركزية، كما كان يتردد في كثير من الأحيان لتقديم الإسعافات للمجاهدين في الجبال.

لإعطاء الثورة بعدا إعلاميا كبيرا، اقتنى الدكتور بن زرجب آلة رونيو لسحب ونشر الوثائق والنشائر الدعائية للثورة. ولكن سرعان ما اكتشفت السلطات الإستعمارية أمره فألقت القبض عليه وزجته به في السجن قبل أن تعلمه يوم 16 يناير 1956 بدوار أولاد حليلة بالقرب من سيدو. وكما شهدت مدينة تلمسان مظاهرات ومسيرات جاءت كرد فعل جماهيري على الممارسات الإجرامية للسلطات الاستعمارية.

مصالي الحاج

ولد أحمد مصالي الحاج ليلة 16 ملي 1898 في حي رحبية بمدينة تلمسان العريقة. أمه مي فاطمة بنت ساري حاج الدين القاضي الشرعي في تلمسان، أما أبوه فيدعي أحمد ويتميز بقلته الطويلة التي تتجاوز مترين وعشر سنتيمترات، وقد كلفه سكان مدينة تلمسان بحراسة ضريح الوالي الصالح سيدي بومدين لتقواه وورعه.

درس مصالي الحاج في المدرسة الأهلية الفرنسية بتلمسان، فكان يتألم كثيرا لدى اهتمام المدرسة بتاريخ فرنسا وتلقيه للتلاميذ في الوقت الذي غيب فيه تماما تاريخ وجغرافية وطنه. ولاحظ الطفل أحمد الفرق الشاسع بين ما يتلقاه في المدرسة عن الحضارة والعدل الفرنسيين وما يشاهده في الواقع من إهانة واستغلال للجزائريين، فأصبح التلميذ مصالي شديد الغضب يثور لكل صغيرة وكبيرة تمس زملاءه التلاميذ فلقب بـ "محامي القسم" مما دفع إدارة المدرسة إلى طرده في عام 1916.

كما تلقى مصالي الحاج تربية دينية في زاوية الحاج محمد بن يلس التابعة للطريقة الدرقاوية بتلمسان.

مارس الطفل أحمد مصالي إلى جانب دراسته عدة أعمال لمساعدة عائلته الفقيرة فاشتغل حلاقا فإسكافيا ثم بقالا وعمره لا يتجاوز العشر سنوات، كما اشتغل في مصنع للبتع كملصق للطوابع على علب السجائر والأكياس لكنه فصل عن العمل لأن القانون يمنع تشغيل الأطفال.

أصدرت السلطات الاستعمارية الفرنسية قانون التجنيد الإجباري عام 1911 الذي ينص على تجنيد الشباب الجزائري إجباريا للخدمة في الجيش الفرنسي، فرفض الجزائريون

ذلك القانون المحض في حقهم وطالبوا بإلغائه لأنه يفرض عليهم القتل إلى جانب الكفر
حسب اعتقادهم آنذاك

شارك مصالي الحاج في عدة مظاهرات شعبية ضد قانون التجنيد الإبراهيمي وقد
يستمع إلى خطب الشيخ جلوس شامي في الجامع الكبير بتلمسان التي تعرض السكك
رفض هذا القانون ويدعوهم للهجرة إلى البلاد الإسلامية كي لا يقهروا

تحت طائفته فيقاتلوا في جيش الكفار، فاتبعت آلاف العائلات الجزائرية المسورة الحلة بوجه
هذا الشيخ وأمثاله من العلماء الأجلة فهاجرت إلى الكثير من الأقطار الإسلامية كالمغرب وتونس
وتركيا ومصر والشام، أما عائلة مصالي الحاج فقد بقيت في تلمسان لأن إمكانياتها المالية لم تسمح
بذلك

استدعي مصالي الحاج إلى الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي عام 1918، فظل
وهوان ثم مدينة بوردو بفرنسا، وحسن حظ الشاب مصالي أن الحرب العالمية الأولى كانت على وشك
النهاية، إلا أنه تألم كثيرا لأن الدولة العثمانية التي يرتبط بها عقائديا قد انهزمت في الحرب ولم تفرج
فرنسا وبريطانيا واعتبر ذلك هزيمة للإسلام والمسلمين.

وقد ازداد تمسك مصالي الحاج بالدين الإسلامي عندما كان في فرنسا، وكان يخشى غواية الشيط
في بلد الجن والملائكة حسب ما يقل عنها، فكلما وسوست له نفسه أو فكر مجرد تفكير في ارتك
الحرمت بذهب ليقتل ويظهر نفسه في نهر غارون القريب من بوردو.

إن مصالي كان يؤمن بأن ما لحق المسلمين من استعمار وهوان وهزائم يعود إلى ابتعادهم عن
الدين الصحيح وعدم طهارة سريرتهم وقلوبهم وجسدهم وعقولهم.

صرح مصالي الحاج من الخدمة العسكرية الإجبارية في 28 فيفري 1921، فعاد إلى مدينة تلمسان
ليشرع في البحث عن العمل اللائق لكنه كان يرفض الاستغلال البشع للعمل الجزائريين عكس ما

كان يحدث في فرنسا أين تدافع النقابات عن حقوق العمل وتحدد من استغلال أرباب العمل لعرق جيبهم، وقد وجد مصالي الحاج العمل لدى خمسة من أرباب العمل في تلمسان لكن لا أحد من هؤلاء حدد له راتبه وشروط وساعات العمل اليومية وأيام الراحة، واعتبر مصالي ذلك استغلالا ومضما لحقوق العمال الجزائريين الذين لم تسمح لهم السلطات الاستعمارية بإنشاء نقابات تدافع عن مصالحهم واضطر مصالي إلى الهجرة نحو فرنسا لعله يجد ظروفًا وشروطًا للعمل أفضل من الجزائر التي تسلط عليها المعمرون الأوروبيون.

هاجر مصالي الحاج إلى فرنسا في عام 1923 كالكثير من الجزائريين الذين هاجروا إليها بحثًا عن القوت لأنهم لم يجدوا عملاً في بلادهم الجزائر. وأمام هذه الهجرة المكثفة وضعت السلطات الاستعمارية قوانين تحد من هجرة الجزائريين لأن المعمرين الأوروبيين كانوا يرون فيها مسا بمصالحهم الخاصة لأن استمرارها يؤدي إلى قلة الأيدي العاملة الجزائرية فلا يجدون من يشتغل لديهم بأجور زهيلة.

واضطر الجزائريون إلى الهجرة سرّيا بعد سن هذه القوانين الاستعمارية، وحدثت كارثة إنسانية في عام 1925 عندما احترق أكثر من خمسين جزائريًا داخل مخزن إحدى البواخر فنند الرأي العام الوطني والعلي بهذه القوانين الجائرة والمعاملة الوحشية للجزائريين.

مارس مصالي الحاج عدة أعمال في فرنسا، فاشتغل في مصنع للنسيج ثم في مصنع صهر الحديد ليحول إلى بائع للقيعات ثم استقبل الزبائن في إحدى الفنادق، وآخر عمل هو تجارة الجوارب.

والى جانب العمل اهتم مصالي الحاج بتثقيف نفسه فسجل كمستمع حر للمحاضرات في مدرسة اللغات الشرقية والسوربون والمعهد الفرنسي، مثلما كان يطالع كثيرا كتب التاريخ والسياسة والاتصال والفكر، فكان يدون كل ملاحظة أو معلومة جديدة قراها أو استنتاج توصل إليه من خلال مطالعته المتنوعة.

تتميز شخصية مصالي الحاج بالثورة ضد الظلم والقهر والاستغلال إلى جانب أخلاق عالية
اقتبسها من التربية الدينية التي تلقاها على يدي والديه ومعلميه في الزاوية الدرقاوية، وكان مصالي
للقانون والثقافة خاصة المسرح والموسيقى، وحولته ثقافته ومطالعاته الكثيرة إلى شخصية ذات قدرة عالية
على التنظيم والنضال والدفاع المستميت عن الحق بالحجة والإقناع، وأهله هذه الحاصل لفيلة جهد
الشعب الجزائري ضد الاستعمار لأكثر من ثلاثين سنة.

أسس مصالي الحاج جمعية عمل جزائريين ومغاربة وتونسيين منظمة "نجم شمال إفريقيا" في عام
1926 بهدف الدفاع عن مصالح عمل شمال إفريقيا في فرنسا والعمل من أجل تحرير المغرب العربي.
من ير الاستعمار الفرنسي الغاشم وتولى مصالي الحاج رئاسة نجم شمال إفريقيا في عام 1927 بعد
انسحاب حاج علي عبد القادر فأعطى للمنظمة بعدا ثوريا ووطنيا، وشارك في مؤتمر الشعوب المتعنت
للاستعمار الذي انعقد في بروكسل بلجيكا في عام 1927 إلى جانب شخصيات ثورية بارزة ومنها يطل
الثورة القيتانية هوشي منه.

عرف مصالي الحاج في هذا المؤتمر العالي بقضية الجزائر والمغرب العربي عموما وطالب
باستقلالها عن فرنسا وفتح مصالي الحاج بذلك صداما مباشرا بين نجم شمال إفريقيا والسلطات
الاستعمارية الفرنسية التي سمعت خطابا جديدا وثوريا لم تسمعه منذ عقود لأن في تلك الفترة لم يجرؤ
أحد من الجزائريين على المطالبة باستقلال الجزائر صراحة وأقصى ما كان يطالب به الزعماء الجزائريون
آنذاك هو إدخال إصلاحات وتحقيق المساواة في الحقوق والواجبات بين المسلمين والأوروبيين في الجزائر.
إن هذه المواقف الثورية لمصالي الحاج جعلت منه أول داعية للاستقلال الوطني في القرن 20 م
فيستحق بذلك لقب "رائد الوطنية الجزائرية"، وكيف لا يلقب بذلك وهو الذي ضحى بالنفس
والنفيس من أجل نشر فكرة الاستقلال والوطنية في صفوف الشعب الجزائري ورعى شبابا وحضرم
للعمل المسلح من أجل تحرير الوطن. وقد أينعت الثمار التي غرسها باندلاع الثورة في ليلة أول نوفمبر
1954.

سالم نجم شمال إفريقيا في نشر فكرة الاستقلال في صفوف المهجرين الجزائريين في فرنسا، فسلطت السلطات الاستعمارية وشرطتها على أعضاء هذا التنظيم شتى أنواع التعذيب والاعتقل لكن في كل مرة يخرجون منها أكثر إيمانا وقوة وصلابة وعزيمة على مواصلة الجهاد من أجل تحرير وطنهم الجزائر والمغرب العربي كله من الاستعمار الغاشم.

إن الانتشار الواسع لأفكار نجم شمال إفريقيا في صفوف المهجرين الجزائريين في فرنسا قابله ضعف الانتشار داخل الجزائر بسبب العراقيل الاستعمارية وضعف الاتصال بال جماهير الجزائرية داخل الوطن التي لم تعرف حقيقة مصالي وتنظيمه، كما أن الشعب الجزائري آنذاك كان متأثرا بالتنظيمات السياسية التقليدية خاصة النواب بزعامة فرحات عباس ومحمد الصالح بن جللول التي كانت تطالب بتحقيق المساواة بين المسلمين والأوروبيين في الجزائر، أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بزعامة الشيخ عبد الحميد بن باديس فكانت تركز على الإصلاح الديني وتربية وتعليم الجزائريين.

وفي يوم 2 أوت 1936 نظم كل من فرحات عباس وعبد الحميد بن باديس والطيب العقبي ومحمد الصالح بن جللول... وغيرها من الشخصيات الجزائرية تجمعا شعبيا في الملعب البلدي بالجزائر العاصمة لمناقشة مجموعة من المطالب الجزائرية لتقدم إلى السلطات الفرنسية والنظر في مشروع بلوم فيوليت الذي ينص على ترقية بعض الجزائريين وجعلهم متساوين مع الأوروبيين في الحقوق والواجبات.

انتقل مصالي الحاج في اليوم نفسه من باريس إلى الجزائر للمطالبة بالكلمة أمام جموع الجماهير التي لا تعرف هذا الرجل، وإن سمع عنه بعض الحاضرين إلا أنه تشكلت لديهم صورة مشوهة عنه بسبب الدعاية الاستعمارية الموجهة ضده في الجزائر.

سمع منظمو هذا التجمع الشعبي لمصالي الحاج بالحديث إلى الجماهير الحاضرة مللة لا تتجاوز خمس دقائق، فأخذ حفته من تراب هذا الوطن فقل إن هذه الأرض جزائرية مسلمة وهي ليست للبيع ولا يحق

لاي، كان يبعثها للأجنبي، وذكر بأن فرنسا استولت على الجزائر بالقوة وتطالب باستقلال الجزائر التام
بذلك المطالبة بإصلاحات لا معنى لها.

قرأت فيه الجماهير الحاضرة الصلح والإخلاص، وتذكر الجميع أن فرنسا استولت على الجزائر
بالعنف منذ أكثر من قرن وأنها لن تخرج إلا بالعنف والقوة بعد ما كانت أن تنسى الجماهير منه
الحقائق.

وحدثت الجماهير مصالي الحاج على اكتافها بعد إنهاء خطابه وهي تردد شعارات الاستقلال
والحرية، فمنذ ذلك اليوم التاريخي أصبحت أفكار نجم شمال إفريقيا تتردد في كل مكان من ربوع الوطن
الجزائري، فاضطر الاستعمار إلى حل هذا التنظيم من جديد ليعود تحت اسم آخر هو حزب الشعب
الجزائري (PPA) في 11 مارس 1937، فانتقل هذا التنظيم من فرنسا إلى الجزائر، وأصدر جريدة
"البرلمان الجزائري" إلى جانب صحيفة "الأمة" التي كان لها صدى واسع من قبل وساهمت بشكل كبير
في نشر فكرة الوطنية والاستقلال في الجزائر.

بعد أيام من تأسيس حزب الشعب الجزائري علم مصالي الحاج بتنظيم الفرنسيين لتظاهرات
واحتفالات في مدينة الجزائر بمناسبة العيد الوطني الفرنسي يوم 14 جويلية 1937 فأراد الحزب
استغلالها لإبراز مطالب الشعب الجزائري في الاستقلال عن فرنسا، فطلب مصالي من زوجته الفرنسية
الأصل صنع علم جزائري يحمل الهلال كرمز للإسلام.

والنجمة كرمز للأركان الخمس للدين الإسلامي ويلون بالأخضر كرمز للدين والأبيض للإسلام
والأحمر لدم الشهداء.

ورفع المتظاهرون هذا العلم عاليا أثناء احتفالات 14 جويلية 1937 وينادون "بِحيا حزب الشعب
الجزائري" و"تحيا الحرية" "بِحيا الإسلام" وينشدون سويا نشيد "فداء الجزائر" الذي وضعه الشاعر
مفلي زكريا، فتحوّلت الاحتفالات إلى اصطدامات عنيفة بين مناضلي حزب الشعب الجزائري يزعمون

مصالي الحاج والبوليس الاستعماري المدعوم بالناضلين الشيوعيين الذين أرادوا منع الوطنيين من التظاهر.

ونظم مصالي الحاج وإخوانه مظاهرات وتجمعات أخرى في عدة مناطق من الوطن، فاعتقلت السلطات الاستعمارية كلا من مصالي الحاج ومفلي زكريا وحسين لحول ووجهت لهم تهمة المساس بأمن الدولة الاستعمارية، وحكمت عليهم المحكمة الاستعمارية بستين سجنا قضوها في سجن الحراش. وعشية اندلاع الحرب العالمية الثانية في عام 1939 حلت السلطات الاستعمارية حزب الشعب الجزائري وألقت القبض على الزعيم مصالي بعد شهر فقط من إطلاق سراحه من سجن الحراش، وحوكم محكمة صورية لتصدر عليه حكما بالسجن لمدة 16 سنة يوم 17 مارس 1941. فنقل إلى سجن لميز الرهيب، ومنذ تلك الفترة ظهرت شعارات جديدة لدى الشعب وهي " أطلقوا سراح مصالي! ".

وفي عام 1942 دخلت جيوش الحلفاء المتمثلة في الجيوش البريطانية والأمريكية إلى الجزائر فقصت على نظام فيشي الموالي للنازية الألمانية، وأطلقت سراح مصالي الحاج، وشارك حزب الشعب الجزائري مع كل من فرحات عباس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في صياغة بيان فيفري 1943 الذي يطالب بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، وأسس مصالي الحاج مع هؤلاء "أحباب البيان والحرية" في 14 مارس 1944 الذي يجمع القوى الجزائرية المناهضة للاستعمار.

خشيت السلطات الاستعمارية من وحدة الشعب الجزائري، فوضعت مصالي الحاج تحت الإقالة الجبرية في قصر الشلالة، لتكتشف فيما بعد بأنه كان يحضر ثورة شعبية ضد الاستعمار فنفته إلى الكونغو برازافيل في إفريقيا السوداء يوم 23 أبريل 1945 لتحمله فيما بعد مسؤولية أحداث 8 ملي 1945 التي انتهت بمجازر رهيبة ارتكبتها الاستعمار في حق الشعب الجزائري الذي قتل منه أكثر من 45 ألف شخص.

بعد عام من مجازد 8 ماي 1945 أطلقت السلطات الاستعمارية سراح مصالي الحاج وزعماء
جزائريين آخرين ومنهم فرحات عباس والشيخ البشير الإبراهيمي وغيرهما.
وأعاد مصالي الحاج تأسيس حزب الشعب الجزائري تحت اسم جديد هو
"حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" وشرع في تحضير الشعب للثورة المسلحة
فأسس المنظمة الخاصة في فيفري 1947 مهمتها تدريب المجاهدين على العمل
المسلح وجمع الأسلحة والمؤن والأدوية لليوم الموعود. وللأسف اكتشف البوليس
الاستعماري هذه المنظمة العسكرية في عام 1950 واعتقل الكثير من أعضائها والتحق
آخرون بالجبال ينتظرون ساعة اندلاع الثورة.

وفي هذه الفترة سافر مصالي الحاج إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج ومن
بزيارة عدة بلدان في المشرق العربي وطالب حكوماتها بالدعم العسكري والمالي
والسياسي لكفاح الشعب الجزائري، وعاد إلى الجزائر في عام 1952 لينظم عدة
تجمعات شعبية يوعي فيها الشعب ويحضره للثورة، ف وقعت عدة اصطدامات بين
الشعب والبوليس الاستعماري الذي حاول منع هذه التجمعات واعتقلت المئات
الاستعمارية الزعيم مصالي الحاج يوم 14 ماي 1952 فوضعت تحت الإقامة الجبرية
بنيور في فرنسا وبقي فيها حتى عام 1952.

وفي عام 1953 ظهرت أزمة داخل حزب "حركة الانتصار للحريات
الديمقراطية" بين أنصار مصالي الحاج وأنصار اللجنة المركزية الذين اتهموا
مصالي بالاستبداد وعبادة الشخصية داخل الحزب، فكلدت هذه الأزمة أن تعصف
بالحزب ونشاطات الشعب الجزائري، فظهرت اللجنة الثورية للوحدة والعمل على
بني مجموعة من المناضلين الذين حاولوا الإصلاح بين المصاليين والمركزيين

وإعادة لم شمل الحزب الوطني، لكن هذه المحاولات كلها باءت بالفشل، فاجتمعت مجموعة من أعضاء المنظمة الخاصة في المدينة بالعاصمة لمناقشة الوضع الخطير، فقرر المجتمعون إشعل فتيل الثورة قبل فوات الأوان، فكان هؤلاء وراء اندلاع الثورة المسلحة ليلة أول نوفمبر 1954 دون علم المركزيين ولا المصاليين الذين عقدوا مؤتمرا في مورنو ببلجيكا في جويلية 1954 وأعلنوا عن تأسيس حزب جديد سموه "الحركة الوطنية الجزائرية MNA" بزعامة مصالي الحاج ومواصلة النضال وبقي المركزيون في الحزب القديم "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" وبذلك انشق الحزب الوطني العتيد إلى حزبين.

اندلعت الثورة المسلحة في الجزائر ليلة أول نوفمبر 1954 على يد جبهة التحرير الوطني التي أسسها مجموعة من الشبان الذين تربوا على يد مصالي الحاج ورضعوا المبادئ التي ناضل من أجلها لأكثر من ثلاثين سنة قضى أغلبها في السجن والسجون وقد انضم الكثير من الشباب إلى الثورة المسلحة معتقدين أن قائدهما هو مصالي الحاج، ولم يعلموا أن الثورة قامت بدونه إلا بعد مرور شهور. واكتشف هؤلاء فيما بعد أن لمصالي الحاج تنظيما آخر أطلق عليه "الحركة الوطنية الجزائرية" يعارض به تنظيم "جبهة التحرير الوطني" الذي أشعل فتيل الثورة، فاصطدم التنظيمان فقتل الأخ أخيه في المهجر والجبل والمدن مما يطرح علينا السؤال لماذا هذا القتال بين أخوة كانوا في حزب الشعب الجزائري ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بزعامة مصالي الحاج وأعطوا أغلى ما يملكون من أجل تحرير وطنهم الجزائر؟ فهل لأن "الحركة الوطنية الجزائرية MNA" رفضت حل نفسها والخضوع لقيادة الثورة التي أمرت كل التنظيمات الجزائرية بحل نفسها

والانضمام إلى جبهة التحرير الوطني كأفراد وليس كتنظيمات؟ ولماذا رفض
 مصالي الحاج حل " الحركة الوطنية الجزائرية " والاتحاق بجبهة التحرير
 الوطني؟ هل لأنه رفض أن يكون تحت قيادة شباب رضعوا مباني الوطنية على يد
 قائدته المزعومة بالإثم؟ وهل لأن مصالي الحاج اعتقد أن جبهة التحرير الوطني
 تحالفت مع خصومه المركزيين الذين اصطدم معهم داخل " حركة الانقاذ
 للحريات الديمقراطية " عشية اندلاع الثورة؟ أم هل لأن جبهة التحرير الوطني
 ضمت إليها خصومه التقليديين الذين اختلف معهم في أساليب النضال ضد
 الاستعمار ومنهم جماعة فرحات عباس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟
 أم هل لأن مصالي الحاج رأى الثمرة التي سقاها ورعاها يقطفها غيره؟ واعتقد بأن
 حضر للثورة طيلة عقود فقلدها الآخرون؟ هل لأن مصالي كان بعيدا عن الواقع ولم يكن
 يعرف الحقائق بسبب بقاءه سنينا عديدة في السجون الفرنسية فكان ضحية هذا الجهل
 فتخذ موقفا سلبيا من جبهة التحرير الوطني قائلة الثورة المسلحة؟

إن المستقبل والبحث التاريخي الجاد كفيلا بالإجابة عن هذه التساؤلات كلها لكن
 مهما كانت الإجابة فعلينا أن نعلم أن مصالي الحاج لم يتخل عن أهدافه ومبادئ من أجل
 تخليص الجزائر من براثن الاستعمار، وإن خلاقه مع جبهة التحرير الوطني ليس معناه مصادقة
 الثورة من أجل الاستقلال أو خيانة كما أراد البعض إيهامنا.

فهل من المعقول أن تصدر خيانة الوطن من رجل أفنى حياته كلها في سبيل تحرير
 وإن كان لنا حكم على موقف مصالي الحاج من الثورة الجزائرية فيمكن لنا القول أنه لم يخطئ
 التقدير لكن لم يخن أبدا.

والانضمام إلى جبهة التحرير الوطني كأفراد وليس كتنظيمات؟ ولماذا رفض
 مصالي الحاج حل " الحركة الوطنية الجزائرية " والاتحاق بجبهة التحرير
 الوطني؟ هل لأنه رفض أن يكون تحت قيادة شباب رضعوا مباني الوطنية على يد
 قائدته المزعومة بالإثم؟ وهل لأن مصالي الحاج اعتقد أن جبهة التحرير الوطني
 تحالفت مع خصومه المركزيين الذين اصطدم معهم داخل " حركة الانقاذ
 للحريات الديمقراطية " عشية اندلاع الثورة؟ أم هل لأن جبهة التحرير الوطني
 ضمت إليها خصومه التقليديين الذين اختلف معهم في أساليب النضال ضد
 الاستعمار ومنهم جماعة فرحات عباس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟
 أم هل لأن مصالي الحاج رأى الثمرة التي سقاها ورعاها يقطفها غيره؟ واعتقد بأن
 حضر للثورة طيلة عقود فقلدها الآخرون؟ هل لأن مصالي كان بعيدا عن الواقع ولم يكن
 يعرف الحقائق بسبب بقاءه سنينا عديدة في السجون الفرنسية فكان ضحية هذا الجهل
 فتخذ موقفا سلبيا من جبهة التحرير الوطني قائلة الثورة المسلحة؟

إن المستقبل والبحث التاريخي الجاد كفيلا بالإجابة عن هذه التساؤلات كلها لكن
 مهما كانت الإجابة فعلينا أن نعلم أن مصالي الحاج لم يتخل عن أهدافه ومبادئ من أجل
 تخليص الجزائر من براثن الاستعمار، وإن خلاقه مع جبهة التحرير الوطني ليس معناه مصادقة
 الثورة من أجل الاستقلال أو خيانة كما أراد البعض إيهامنا.

فهل من المعقول أن تصدر خيانة الوطن من رجل أفنى حياته كلها في سبيل تحرير
 وإن كان لنا حكم على موقف مصالي الحاج من الثورة الجزائرية فيمكن لنا القول أنه لم يخطئ
 التقدير لكن لم يخن أبدا.

وما يؤلم حقا هو بقاء مصالي الحاج بعد الاستقلال منفيًا في الخارج مثل الكثير من
الذين قادوا الثورة ذاتها. ولم تطأ قدمه أرض الوطن الذي حلم بحريته وبقي في فرنسا منزويا
في حجرته متعبدا ومطالعا للكتب وكتابة مذكراته حتى لقي ربه يوم 3 جوان 1973 لينقل
ليلا إلى مسقط رأسه تلمسان فيدفن هناك بحضور جمع كبير من المواطنين الذين لم ينسوا ولن
ينسوا أبدا أن مصالي الحاج هو رائد الوطنية الجزائرية وأحد واضعي أسس الدولة الوطنية
الجزائرية وغرس مثلها في قلب الشعب قبل أن تتحول إلى حقيقة فرحم الله مصالي الحاج
وندعو الله أن يغفر ذنوبه.

محمد العيد آل خليفة

ولد الشاعر محمد العيد آل خليفة يوم 28 أوت 1904 في عين البيضاء بمنطقة الأوراس، اسمه الحقيقي هو محمد العيد حمو، ولقب بـ "آل خليفة"، ينحدر من أسرة مثقفة وميسورة الحال، وقد انتقلت من عين البيضاء لتستقر في بسكرة في العقد الثاني من القرن العشرين.

تلقى محمد العيد آل خليفة تعليمه الأول على يد أبيه وشيوخ آخرين أمثل محمد السائح وأحمد الجنيني وعلي بن إبراهيم، كما تأثر في طفولته بشاعر يدعى أبو القاسم حمو. وقد يكون من أقارب الشاعر الجزائري المعاصر أبو القاسم خمار، وكان هذا الشاعر معروفًا بقصائده السياسية والوطنية.

عندما بلغ محمد العيد آل خليفة العشرين من عمره، التحق بجامعة الزيتونة بتونس لمواصلة الدراسة هناك، لكنه لم يبق فيها إلا سنتين ليعود إلى الجزائر فيما بعد، لكنه اكتسب علما وفيرا في هذه الفترة، حيث اطلع بعمق على الأدب العربي في العصرين الجاهلي والإسلامي، دون أن يتجاهل الأدب العربي الحديث، كما كان يتابع أصداء الحركة الإصلاحية التي بزغت في المشرق العربي على يد جمل الدين الأفغاني ومحمد عبده.

حياته المهنية والنضالية

انخرط محمد العيد آل خليفة في العمل الإصلاحي عند عودته إلى الجزائر، فكان من المساعدين في صحف "صلى الصحراء" ثم "الإصلاح" التي أنشأها الشيخ الطيب العقبي بسكرة، ثم انتقل الشاعر محمد العيد إلى الجزائر العاصمة عام 1928، فتولى فيها إدارة مدرسة الشبيبة الإسلامية حتى عام 1940، كما انخرط في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عند تأسيسها على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس في عام 1931، وكان من أبرز الأعضاء

الناشطين فيها، ويعرف عن محمد العيد إلقاءه قصيدة طويلة في كل مؤتمر سنوي لجمعية العلماء الذي كان يعقد في نادي الترقى بالعاصمة.

عاد إلى موطنه الأصلي الأوراس في عام 1940، فتولى الإدارة والتدريس في مدرسة التربية والتعليم بباتنة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفي عام 1947 انتقل إلى عين مليلة بمنطقة الأوراس لتولي مهمة الإدارة والتدريس في مدرسة العرفان التابعة لجمعية العلماء المسلمين، وبقي في هذه المهمة حتى عام 1956، وهو العام الذي ألقت فيه السلطات الإستعمارية القبض عليه بسبب دوره الكبير في الثورة المسلحة من ناحية التحريض والتوعية وجمع الأموال وغيرها من الأعمال، فأودع سجن قسنطينة ثم أطلق سراحه في بداية الستينيات في إطار سياسة التهدئة التي أراد الرئيس الفرنسي آنذاك شارل ديغول ممارستها، وهو كعربون لقيادة الثورة كي تقبل بفتح المفاوضات معه من أجل التوصل إلى حل للقضية الجزائرية يحفظ لفرنسا ماء الوجه، فوضع محمد العيد تحت الإقامة الجبرية بعد خروجه من سجن قسنطينة، وبقي على ذلك حتى استرجاع الجزائر استقلالها عام 1962.

لم يعرف محمد العيد آل خليفة أي نشاط أدبي بعد استرجاع الجزائر استقلالها، ولعل ذلك يعود إلى الوهن والشيخوخة، واكتفى فقط بأداء فريضة الحج على نفقة الحكومة الجزائرية، والتنقل بين مسكن أسرته ببسكرة ومسكن موطنه الأصلي بالأوراس، وبقي على ذلك حتى وافته المنية يوم 31 جويلية 1979 عن عمر يناهز الخمس والسبعين سنة، ليدفن ببسكرة في جو مهيب حضرته العديد من الشخصيات الأدبية والفكرية والسياسية، بالإضافة إلى السلطات الرسمية.

ترك الشاعر محمد العيد آل خليفة العديد من المقالات والقصائد الشعرية التي كان يدعو فيها إلى الثورة على الإستعمار، وسجل في الكثير منها جرائم هذا الأخير ضد الشعب الجزائري، ومنها بالخصوص مجازر 8 ماي 1945، لكن تنتظر هذه الأعمال كلها عملية جمع ثم

نشرها كاملة، ونشر إلى أنه قد جمعت وزارة التربية الوطنية بعض قصائده ونشرتها عام 1967 تحت عنوان "ديوان محمد العيد"، ويضم 250 قصيدة موزعة على 587 صفحة.

ومحمد العيد آل خليفة أيضا مسرحية شعرية تحمل عنوان "بلال بن رباح"، وكانت تمثل في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وحتى داخل المعتقلات الاستعمارية، وكان الهدف منها بث روح الصبر والمقاومة في الشباب الجزائري.

لقب الشاعر محمد العيد آل خليفة بـ"أمير الشعراء" ومنها "أمير شعراء الجزائر" و"شاعر الجزائر الحديثة"، وقد قل شكيب أرسلان¹³ فيه عام 1937 "كلما نزل شعرا لمحمد العيد الجزائري تأخذني هزة طرب تملك على جميع مشاعري"، وشبهه بالشاعر العربي البهاء بن زهير¹⁴ في "سلسلة نظمه، وخفة روحه، ودقة شعوره، وجودة سبك واستحكام قوافيه"، ويضيف عنه قائلا "أني أقرأ له القصيدة المرتين أو الثلاث ولا أمل ونمضي الأيام وعذوبتها في فمي".

¹³ شكيب أرسلان، مصلح إسلامي ومجاهد ضد الاستعمار ومفكر، فقد ولد عام 1870 في شويشات بلبنان، وقد التقى هناك بمحمد عبده، كما احتك بمحمد الطاهر بن عبد الحميد، وقد عرف عنه جهاده ضد الاستعمار الفرنسي في كل من سوريا ولبنان، ففقه فرنسا إلى سويسرا، أين أسس عام 1930 مجلة بالفرنسية عنوانها "العرب"، وكان يدعو فيها إلى تحرير العالمين العربي والإسلامي من رقة الاستعمار الأوروبي، وقد توفي عام 1946، وقد ترك عدة مؤلفات أشهرها "المقاومة الإسلامية ضد الغزو الأجنبي"، ومن كتبه أيضا "خلاصة تاريخ الأندلس"، "الحلل السادسة في الأسماء والأخبار الأندلسية" وغيرها من الكتب والمقالات.

¹⁴ البهاء بن زهير بن أبي سلمى المغربي، وهو شاعر عربي محضرم، أي غلب في الجاهلية، ثم دخل الإسلام على يد رسول الله محمد ﷺ، فهو صحابي جليل، وقد مات في عام 26 هـ الموافق لـ 645 ميلادية.

ولد الشيخ الشهيد العربي التبسي عام 1895 بقرية اسطح النعوشية التي تقع غرب مدينة تبسة اسمه الكامل العربي بن بلقاسم ابن مبارك بن فرحات. وهو من قبيلة لحامشة الأمازيغية. ولقب بالتبسي فيما بعد نسبة إلى مدينة تبسة التي قدم لها الكثير من الاعمال. أبوه بلقاسم كان فقيرا يشتغل في الأرض إلى جانب تحفيظ القرآن لابناء قرية اسطح.

وقد توفي عندما بلغ ابنه العربي الثامنة من عمره، ليكفله عمه.

بدأ الطفل العربي حفظ القرآن الكريم على يدي أبيه، وعندما توفي أبوه أصر الطفل على مواصلة حفظ القرآن، فأتى ذلك في الثانية عشرة من عمره، ثم انتقل إلى زاوية عنقة سبني ناجي الرحانية قرب بسكرة فدرس هناك العلوم الدينية لمدة ثلاث سنوات لينتقل بعدها إلى زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز بنقطة جنوب غرب تونس، وهي نفس الزاوية التي درس فيها أبوه.

والتحق العربي التبسي بجامع الزيتونة في عام 1913 أين تحصل على شهادة الأهلية وفي عام 1920 انتقل إلى مصر لمواصلة الدراسة في الجامع الأزهر الشريف أين تحصل على الشهادة العالمية. وبذلك أصبح الشاب العربي عالما في الدين بآتم معنى الكلمة، وكان بإمكانه الحصول على أفضل الوظائف في مصر إلا أنه رفض ذلك وأصر على العودة إلى وطنه الجزائر الذي بقي متعلقا به روحا وجسدا، كما أنه لم يطلب العلم من أجل وظيفة تغنيه عن الحاجة، فيعتبر طلبه العلم جهلا يحضر به نفسه لخدمة وطنه وتحريره من الجيوش الاستعماري الفرنسي، خاصة وقد استفاد العربي التبسي كثيرا من تجارب الحركات الإصلاحية بالشرق العربي التي قادها جمل الدين الأفغاني ومحمد عبده وسمع وأعجب كثيرا بالأفكار الوطنية الإسلامية التي غرسها الشاب مصطفى كامل في مصر في بدايات القرن العشرين ورأى آثارها في أوساط المصريين، فأراد الشاب العربي تكرار التجربة نفسها في وطنه الجزائر،

فدعا إليها عام 1927 وهو كله إيمان وحاس لتحرير الوطن والشعب من الاستعمار والجهل والخرافة
والشعوة التي ألحقت به وكانت تقضي على الدين والوطن.
عندما عاد الشيخ العربي التبسي إلى وطنه الجزائر وجد شعبه في أمس الحاجة إلى من يقوده إلى
التحرير من الاستعمار الغاشم الذي كان يأكل خيرات البلاد ويمتص عرق الكلاحيين من الشعب
وغضب الشيخ العربي التبسي غضبا شديدا عندما لاحظ أن الذين كانوا يساعدون الاستعمار على
ظلمه للشعب هم مجموعة من الجزائريين يلبسون لباس الدين ويستغلونه لخدمة مصالحهم وينشرون
الشعوة والدروشة والخضوع ويقولون للشعب أن الاستعمار قضاء وقدر، ويستغلون في ذلك كله الجهل
الذي كان الشعب المسكين يتخبط فيه.

واستطاع الشيخ العربي التبسي تحديد أصل الداء الذي كانت تعاني منه الأمة الجزائرية فكتب
مقالة في مجلة الشهاب عام 1927 يتحدث فيها بثورية عن الذين كانوا يضررون بالدين والوطن باسم
الدين، ويقول فيه «إن أخوف ما يخافه المسلمون الذين خالط بشاشة الإيمان قلوبهم على دينهم دعوى
الدجاجة الذين سيكونون بين يدي الساعة أولئك النفر الذين جعلهم الله فتنة لمن لم يرد بهم خيرا
فلم يفقههم في الدين، وقد قضت سنة الله أن يكونوا أتباع كل ناعق، وأنصار كل ضال، وعونا على
الخطيئة فكان الشيخ الجليل كان يكرر دعوة النبي إبراهيم عليه السلام ربه عندما كان يقول في القرآنة
الكريم «ربي لا تجعلني فتنة للذين كفروا» أي بمعنى أن لا يكون سببا في نفور الناس عن الدين
السبح فيكفروا به، ولا ينفر المسلم الناس عن الدين إلا إذا أعطى عنه صورة مشوهة بعيدة كل البعد
عن حقيقته فيظهره دين جهل وتخلف وشعونة واستغلال وظلم بل أن يظهره على حقيقته كدين علم
وتقدم وعقل وعدالة وحرية وثورة ضد الظلم والاستغلال والقهر.

فوضع الشيخ العربي التبسي نصب عينيه ضرورة محاربة هؤلاء المشعوذين والدراوش
والمرابطين الذين كانوا يعملون مع الاستعمار الفرنسي على تشويه الإسلام تمهيدا لإبعاده عن قلوب
الناس وإيقاع الشعب في الجهل مستسلما لقدره المحتوم خاضعا وخنوعا بذلك الثورة ضد الاستعمار

والجهل والتخلف. وكان يرى بأن الحل هو تطبيق قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ مما يستدعي تغيير ذهنية ونفسية أفراد الشعب فيغرس فيهم حب العلم واستعمال العقل وحس النقد والتمحيص بين الأفكار الصحيحة والخاطئة، وبأن دينه الإسلامي يفرض عليه العمل من أجل تغيير أوضاعه الرثة والسفاهة التي يرفضها الإسلام، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالقضاء على الاستعمار وأعوانه.

اتصل الشيخ العربي التبسي عام 1929 بالشيخ الإمام عبد الحميد ابن باديس الذي ذاع صيته في أرجاء الوطن واكتسب تجربة كبيرة في الإصلاح الديني ونشر فكرة الوطنية، وكان هدف الشيخ التبسي من هذا الاتصال هو معرفة الواقع بدقة والاستفادة من تجربة ملهمه ابن باديس وتنسيق الجهود معه وبقية العلماء المجاهدين فازداد الارتباط الوثيق بين ابن باديس والتبسي الذي اكتسب علما واسعا بالأزهر الشريف، وقل ابن باديس عن العربي التبسي بعدما عرفه جيدا أنه لذي الفؤاد صحيح الفكر والعلم فصيح اللسان، محجاج قوي الحججة، حلو العبارة... شديد الحب لدينه ووطنه، شديد في الدفاع عنهما.

بدأ الشيخ العربي التبسي جهاده ضد الاستعمار وأعوانه من مسجد ابن سعيد وهو مسجد صغير يقع في وسط مدينة تبسة، فكان يدعو من خلال خطبه ودروسه إلى العودة إلى الدين الإسلامي الصحيح، كان يكشف حقيقة المشعوذين وال دراويش والطرقين الذين كان الاستعمار يستعملهم لإبقاء الشعب في التخلف والجهل خوفا من الاستفاقة يوما فيهز أركان الاستعمار الغاشم الذي أملاك البلاد والعباد.

فأعجب شباب مدينة تبسة بهذه الأفكار الجديدة التي لم يألّفوها من قبل، فأصبحوا يترددون بأعداد كبيرة على المسجد الصغير لسماع خطب ودروس الشيخ الشاب المفعم بالإيمان والإخلاص وحب الوطن والدين. واهتز نفوذ المشعوذين وال دراويش والمرابطين وانتشرت فكرة الوطنية وضرورة التخلص من الاستعمار بين الشباب وأصبحت هذه الأفكار تُردّد على الألسنة. وأصبح المسجد الصغير

لا يتسع لكل هؤلاء الشباب، فطلبوا من التبسي الانتقال إلى الجامع الكبير في المدينة التابع للحكومة الاستعمارية، فحركت هذه الأخيرة بيادقها من العملاء ليمتنعوه من التدريس والخطابة في هذا الجامع وكانوا يقولون للناس إن العربي التبسي يزرع الفتنة وهو كافر فهو من الأبالسة كما كان يلقب أتباع الشيخ عبد الحميد بن باديس، فعمد الاستعمار وأعوانه إلى تضيق الخناق على الشيخ التبسي لأنه كان يحج نفوس الشعب فمنعه من كل نشاط.

وأمام هذا الرضخ نصحه الشيخ عبد الحميد بن باديس بالانتقال إلى مدينة سيق بالغرب الجزائري لزرع الأفكار الإصلاحية والوطنية هناك، فمادت هذه الأفكار قد أينعت في مدينة تبسة ولا خوف عليها، وإن شباب المدينة سيتكفلون بها، فانتقل الشيخ التبسي إلى مدينة سيق عام 1930. وبقي فيها سنتين يهز أركان الاستعمار بأفكاره الوطنية والإصلاحية، فاعتنقها الشباب الذين تكفلوا بها ليعود مرة أخرى إلى تبسة في أواخر عام 1931.

وفي هذه الظروف نشأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ملي 1931، وكان الشيخ العربي التبسي أحد أقطابها الكبار إلى جانب عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي ومبارك الميلي والطيب العقبي وغيرهم من الرجال الأفذاذ الذين عملوا على إحياء الأمة وتحريكها لتهز أركان الاستعمار الغاشم الذي أراد القضاء عليها إلى الأبد. وقد انتخب الشيخ العربي التبسي أميناً عاماً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مثلما تكفل بالتدريس والإصلاح ونشر الأفكار الوطنية ورعايتها في مدينة تبسة وما جاورها رغم عراقيل الاستعمار وعملاته.

وعاد الشيخ التبسي إلى المدينة التي لقب بها، ففرحوا به كثيراً، ووجد سكانها قد بنوا مدرسة ومسجداً حراً بتبرعاتهم وأموالهم التي نزعوها من قوت أبنائهم ليقموا بها أماكن لطلب العلم، وكيف لا يقومون بذلك وهم تشيعوا بأن العلم هو حجر الأساس لبناء مجتمع سليم ومتقدم وقد كان أول أمر من الله سبحانه وتعالى إلى المسلم هو «اقرأ باسم ربك» ؟

جهز سكان المدينة مدرستهم بأحدث الأجهزة، وأصبحت على أتم الاستعداد لاستقبال البنات والأطفال والتكفل بهم، وقد بلغ عدد تلامذتها 500 تلميذ وتلميذة في عام 1934 جاءوا كلهم من المناطق المجاورة.

وقد أدرك الشيخ العربي التبسي أهمية الجمعيات في نشر الأفكار الوطنية والإصلاحية وتنظيم الشعب، فعمد إلى إنشاء الكثير منها في مدينة تبسة فأسس عدة جمعيات كشفية ورياضية أهمها "جمعية تهذيب البنين والبنات" وأنشأ نادي الشبان المسلمين الذي كان هدفه جلب الشباب ليتعلموا ويسمعوا الكلام الطيب وتلبية رغباتهم في التسلية والترويح عن النفس في إطار الأخلاق والمبادئ الإسلامية، فكان يقول أليس ذلك أفضل من الذهاب إلى الحانات التي وضعها الاستعمار لتلهية الشباب الجزائري ودفعهم إلى الإدمان على الخمر فتذهب صحتهم وعقولهم فينشغلوا عن الاستعمار الجاثم فوق أرضهم وهو سبب مأسيتهم ويؤسهم.

بعد وفاة الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس يوم 16 أبريل 1940، انتخب الشيخ البشير الإبراهيمي رئيساً لجمعية العلماء المسلمين والجزائريين، والشيخ العربي التبسي نائباً له، فواصل الشيخ جهاده ضد الاستعمار، خاصة وأن الرئيس الجديد لجمعية العلماء كان منفيًا إلى أفلو، فتكفل الشيخ التبسي بأغلب الأعمال، مما أقلق السلطات الاستعمارية فاختلقت له تهمة الاتصال بالمانيا النازية لتتخذها ذريعة لإيقاف نشاطه، فألقي عليه القبض عام 1943 وبقي شهوفا في سجن لمميز بباتنة لينقل فيما بعد إلى سجن الكودية بقسنطينة، وبعد ستة أشهر أطلق الاستعمار سراحه خوفا من غضب الشعب الجزائري الذي كان يمكن أن يثور فيشغل فرنسا عن حربها ضد المانيا النازية.

وعند انتهاء الحرب العالمية الثانية بهزيمة المانيا النازية، خرج الشعب الجزائري في مظاهرات ضخمة يوم 8 ماي 1945 يطالب فيها فرنسا بإعطائه الاستقلال، فردت عليه بالقتل والذبح والهمجية فقتلت 45 ألفا من الشعب الجزائري واعتقلت 73 ألفا منه، ومن هؤلاء المعتقلين الشيخ العربي

التبسي الذي حمله الاستعمار مسؤولية المظاهرات إلى جانب الكثير من قادة الأحزاب. وخرج العربي
التبسي من السجن في مارس 1946 ليعود إلى مواصلة جهاده من أجل تحرير وطنه وشعبه.
أنشأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين معهد ابن باديس بقسنطينة في عام 1947، وهو بمثابة

ثانوية تتسع لـ 1500 طالب.

وكلفت الشيخ العربي التبسي بإدارة المعهد فعمل على تكوين الطلبة علميا وعقليا وروحيا
وأخلاقيا فكان يوجههم إلى المطالعة الواسعة واكتساب القدرة على الخطابة والكتابة المؤثرة في
النفوس والقلوب فتحركها ضد الاستعمار، وكان ينصحهم باستعمال عقولهم وجعله الميزان الذي
يزنون به الأمور والأحداث، ويقول لهم بضرورة امتلاك حسن النقد وعدم قبول أي شيء دون تمحيصه
وكان الطلبة يدرسون في معهد ابن باديس العلوم الدينية والتاريخ والجغرافيا واللغة إلى جانب
الرياضيات والعلوم الطبيعية لأن المسلم عندما قل له الله سبحانه وتعالى «اقرأ باسم ربك» فلم يكن
يعني بذلك القراءة في الكتب فحسب بل ضرورة القراءة في الطبيعة والكون والمجتمعات لاكتشاف
مختلف القوانين الطبيعية والاجتماعية ثم توظيفها في خدمة الإنسانية إما باختراع الآلات والأدوية أو
بإبداع أحسن الأنظمة الإدارية والاجتماعية والاقتصادية التي تيسر الحياة للمجتمعات.

ولم يخل الشيخ العربي التبسي على طلبة المعهد بنصائحه وتوجيهاته فكان يذكرهم عند كل
عطلة صيفية بالقول لهم «أنتم جنود الله والوطن، إياكم وارتياح أماكن اللهو والمقاهي، وجندوا أنفسكم
للإسلام والوطن، حدثوا آباءكم وأقاربكم عن تعليمكم وشيوخكم، وما سمعتم منهم من النصائح
علموهم ما تعلمتم من الدين والإخلاص، حدثوهم عن الاستعمار وظلمه، فهذا واجبكم في عطلةكم
فأنتم أمل شعبيكم المسكين، فلا تنشغلوا عن واجباتكم بما يسر أعداء وطنكم ويغضب آبائكم، تذكروا
معيشتهم تلك هي الرسالة التي تكلفكم بتليفها إلى آبائكم وأقاربكم، وتلك هي أمانة العلم في
أعناقكم...».

واستمر الشيخ العربي التبسي في الجهاد ضد الاستعمار بالخطب والدروس في المساجد والقصبات في التوازي والكتابة في الصحف، فكان ينشر الكلمة الطيبة التي كانت ترتعد لها فرائص الاستعمار ولقائمه، فكان قليل النوم كثير الحركة والترحال، وقد نقلت عليه المسؤوليات عندما كُلف بإدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد رحلة رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي إلى المشرق العربي عام 1952. هكذا كان الشيخ العربي التبسي كله توضيحات رغم مرضه وسنه إلا أنه كان يسر بما كان يعمل رغم الأتعاب لأنه كان يقوم بكل ذلك بإخلاص وتجرد لله سبحانه وتعالى مما حول تبعه راحة رمو النبي ما فتى يقول «إنه لا يمكن إرضاء الإسلام والوطن، وإرضاء الزوج والأبناء في وقت واحد، إنه لا يمكن لإنسان أن يؤتي واجبه التام إلا بالتضحية».

عندما اندلعت الثورة المسلحة ضد الاستعمار في ليلة أول نوفمبر من عام 1954 التحق الكثير من تلامذة منار من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بها فحملوا السلاح ضد الطغيان الاستعماري لتحرير البلاد بعد ما تحرر الشعب من الخوف والشعوة والدروشة. وكيف لا يلتحق هؤلاء التلاميذ بالجهاد ضد الاستعمار وقد أفتى إمامهم الشيخ العربي التبسي في بداية الثورة أنه «لا يجوز لأي مسلم دون غير أن يتخلف عن الجهاد». وكان يتأسف لأنه غير قادر على حمل السلاح لمرضه وشيخوخته فكان يقول: «لو كنت في صحي وشبابي ما زدت يوماً واحداً في المدينة أسرع إلى الجبل فأحمل السلاح فأقاتل مع المجاهدين»، ورغم ذلك فإنه التحق بالثورة منذ بدايتها وكان يجمع لها المال ويعين الشعب ويضمر إلى الجهاد ضد الاستعمار، وعندما نصحه عيان رمضان بالالتحاق بالخارج خوفاً من أن يحبس الاستعمار بسوء رد عليه قائلاً: «إذا كنا سنخرج كلنا فمن يبقى مع الشعب يوعيه ويعبثه ويحمسه؟»

فصل الشيخ العربي التبسي البقاء في الجزائر، وكان يلقي الدروس والخطب في مسجد بلكور بالعاصمة يدعو فيها الشعب إلى الالتحاق بالثورة ضد الاستعمار وكانت دعوته تصل إلى أرجاء الوطن كله فأصبح الاستعمار يعتقد أن بقدرة هذا الرجل إيقاف الثورة فأرسلت إليه الحكومة الاستعمارية عدة معونات تمريضيه وترجو منه التفاوض، فكان يرفض كل حديث معهم ويشير إلى أن جبهة التحرير

الوطني هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب ويقول لهم: «إذا أرادت فرنسا إيقاف الحرب فلنفاوض جبهة التحرير الوطني، أما العربي التبسي وغيره فليس لهم أن يتكلموا باسم الشعب وثورته ولا يستطيعون إيقاف ثورة الأمة كلها».

أمره الشيخ العربي التبسي أنه مهلهل في حياته، خاصة بعد ما اعتُلي على مسجد بلكور الذي كان يخطب فيه، ورغم ذلك رفض الخروج وفضل البقاء مع الشعب، وكان يرى أن استشهاد جبهة للجزائر وثورتها لأن الوطن يتحرر وينمو ويتقدم بعرق ودماء أبنائه.

ووقع الاستعمار في حيرة من أمره، ورأى أنه إن اعتقل أو قتل الشيخ العربي التبسي فلا خير استشهاد ينتشر في أنحاء البلاد كلها فيتأكد المترددون من الشعب أن الثورة هي فعلا جهاد في سبيل الله والوطن وليس كما يدعي الاستعمار من أن المجاهدين فلاة وخارجون عن القانون. وإذا أبقي الاستعمار الشيخ العربي التبسي على حاله فإنه يعمي الشعب ويوعيه بحقيقة الثورة. وشرع العدو يفكر في مخرج له من هذا المأزق الذي أوقعه فيه هذا الفقيه الثائر؟ فتوصلت المخابرات الاستعمارية إلى حل يتمثل في إعطاء الأمر لمنظمة الأيدي الحمراء الإرهابية باختطافه واغتياله، وهذه المنظمة صنعتها هذه المخابرات لتقيد جرائمها ضد الشعب ثم استبعاد أية تهمة عن الحكومة الاستعمارية ومحاولة إلصاقها بالمجاهدين لزرع الغموض والبلبلة في نفسية الشعب وتشويه الثورة.

واختطفت منظمة الأيدي الحمراء الإرهابية الشيخ العربي التبسي من بيته ببلكور ليلة 4 أبريل 1957 وهو مريض، وعندما بحث عنه أفراد عائلته لدى الإدارة الاستعمارية وفي سجونها لم يجدوا خبرا عنه ونفت السلطات الاستعمارية عنها عملية اختطافه من بيته خوفا من ثورة الشعب لكافة الرجل وثائره، لكن الشعب عرف أن الذي يهدد الاستعمار ومصلحه لا يمكن أن يقتل إلا على يد هذا الاستعمار البغيض.

فالشهيد الشيخ العربي التبسي وهو في الثانية والستين من عمره ولم يعرف إلى حد اليوم مكان
منازلته لكن ما يعرفه الشعب هو أن العربي تبسي ابن من أبناء هذا الوطن العزيز الذي استشهد من
أبيه مليون ونصف مليون شهيد.

هذا هو الشهيد العربي التبسي الذي قل عنه الشيخ البشير الإبراهيمي: «الاستاذ التبسي كما
شهد الاعتبار وصلقت التجربة مدير بارع ومرب كامل، خرجته الكليتان الزيتونة والأزهر في العلم
وخرجه القرآن والسيرة النبوية في التدين الصحيح والأخلاق المتينة.

وأعانه ذكاؤه والسمعية على فهم النفوس، وأعانه عفته ونزاهته على التزام الصلح والتصلب
في الحق وإن أغضب جميع الناس، وألزمته وطنيته الصداقة بالذوبان في الأمة والانقطاع لخدمتها بأنفع
العمل وأعانه بياته وبقينه على نصر الحق بالحجة الناهضة ومقارعة الاستعمار في جميع مظاهره.

الفضيل الورثيلاني

هو الفضيل حسين بن محمد السعيد بن فضيل المعروف باسم "الورثيلاني"، نسبة لمنطقة بني ورثيلان الواقعة جغرافياً بأعالي جبل البيان الشاخنة، أما إدارياً فهي تابعة لولاية سطيف، وبني ورثيلان منطقة جبلية ذات مناظر طبيعية ساحرة يزينها جبل أزرو، اقوف، ثيلة... وتشق أراضيها العديد من الوديان، التي تصب كلها في نهر الصومام العريق.

ويقطن هذه المنطقة سكان ينطقون بالقبايلية أقل ما يوصفون أنهم "أمة وسطاء" ومنهم من يعود أصله إلى "الشرقاء" من آل بيت رسول الله ﷺ.

ولد الشيخ الفضيل الورثيلاني بقرية آنو، يوم 06 فيفري 1900م وفيها تعلم مبادئ اللغة وحفظ القرآن الكريم، وفي منابها شرب قيم الوطنية، وحلاوة الدين الإسلامي، حيث كانت هذه المنطقة تعج بمئات العلماء وطلبة القرآن الكريم المنتشرين عبر مختلف زوايا تعليم القرآن. "تيمعمرت"، ومن أهم المشايخ الذين أخذ عليهم العلم الشيخ "السعيد البهلولي" ويمتد نسبه إلى العلامة الرحالة "الحسين الورثيلاني" صاحب الرحلة الورثيلانية (تتمة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار فكان خير خلف لخير سلف).

ولد محمد بوراس سنة 1908 بمدينة مليانة ولاية عين الدفلى، ترعرع محمد وسط عائلة بسيطة وفقيرة دخل الكتاب وحفظ القرآن الكريم وفي سنة 1915 التحق بمدرسة فرنسية لتابعة دروسه الابتدائية، لكن حالته المعيشية لم تسمح له بإكمال دراسته فالتفت إلى العمل وهو يبلغ من العمر 16 سنة عمل بمنجم زكار، ثم في 1926 انتقل هو وعائلته إلى العاصمة وهناك عمل بمطحنة الحبوب بالحراش كمحاسب وتعلم على الآلة الراقنة وبعد سنتين عمل في ميناء الجزائر ككاتب بمصلحة القيد البحري بعد أن اجتاز امتحان مسابقة التوظيف بتفوق.

كان معروفا بالنشاط الرياضي حيث التحق في 1930 بصفوف المولودية الجزائرية لكرة القدم ثم ساهم في تأسيس وتنشيط الجمعية الرياضية الطليعة.

مع هذا تعلم العربية وكتابتها في المدرسة الحرة (الشبيبة) حضر دروسا مسائية كما كان يتردد على المحاضرات التي كان يلقيها العلماء مثل الإمام عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي والشيخ الطيب العقبي في نادي الترقى.

ووسط كل هذه التحركات الثقافية النشطة فكر في تربية النشء على مبادئ وطنية وتكوين جيل ثوري ففكر في إنشاء الكشافة الإسلامية الجزائرية وكانت أول حركة كشفية رائدها الأول محمد بوراس في مدينة مليانة تحتوي على عشرة عناصر واسمها ابن خلدون، ثم أنشأ فوج كشفي متكون من 8 عناصر بقلب القصبة سنة 1935 واسمها الفلاح كما توسعت الحركة الكشفية إلى مختلف القطر الجزائري مثل فوج الرجاء وفوج الصباح بقسنطينة 1936 وفوج الفلاح بمستغانم سنة 1936 وفوج الإقبال بالبليلة 1936 وفوج القطب بالجزائر العاصمة 1937 وفوج الحيلة بسطيف 1938، وفوج الهلال بتييزي وزو سنة 1938 وفوج

الرجاء ببساطة 1938 وفوج النجوم بقلعة 1939 وكانت هذه الأفواج متفرقة ففكر في إنشائه
جمعية للكشف الإسلامية بالجزائر سنة 1937 وأول تجمع كشفي لها كان في جويلية 1939
بالحمامات.

لكن السلطات الفرنسية شككت في نشاطه الكشفي وشدت عليه الرقابة المستمرة
وفي 3 ماي 1941 ألقت عليه القبض وتم تعذيبه بوحشية ثم قدم إلى المحكمة العسكرية التي
أصدرت في حقه حكم الإعدام يوم 15 ماي 1941 بتهمة التعاون مع العدو وتهديد أمن
الدولة الفرنسية. ونفذ حكم الإعدام يوم 27 ماي 1941 بالسلحة العسكرية بحسين داي
وعمره لا يتعدى 33 عاما.

ولد المناضل محمد بلوزداد في سنة 1924 بحي بلكور بالجزائر العاصمة، تعلّم بالعاصمة ونال الشهادة التكميلية العليا، عمل محمد بلوزداد موظفا في الإدارة الفرنسية بالولاية العامة لكنه تخطى عن منصبه ليشتغل بالكفاح وتحرير الوطن فالتحق في حزب الشعب الجزائري في سنة 1943 وعمره لا يتعدى 19 عام ثم شارك في تأسيس منظمة لجنة شبيبة بلكور وكان هو من ترأس هذه الجمعية وامتد نشاطها إلى مدن أخرى من العاصمة ومن بين أهدافها توعية الشباب وتكوينهم، وفي سنة 1944 أصدر صحيفة سرية تحت عنوان (الوطن).

عرف محمد بلوزداد بالنشاط والحيوية وكان أحد المنظمين لمظاهرات أول ماي من سنة 1945 بالجزائر العاصمة، كما مهدت هذه المظاهرة إلى الانتفاضة الوطنية في 8 ماي 1945 ومن ذلك الوقت أصبح مراقبا من طرف السلطات الفرنسية ولما فشلت في القبض عليه سلّطت غضبها على والده وأخويه حتى أن أحد إخوته لفظ أنفاسه في المستشفى متأثرا بجروحه من التعذيب.

رغم كل هذه الوحشية إلا أن عزيمة البطل بلوزداد لم تنقص بل ازداد قوة وشجاعة في مواصلة النضال إذ عين عضوا في المكتب السياسي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1947، كما تولى مسؤولية تشكيل المنظمة الخاصة المؤهلة للنشاط الثوري وكان عمره 23 سنة.

وفي أواخر سنة 1948 أصيب بمرض السل وعلى إثره توقف عن ممارسة نشاطه الثوري ودخل المستشفى بفرنسا تحت اسم مستعار إلى أن وافته المنية يوم 14 فيفري 1952 عن عمر لا يتعدى 28 سنة.

ولد عباس الغرور في اليوم الثالث والعشرين من شهر جوان من سنة 1926 ببلوار مسيفة (خنشلة)، ينتمي إلى أسرة فقيرة معدمة، دخل المدرسة الفرنسية واستطاع الحصول على الشهادة الابتدائية، بعدها توجه إلى الحياة العملية حيث عمل كطباخ لدى حاكم المدينة، وكان ذلك عام 1948.

انضم الشهيد مبكرا إلى الحركة الوطنية (حزب الشعب الجزائري) وكان ذلك عام 1946، وكان ينشط مع المناضل إبراهيم حشاني المسؤول الجهوي لمنطقة الأوراس، وقد شك في أمره صاحب العمل عندما شوهد مع هذا الأخير في أحد الأسواق ولذا طرد من العمل فلجأ عباس إلى فتح دكان للخضر والفواكه في السوق العامة للمدينة، وهذا لتمويه الاستمرار عن نشاطه الحقيقي، ولقد أصبح هذا الدكان مكانا يلتقي فيه مناضلو الحزب لعقد اجتماعاتهم السرية ومن أمثل هؤلاء نذكر: شيهاني بشير، مسؤول حركة الانتصار للحريات الديمقراطية على مستوى باتنة، ونظرا للميزات التي كان يتميز بها الشهيد فقد أوكلت له مسؤولية الإشراف على قسمة الحزب بخنشلة. وأهم ما قام به نذكر:

تنظيم مظاهرة احتجاجية عام 1951 ضمت شريحة من شبان المدينة، وكان هذا تنديدا للوضع المأساوي التي كان يعاني منها الشعب الجزائري ومن أهم المطالب التي كان يصرخ إليها المتظاهرون: القضاء على البطالة، توفير الخبز، وقد سلمت هذه المطالب للسلطات الفرنسية التي قلمت على إثرها بإلقاء القبض على عباس لغرور وبعض رفاقه، وبقي في السجن مدة 3 أيام، تعرض خلالها إلى تعذيب وحشي مما أدى به إلى الإصابة بمرض صلبي جعله ينتقل إلى باتنة للعلاج وقد تكفل حزب حركة الانتصار بجميع نفقات علاجه وبعد أن تمائل للشفاء عاد إلى خنشلة ليواصل نشاطه السري داخل الحزب. وبرفقة الشهيد مصطفى بن

بولعيد وعجول عجول وقرين بلقاسم ساهم عباس لغرور بالتحضير للثورة في منطقة الأوراس. وقد أشرف على الأفواج التي أوكلت لها مهمة شن الهجومات ليلة أول نوفمبر 1954.

منذ اللحظات الأولى للثورة المسلحة برهن عباس لغرور على حنكته وشجاعته وقدرته على القيادة والمناورة وإلحاق الهزيمة بالعدو.

من أهم المعارك التي شارك فيها أثناء الثورة نذكر:

معركة الجرف الشهيرة التي دامت 3 أيام يوم 24/23/22 سبتمبر 1955.
معركة الزاوية الشهيرة بشرشار .

معركة تفسور (شاشار 1955).

معركة البيضاء (استمرت 24 ساعة كاملة.)

كمين كنتيس مراح البارود (أكتوبر 1956)

وبقي عباس يشارك في المعارك تلو المعارك إلى أن استشهد يوم 25 جويلية 1957.

من مواليد فلسطين المخط في صفوف حزب الشعب حركة انتصار الحريات الديمقراطية في اواخر

الاربعينات

انضم إلى المنظمة السرية بعد تكوينها وعندما تم اكتشافها وتفكيكها ألقي عليه القبض من طرف السلطات الاستعمارية وتعرض لتعذيب جهنمي ولكنه وشهيدته منفصلي فلسطين ثبت على مواقفه ولم يعترف بأي شيء

وقد شارك في الاجتماع التاريخي مجموعة الاثني والعشرين وبعد اندلاع ثورة الفاتح بولس الحق بصفوفها وخاض غمارها إلى أن استشهد

حسيبة بن بوعلي

من مواليد جانفي 1938، بمدينة الشلف، نشأت في عائلة ميسورة الحال، زاولت تعليمها الابتدائي بمسقط رأسها. وبعد انتقال عائلتها إلى العاصمة سنة 1948 واصلت تعليمها هناك وانضمت إلى ثانوية عمر راسم (حاليا)، وامتازت بذكائها الحاد، ومن خلال رحلاتها داخل الوطن ضمن صفوف الكشافة الجزائرية اطلعت على أوضاع الشعب السيئة.

مع مطلع سنة 1955 انضمت إلى صفوف الثورة التحريرية وهي في سنّ السابعة عشر كمساعدة إجتماعية، ولكن نشاطها الفعل برز سنة 1956 حين أصبحت عنصرا نشيطا في فوج القذائيين المكلفين بصنع ونقل القنابل. واستغلت وظيفتها بمستشفى مصطفى باشا للحصول على مواد كيميائية تساعد في صنع المتفجرات، وكان لها - رفقة زملائها - دور كبير في إشعل فتيل معركة الجزائر خاصة بعد التحاقها نهائيا بالمجاهدين بحمي القصبة ومغادرتها البيت العائلي نهائيا في أكتوبر 1956 بعد اكتشاف أمرها. واصلت نضالها بتفان إلى أن تم التعرف على مكان اختفائها من طرف قوات العدو التي حاصرت المكان، وأمام رفض حسيبة وزملائها تسليم أنفسهم، قام الجيش بنسف المبنى بمن فيه وذلك يوم 08 أكتوبر 1957.

شيخاني بشير

ولد الشهيد يوم 22 أفريل 1929 بنواحي قسنطينة وسط عائلة ميسورة الحال التحق بالمدرسة الفرنسية بمدينة الخروب وفي نفس الوقت كان يتابع دروسا باللغة العربية في زاوية سيدي حيلة. انتقل بعد مجاحه في شهادة القبول إلى مدينة قسنطينة ليتعلم بمدرسة جول فيري المعروفة بمدرسة الأنديجان وأقام حينها عند عائلة ابن باديس.

المحط منذ صغره في خلية الطلبة بمدرسة جول فيري عام 1946 لينظم بعدها إلى المنظمة الخاصة بعد تشكيلها سنة 1947 وعرف باسم سي الطاهر، في فبراير 1953 عين على رأس الدائرة الحزبية بالجنوب الغربي للوطن بمنطقة بشار واتخذ اسم "سي الهواري"، ليعود في نهاية السنة إلى الأوراس تحت اسم "سي مسعود". وكان له شرف التحضير لاندلاع الكفاح المسلح في منطقة الأوراس رفقة الشهيد مصطفى بن بولعيد وبعد سفر هذا الأخير عين شيخاني قائدا بالنيابة للولاية الأولى. قلا معركة الجرف الشهيرة ببسالة واستشهد في 2 أكتوبر 1955 بالأوراس.

من مواليد قسنطينة، المحرط في صفوف حزب الشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات الديمقراطية في سنة 1945 حيث ناضل إلى غاية الإعلان عن تكوين المنظمة الخاصة التي انضم إليها. وبعد اكتشافها من قبل السلطات الاستعمارية في مارس 1950 القى القبض على سعيد بوعلي وعذب عذابا شديدا ولكنه ثبت وصبر على التعذيب ولم يعترف بأي شيء كما يشهد له بذلك كل مناضلي قسنطينة.

وقد تبنى في ما بعد طروحات اللجنة الثورية للوحدة والعمل خلال الأزمة الخطية التي عرفتتها حركة انتصار الحريات الديمقراطية وذلك للتنصل من مواقف المراكزين شارك بوعلي في اجتماع الـ 22 الذي انعقد بمنزل إلياس دريش بالمدينة. وظروف لا تزال مجهولة شارك بوعلي في تفجير ثورة أول نوفمبر 54 ورغم ذلك تم إلقاء القبض عليه من طرف البوليس الفرنسي ليطلق سراحه في ما بعد. بعد ذلك التحق بالثورة وخاض غمارها إلى أن سقط شهيدا.

ولد بن عودة بن مصطفى بعنابة في 27 سبتمبر 1925. والده كان عضوا في لحج شمال إفريقيا. اعتك في صباه بالمناضل النقابي حسن التوري الذي نفى من تونس إلى عنابة وهو أحد مؤسسي حزب الدستور القديم واتحاد الشغل التونسي، والذي تكفل به والده.

في سنة 1935 انضم بن عودة بن مصطفى إلى فرقة "المزهر البوني"، وهي فرقة فنية مسرحية كانت تقوم بنشاطات فنية عديدة من بينها تنظيم مسرحيات وحفظ الأناشيد الوطنية. ومن خلال هذه النشاطات تسعى إلى توعية الشباب ومحاربة الآفات الاجتماعية.

في 11 مارس 1937 رفع بن عودة فيها العلم الوطني في مظاهرة بمناسبة تأسيس حزب الشعب الجزائري، ردا على حل لحج شمال إفريقيا في أواخر جانفي من نفس السنة.

وفي الفترة ما بين 1936-1937 ومع ظهور الحركة الكشفية المحرط في فوج "المنى"، وكان قائده لحسن شريف. وفي بداية عام 1943 انتقل إلى فوج "أحميلة بليلي" التابع لحزب الشعب الجزائري. وهكذا أصبح يعمل في هذا الحزب بسرية إلى أن ألقى عليه القبض رفقة مناضلين لأول مرة في سنة 1944 بعد أن عثرت الشرطة الإستعمارية لديهم على أعداد من صحيفة "العامل الجزائري" ونسخ من "رسالة شلالة" التي بعثها مصالي الحاج من منفاه. وأصدر عليه الحكم بالسجن مدة عامين و60 ألف فرنك فرنسي كغرامة وخمس سنوات كمنع للإقامة. ولكن تم الإفراج عنهم بعد قضائهم 4 أشهر وذلك في أواخر 1945، وفور خروجهم من السجن استدعاهم الحزب لاستئناف النشاط النضالي إلى أن انعقد مؤتمر الحزب في منتصف فيفري لإنشاء المنظمة الخاصة واتصل بين عودة المدعو عمار "الجيلالي بالحاج" وأطلعه على تأسيس المنظمة والأهداف التي ترمي إليها، كما أخبره بأنه وقع عليه الاختيار ليكون مسؤولا على التنظيم عن قطاع عنابة وضواحيها. وكان مسؤوله المباشر هو "حسن بن زعيم" الذي عين على رأس ناحية عنابة كلها. ومن بين المهام التي كانت على عاتقه هي توعية المواطنين، جمع

الأسلحة وتدريب الشباب عليها جمع الإشتراكات والإعانات. هكذا واصل نضاله إلى أن قبض عليه للمرة الثانية سنة 1950 إثر عملية تبسة، وهي عملية تأديبية طبقت على بعض المناضلين في المنطقة نظرا لأن تصرفاتهم يمكن أن تعرض التنظيم السري للخطر. وكانت هذه العملية بأمر من قيادة "المنظمة الخاصة" على مستوى عمالة قسنطينة، التي كان بوضياف مسؤولا عنها.

وبدأت هذه العملية بقسنطينة حيث تم تأديب بعض المناضلين بها، ثم اتجه بن عودة مع ديدوش مراد عبد الباقي بخوش، حسن بن زعيم وإبراهيم عمامي إلى تبسة. وتوقفوا عند محطة بنشزين ونزلوا الثلاثة الأوائل في تلك الناحية لتفقد أحد المناضلين بينما بقي حسن بن زعيم وإبراهيم عجمي في السيارة. وعند رجوعهم لم يجدوا السيارة ومن فيها. فقد تم توقيفهم من طرف الدرك الإستعماري غادر ديدوش إلى قسنطينة وعاد بن عودة وعبد الباقي إلى عنابة بعد أن عرفوا أن زملاءهم وقعوا في قبضة رجل الدرك. وأمر مسؤول الناحية بتسليم أنفسهم في حالة قدوم الشرطة الاستعمارية وبالفعل تم القبض عليهم وسجنوا مدة 13 شهرا في السجن الكبير بعنابة ما بين 1950 إلى غاية 1951 أين تمت عملية الهروب مع رفقاء آخرين من بينهم عبد الباقي بخوش وسليمان بركات رفقة زيغود يوسف الذي أمر بنفس التهمة في 21 أبريل وتمت هذه العملية بواسطة صنع مفاتيح لأبواب السجن وهذا انطلاقا من مهارة زيغود يوسف الذي كان يتقن حرفة التجارة والحداقة.

اتجهوا إلى منطقة الأوراس ومكثوا هناك ما بين سنتي 1951 إلى 1953 وقام هؤلاء بالتوعية والتنظيم والتكوين والدعوة إلى الكفاح المسلح عن طريق تكوين منظمة سرية أخرى كالمنظمة الخاصة وفي بداية سنة 1953 انتقل إلى تيزي وزو ليشترك إلى جانب يوسف زيغود في التحضير للثورة المسلحة حتى مغادرته إلى الشمال القسنطيني في ديسمبر 1953.

انضم إلى "اللجنة الثورية للوحدة والعمل" بجانب زيغود يوسف وديدوش مراد والتي تكونت نتيجة الأزمة التي كان يعاني منها حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية ولكن بمجرد ظهور مؤشرات فشلها، سعى كل من ديدوش مراد - زيغود يوسف - مصطفى بن عودة إلى المشاركة في

بثورة فكرة اندلاع الثورة حيث كان بن عوف من بين الذين شاركوا في اجتماع الـ 22 إضافة إلى هذه المشاركة منهم في كتابة بيان أول نوفمبر، واستعان في هذه العملية بمناضلين من المنظمة السرية.

عن سي عمار الاسم الثوري لمصطفى بن عوف كمسؤول عن الناحية الشمالية الشرقية عزابه قائلا: «أيدوع، القالة وجبل بني صالح عشية اندلاع الثورة التحريرية ولكن كانت هذه الناحية أقل النواحي استعدادا نظرا للتغيير المفاجيء في المسؤولية بحيث كان مسؤولا على الناحية الشمالية الغربية ثم تغير ذلك إلى الناحية الشرقية، وأصبح عضوا في مجلس المنطقة الثانية مسؤولا عن ناحية عنابة والقالة».

وبعد اندلاع ثورة أول نوفمبر اجتمع زيغود يوسف وبن طوبال وبن عوف لتقييم الوضع خاصة بعد استشهاد عدد من المجاهدين على رأسهم باجي مختار، ديدوش مراد واعتقل آخرين، ومن أجل إعادة الإطمئنان إلى نفوس المجاهدين وتشجيعهم لمواصلة الكفاح المسلح وربط الثورة بالشعب قام هؤلاء بعدة أعمال ضد القوات الإستعمارية وعلة هجومات كهجوم 20 أوت 1955 الذي كان له صدى كبيرا في الأوساط الفرنسية وفئات الشعب الجزائري. تواصلت نشاطات سي عمار إلى أن شارك في مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 الذي يعد حسب رأيه بمثابة بيان أول نوفمبر ثان. وعين عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية في الجلسة الأولى وبعدها سافر إلى تونس مع أوعمران كرائد مكلف بتموين الأسلحة حيث لعب دورا كبيرا في التنظيم الثوري في تونس وعلى الحدود الشرقية.

وفي أبريل 1958 عينت لجنة التنسيق والتنفيذ قيادة العمليات العسكرية (COM) على مستوى الحدود الشرقية والغربية. وتمركزت هذه الأخيرة في الناظور تكلفت بالولايات الرابعة والخامسة والسادسة ويسيرها العقيد الهواري بومدين وقائد أحمد أما قيادة العمليات الشرقية وقاعدتها في تونس فكانت مكلفة بالولايات الأولى والثانية والثالثة بقيادة محمدي السعيد ويسيرها مصطفى بن عوف والعموري محمد وعواشري محمد. ولكن هذه الهيئة لم تعمر طويلا إذ حلت في 5 جويلية 1958. ويرجع السبب إلى عملية حدثت في هذا التاريخ التي استهدفت تدمير خط موريس المكهرب والتي لقت رواجاً كبيراً في الجرائد اليومية، ودبرت هذه العملية دون موافقة قائدهم "محمدي السعيد" المدعو سي الناصر

وحدثت هذه الهيئة بعد شهرين حيث تم استدعاء أعضاء القيادة الشرقية من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ وتعيين رتب جميع أعضائها من رتبهم إلى رتبة أدنى ونفويهم إلى دول أجنبية. فأوقف بن عودة ثلاث أشهر مع نفيه إلى لبنان بتهمة "السلوك المنافي لأخلاقيات الثورة".

واصل سي عامر نشاطاته النضالية في لبنان حيث كانت له علاقات مع الطلبة ومناصلي مكتب جبهة التحرير الوطني في لبنان.

بعد أن قضى سي عامر الثلاثة أشهر في لبنان عاد إلى تونس وأصبح مسؤولاً عن التسليح والاتصالات العلنية ثم شارك مع الوفد الثاني لاتفاقيات إيفيان وعين كممثل لجيش التحرير الوطني عاد إلى الجزائر في مارس 1962 برفقة بومدين وبعدها كلف بمهمة إلى باريس كملحق عسكري. بعد الاستقلال تقلد منصب ملحق عسكري في القاهرة، باريس ثم تونس وبعدها سفيراً في ليبيا سنة 1979.

ومنذ المؤتمر الرابع لحزب جبهة التحرير الوطني شغل منصب رئيس لجنة الانضباط بالحزب وأخيراً منصب رئيس مجلس الإستحقاق الوطني أثناء فترة الرئيس الشاذلي بن جديد.

بن عبد المالك رمضان

ولد بن عبد المالك رمضان في قسنطينة في مارس 1928، واول دراسته الابتدائية والمتوسطة فيها قبل أن يلتحق بحلايا حزب الشعب الجزائري السرية في نهاية الحرب العالمية الثانية.

انضم بن عبد المالك رمضان إلى المنظمة الخاصة عام 1948 وأدى دورا نشيطا فيها وبعد اكتشاف السلطات الاستعمارية لوجود هذا التنظيم وتفكيكه، ظل يتأصل من أجل وحدة حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

شارك بن عبد المالك رمضان في اجتماع الـ 22 في جوان 1954 الذي اعتبره الوطنيون أول خطوة في الطريق نحو الثورة على النظام الاستعماري عن طريق العمل المسلح.

بعدما عين مساعدا للعربي بن مهيدي، قائد المنطقة الوهرانية، الذي كلفه بالإشراف على التحضير المكثف لأفواج المجاهدين في منطقة مستغانم وتدريبهم على السلاح والخطط القتالية تحسبا لاندلاع الثورة.

وفي يوم 1 نوفمبر 1954، قاد عبد المالك الهجومات المسلحة على مقر قبيلة الدرك بكسناني (سبني علي حاليا) بمنطقة مستغانم مما أدى إلى مقتل أحد الفرنسيين، وعلى مزارع الكولون في منطقة بوسكي (بن عبد المالك رمضان حاليا) وكذا تخريب محوّل كهربائي كبير في ويلييس.

استشهد بن عبد المالك رمضان في 4 نوفمبر 1954 بالقرب من سيدي علي خلال اشتباك بين مجموعته وقوات الاحتلال.

بذلك يكون أول قائد عسكري للثورة يسقط في ميدان الشرف ؛ وقد أعطي اسمه للبلدية التي سقط شهيدا على ترابها.

نواورة أحمد

ولد الشهيد نواورة أحمد سنة 1920 بمنطقة تاحامت أولاد سي أحمد بدوار غسيرة، نشأ في أسرة متواضعة تعلم مبادئ القراءة والكتابة في الزاوية.

أظهر ذكاء جادا في المدرسة، الأمر الذي جعله يتعرض لمعاملة خاصة من إدارة المدرسة ومعلميه، أرغمته على مغادرة مقاعد الدراسة.

وأمام مضايقات البوليس الفرنسي هاجر إلى فرنسا في سنة 1946، وبعد سنة من النضال في صفوف الجالية الجزائرية هناك، عاد إلى أرض الوطن سنة 1947.

اختير ممثلا لعمال منجم اشمول في سنة 1949 مما ساعده على أداء دور هام لصالح المنظمة الخاصة بجمع الأموال والأسلحة والبارود وصناعة القنابل إلى أن ألقي عليه القبض وزج به في سجن باتنة، حيث سلط عليه شتى أنواع العذاب لمدة ثمانية أشهر.

شارك في التحضير لتفجير ثورة أول نوفمبر حيث عين قائدا للفوج المكلف بمهاجمة مقرات العدو في آريس، وكان رد فعل السلطات الإستعمارية عنيفا إذ دمرت منزله وقتلت أباه وأخاه عبد العزيز.

عين أحمد نواورة على رأس فوج المجاهدين بآريس في شهر نوفمبر 1954.

شارك في الوفد الممثل للولاية الأولى في مؤتمر الصومام غير أن الظروف لم تسمح للوفد بالوصول إلى مكان انعقاد المؤتمر.

استدعي أحمد نواورة إلى تونس من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ في أبريل 1957، وهناك عين عضوا في قيادة الولاية الأولى.

أصبح أحمد نواورة عضوا قياديا في الولاية الأولى - أوراس التسامشة في 02 أبريل 1957، مكلفاً
بالاتصالات؛ ثم قائدا سياسيا في شهر ماي 1959. أصبح قائدا للولاية الأولى إلى أن استشهد سنة
1959.

من مواليد سنة 1939 بالقصبة أعرق أحياء العاصمة، تربى في أزقة الحي وخبر مختلف شوارع الجزائر العاصمة، عرف عنه حبه للتضحية وكرهه للمستعمر، انضم إلى صفوف الثورة ضمن فوج الفدائيين بالقصبة، وبحكم معرفته للعاصمة كلف بربط الإتصالات بين الفدائيين وعمل على توليد غايي لهم في القصبة مثلما فعل مع علي لابوانت سنة 1957. وكان له دور أساسي في إخفاء وثائق الثورة ومراسلات مسؤولي العمليات الفدائية، ونظف أماكن لإجتماعات المجاهدين.

واستمر في نضاله إلى أن سقط شهيدا يوم 08 أكتوبر 1957 بعد نسف البيت الذي كان رفقة زملائه حسيبة بن بوعلي، علي لابوانت وعمر الصغير.

محمود الشريف

ولد العقيد محمود الشريف سنة 1912 بالشرية ولاية تبسة، تلقى تعليمه الأول بمدرسة الشريعة الابتدائية ومنها تعلم مبادئ القراءة والكتابة.

انتقل إلى مدينة تبسة لمزاولة دراسته التكميلية، التحق بالكلية العسكرية الفرنسية ليتخرج منها برتبة ضابط ملازم أول، ثم عمل في صفوف الجيش الفرنسي إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، فشارك فيها مثل بقية الجزائريين.

انخرط في صفوف حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وواصل نشاطه حتى اندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954. التحق في جوان 1955 نهائيا بصفوف المجاهدين ليتولى قيادة كومندوس عسكري لخبرته الفلّة في الميدان الحربي.

عينته قيادة الولاية الأولى قائدا على المنطقة السادسة التي تضم تبسة وما حوله، وذلك حتى نوفمبر 1956. عين محمود الشريف على رأس الولاية برتبة عقيد بعد إجتماع كريم بلقاسم وعبد رمضان وأحمد محساس من أجل اختيار قيادة الولاية الأولى، ليصبح عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ مكلفا ب مهمة المالية.

كلف بوزارة التسليح والتموين في أول تشكيلة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية 1958-1960.

قرين بلقاسم

ولد قرين بلقاسم عام 1924 بمنطقة خنشلة بالأوراس، وعرف في صغره بطبعه المتمرد والشاكر على الوضع الاستعماري. وسرعان ما قرّر مقاومة المستعمر بالسلاح بعد مجازر 8 ماي 1945.

شكل قرين بلقاسم مجموعة مسلحة في مارس 1952 واتخذ من جبل الأوراس قاعدة لهجمات على قوات الاحتلال. حاولت السلطات الفرنسية والإعلام الاستعماري تشويه مقاومته بوصفه وجماع به "قطاع الطرق" و"الخارجين عن القانون"، ووضعت مكافأة تقدر بـ 100 مليون فرنك فرنسي عليهم على رأسه حيّا أو ميتا.

بعد اندلاع الثورة، لم يتردد قرين بلقاسم في الالتحاق بالمجاهدين بمنطقة الأوراس. وقد قام بعدة عمليات مسلحة ضد مواقع جيش الاحتلال ومصالح الكولون بتكليف قيادة المنطقة الأولى.

سقط قرين بلقاسم في ميدان الشرف يوم 29 نوفمبر 1954 على إثر هجوم شنته فرق المظليين الفرنسية المدعمة بالطائرات والمروحيات، على معقل المجموعة التي كان يقودها في جبل شلية بالأوراس. وجاء هذا الهجوم في إطار عمليات عسكرية للجيش الفرنسي في الأوراس دامت من 17 إلى 30 نوفمبر 1954، وشارك فيها أكثر من 5000 عسكري فرنسي.

الشهيد عمر ياسف المعروف باسم عمر الصغير، مثل لتضحية الطفل الجزائري أثناء الثورة التحريرية.

الطفل عمر ياسف انضم إلى الثورة وسنه لا يتعدى 13 سنة وكان من مجاهدي حي القصبة العتيق، شارك مع رجال في سن والده في حمل الرسائل إلى المسؤولين، وكان حلقة وصل بين القائد العربي بن مهيدي وياسف سعدي وباقي الفدائيين، وشهد له الشهيد العربي بن مهيدي بحماسة الفياض وبراءته الفولاذية. واستطاع بنباهة تخطي كل الحواجز البوليسية ولم تتمكن السلطات الفرنسية من اكتشاف نشاطه إلى أن استشهد رفقة حسية بن بوعلي وعلي لابوانت وحيد بومهيدي يوم 08 أكتوبر 1957 بعد نسف المنزل المختبئين فيه بحي القصبة.

الطيب الجفلاسي

ولد سنة 1916 ببلدية العمارية ولاية المدية، من عائلة فلاحية متوسطة الحال، حفظ القرآن الكريم وتلقى تعليمه ابتدائيا بمسقط رأسه. التحق مبكرا بصفوف الحركة الوطنية وذلك سنة 1937 في صفوف حزب الشعب الجزائري وتكلف بمهمة تنظيم الخلايا التضاللية بمنطقته، وظل على هذه الحال إلى أن اكتشفت السلطات الإستعمارية أمره فسجنته ثم نفته لمدة أربع سنوات خارج منطقته، فاستغل هذا النفي ليتنقل في سهول متيجة وقرى ومدن المدية والبليلة لنشر الأفكار الثورية.

عند اندلاع الثورة التحريرية في نوفمبر 1954 كان من الأوائل الذين لبوا النداء وتكفل بالإمداد العسكري كجمع الأسلحة وبناء المخابئ وجمع الأموال.

سنة 1957 عين مسؤول منطقة بالولاية الرابعة وبعد زيارته إلى تونس سنة 1958 رقي إلى رتبة عقيد وأسندت إليه قيادة الولاية السادسة بعد استشهاد العقيد سي الحواس، واستطاع العودة مع أكثر من مائتي جندي وضابط وبعد أن اخترق خطي موريس وشال والتحق بالولاية الرابعة ليرتب أمور الانتقال إلى قيادة الولاية السادسة. استشهد في 20 جويلية 1959.

ولد أحمد زبانة سنة 1926م بالقصر الجنين المسكين المعروفة حالياً باسم "زهانة". وقد نشأ وترعرع زبانة في عائلة مكونة من عشرة أفراد كان الطفل الرابع ضمن أشقائه الثمانية. وفي سن مبكرة انتقلت عائلته لكـ 100 سكن في وهران واستقرت فيها: وقد باشر والد زبانة العمل اليدوي بهه كل هذا جرى قبل أن يبلغ أحمد سن الدراسة.

ولما بلغ زبانة السادسة من عمره، أدخله والده المدرسة الابتدائية أين تفوق زبانة في دراسته وتحصل على الشهادة الابتدائية باللغة الفرنسية، لكنه كان يكره المستعمر الغاشم - رغم صغر سنه - ولقد كان في تلك الأثناء يقصد دائماً كتاب الناحية لحفظ القرآن الكريم وتعلم مباني في قواعد اللغة العربية والدين الحنيف، بالطبع كان كثيراً ما يتغيب عن المدرسة الشيء الذي جعل مدير المدرسة يستدعي كثيراً والد زبانة، لكن إصرار هذا الأخير على تلقي علوم اللغة والشريعة الإسلامية دفع بمدير المدرسة إلى طرد أحمد نهائياً.

وبعد طرده مباشرة من الدراسة زاول حفظ القرآن الكريم وتعلق به كثيراً، مما زاد فيه حب للجهل ومقته للعدو والمستعمر، وكرهه للذل والاستعمار وقد كان شعاره منذ الصغر "فناء الجزائر روجي ومالي".

في عام 1940م اضطر زبانة إلى العمل وذلك لإعالة أسرته المتواضعة لكن ذلك لم يكن يلبي رغباته ويحقق أحلامه، فقصده معهد التكوين المهني حيث التحق بشعبة التلحيم، فخرج بعد فترة لحاماً ماهراً ودليل ذلك، مباشرته للعمل إثر انتهاء مدة التكوين حيث زاول عمله كلحام في نفس المعهد وفي نفس التخصص، وخلال عمله كان كثير التفكير في شؤون البلاد وأحوالها وما آلت إليه من أوضاع.

منذ أن كان عاملاً شاباً، واغتنم فرصة تواجده بمعهد التكوين ليتصل بجماعة من
الناصرين في الحركة الوطنية فتأثر بهم، وزادوه حباً للوطن فتحمست روحه النضالية من أجل
حرية البلاد واستقلالها.

ووسط هذا الجو القاسي والمتاعب المتعلقة وجد أحمد زبانة ضالته المنشوة، حيث انضم
لصفوف الحركة الوطنية بالناحية سنة 1941م، وبعد أن أثبت بحق وجدارة أهليته في الميدان
العملي، وبرهن على مدى شجاعته وصلابته، وبعد نظره وحنكته السياسية اختارته المنظمة
السرية (O.S) ليكون عضواً من أعضائها، حيث لم يتوان في تسخير كل طاقاته وخبرته ليكون
في مستوى الأمل المعلقة عليه.

نظراً لكفاءته الثورية عين مسؤول فوج حيث اتسم نشاطه بالعمل الجاد وأهله صفته
ليكون محل ثقة واحترام، وبفضل خبرته تمكن من بث النظام بالنواحي، وبالإضافة إلى عمله
التوعوي والتكويني السياسي والعسكري في إطار المنظمة، فقد شارك سي أحمد أيضاً بنفسه في
عملية مهاجمة بريد وهران عام 1950م.

ومن هنا تزايدت نشاطاته وتحركاته مما أثار انتباه السلطات الفرنسية بالناحية فالتفت
عليه القبض وزجت به في سجن وهران عام 1950م وحوكم بثلاث سنوات سجن وبالبقي
لثلاث سنوات أخرى وخلال مدة السجن عايش أوضاع المسلحين والظروف القاسية
والمريرة التي كانوا يتخبطون فيها.

وفي شهر أوت 1953 تم الإفراج عنه، بعد ثلاث سنوات عسيرة، فقصده مستعم
ليستر بهد، وبواصل نشاطه السياسي حيث قام باتصالات بكل من معسكر والقصر، وبعد
حل اللجنة الثورية للوحدة والعمل يوم 05 جويلية 1954م تعين أحمد زبانة مسؤولاً على
ناحية زهانة من طرف الشهيد البطل العربي بن مهيدي الذي كلفه بالإعداد للشوكة بما يلزمها

من نخيرة ورجال، وقد شرع في تكوين خلايا بكل من زهانة ووهبران والظهرة، ولا سيما في ناحية سيني علي وفي نفس السنة قصد القصر واستقر به وذلك عند شقيقته بختين مسكونين لينضي بالنضالين هناك ويحصر الاجتماعات التي كان يترأسها الشهيد البطل العربي بن مهيدي التي كان يلزم طيلة الوقت سي أحمد، وكانت معظم هذه المحاضرات تعقد بأحد المطاعم في هذه النواحي، لما فيها من بعض التكتم والخفاء.

وفي يوم 15 أوت 1954م عقد أول اجتماع بزهانة المدعو "سي حملة"، حيث تناول الكلمة الشهيد البطل أحمد زبانة فبين فضل المجاهد في ثورة التحرير ودعا المناضلين إلى التزام جانب الحذر واليقظة لإحباط كل المناورات التي يشنها المستعمر، ثم تطرق إلى مرحلة الكفاح المسلح، فبين أن المقبل عليها يجب أن يتحمل عن طواعية البرد والجوع والعراء والسجن وأن يضع اسمه ضمن قائمة الشهداء ثم تحدث أحمد زبانة أيضا عن تأثير المجاهد المخلص على أبناء الجزائر الأوفياء وبعد هذه العبارة المؤثرة وضع المصحف وطلب من المناضلين أداء اليمين، حيث يضع المناضل يده فوق المصحف ويقول: "والله الذي لا إله إلا هو، وبركة هذا المصحف الشريف إني أحب نفسي للجزائر حتى النصر أو الاستشهاد".

وقد تقدم المناضلان أحمد زبانة وعبد المالك رمضان أيضا لتأدية اليمين، وكان في مقدمة بهم سي أحمد زبانة هيكلية الأفواج وتدريبها واختيار العناصر الشابة ذات الكفاءة العالية لتمثيلها مسؤولية القبيلة ومعاينة المواقع الاستراتيجية لاختيار الأماكن التي يمكن جعلها مراكز للتواري، وأماكن لنصب الكمائن للعدو.

وفي أواخر شهر أوت 1954م عقد اجتماع بمنزل عبد القادر إبراهيمي ترأسه عبد المالك بن رمضان وأبدى في ذلك أحمد زبانة قائلا: "الاستعمار لا يخرج إلا بالسلاح والحمل السلاح لا بد من تدريب" فشرع في توزيع الأفواج وتحديد مكان وزمان تدريب كل فوج بحيث

صار لكل فوج حصته الأسبوعية يتدرب فيها على فك الأسلحة وتركيبها وكيفية استعمال
الألغام والمتفجرات والقنابل والسلاح الأبيض إضافة إلى تلقينهم كيفية الرمي وطرق نصب
القنابل.

وفي صبيحة 08 نوفمبر 1954م وبعد مرور أسبوع من اندلاع حرب التحرير المجيدة
كان الشهيد رفقة بضعة من أصحابه متمركزين في منطقة جبلية تغطيها الغابة من كل جهة
فقد أخذوا من غار "بوجليلة" ملجأ لهم، وعند الفجر، وبعدما تأكدوا من وجود قوات العدو
بالتحية وباعداد هائلة اعتبروا ذلك مجرد عملية تمشيط لا أكثر، سرعان ما يعود جنود العدو
لأراجهم فهي عابرة فلم يحركوا ساكنا واكتفوا بمراقبة تحركات الجنود من مواقعهم، فلا داعي
للهجوم لا سيما وأن عدد المجاهدين لا يفوق 11 مجاهدا أما جنود الفرنسيين فكانوا يقفون
المائة وهم مسلحين بالأسلحة الفتاكة.

بعدما انقشع ظلام يوم الثامن من نوفمبر 1954م، كان العدو الفرنسي وعند
الضخمة على استعداد لمباغته المجاهدين فأخذ جنود العدو يتقدمون نحو الغار وهم يصوبون
أسلحتهم نحوه فتأكد المجاهدون أن العدو قد اكتشفهم وقرروا مغادرة الغار والاشتباك مع
العدو، فخرج أحمد زبانة وتبعه أعضاء الفوج واحدا تلو الآخر مستجهين صوب الجنوب حيث
تكثر الأشجار والفجج العميقة، لكن العدو الغاشم لم يترك الفرصة لمركز المجاهدين
وأنذاك لم يكن زبانة بعيدا عن الغار بضعة أمتار فأصابته رصاصتان واحدة في ذراعه الأيسر
والأخرى في رجله اليسرى، وأصيب صاحبه إبراهيمي عبد القادر بطلقات رصاص قاتلة
جرأما أنفاسه الأخيرة، كما أصيب زميله الآخر "فتح عبد الله" إصابة خطيرة بفخذه الأيسر
ودغم تكثيف نيران أسلحة العدو فقد تمكن المجاهدون ببسالة من رد رصاص الجنود الأعداء
وتواصل الاشتباك إلى غاية الساعة التاسعة والنصف صباحا، كان من نتائجها استشهاد

ابراهيم عبد القادر، ويوم التاسع من نوفمبر 1954م، ألقت السلطات الاستعمارية القبض
على البطل أحمد زبانة وهو مشغول بالجراح، حيث حولته إلى سجن بريسروس "مركاجي"
بالمخازن العاصمة ليبقى حبيس زنزانته الـ "2208" إلى غاية فجر 19 جوان 1956م موعد
تنفيذ حكم إعدامه ويعتبر أول شهداء القفص.

أحمد رضا حوحو

ولد الفاضل والمؤرخ والصحفي أحمد رضا حوحو عام 1911 ببلدة سيدي عقبة بولاية بسكرة اليوم، ينحدر من أسرة ذات مستوى اجتماعي وثقافي متوسط، وقد سمح هذا المستوى لهذه الأسرة بالاهتمام بابتهاج في وقت كان أغلب الشعب الجزائري يعيش في فقر وجهل كبير أثر بشكل غير مباشر على أبنائهم.

دخل أحمد رضا حوحو المدرسة القرآنية ببلدته سيدي عقبة، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة العربية كما حفظ ما تيسر من القرآن الكريم، كما كان يدرس في الوقت نفسه في المدرسة الأهلية الفرنسية، فكتسب منذ صغره السيطرة على اللغتين العربية والفرنسية مما سمح له بالإطلاع فيما بعد على الأدب الفرنسي، وترجم البعض منه إلى اللغة العربية.

وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية بسيدي عقبة عام 1927، انتقل إلى مدينة سكيكدة لمواصلة تعليمه المتوسط والثانوي، إلا أنه لم يبق فيها إلا أربع سنوات حيث توقف عن الدراسة بسبب العراقيل التي كانت تضعها الإدارة الإستعمارية في وجه الكثير من الجزائريين، فعاد إلى بلدته ليشغل كموظف في مركز بريدها.

وفي عام 1934 هاجرت أسرته إلى الحجاز أي المملكة العربية السعودية اليوم، فالتقت في المدينة المنورة فتابع أحمد رضا حوحو دراسته هناك، فتعمق في علوم الدين واللغة العربية لينتقل على الشهادة العليا في العلوم الشرعية الإسلامية عام 1938.

اشتغل أحمد رضا حوحو أستاذا في نفس المدرسة التي تخرج منها بالمدينة المنورة، كما كان يساهم في تحرير مجلة المنهل الصادرة بمكة المكرمة آنذاك، فنشر فيها العديد من المقالات، كما ساهم في ترجمة العديد من المقالات الأدبية من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، التي كانت تنشرها هذه المجلة.

ويبدو أن حوحو لم يهضم استمرار بعض التقاليد الاجتماعية البالية في شبه الجزيرة العربية خاصة نحلة المرأة، والتي تستر تحت غطاء الإسلام، وهو بريء منها، فثار حوحو الجزائري على ذلك كله، وقد ظهرت ثورته على ذلك جلية في كتاباته فيما بعد.

في عام 1945 انتقل أحمد رضا حوحو من الحجاز إلى مصر أين بقي فيها حوالي سنة، ونشر عدة مقالات في بعض صحفها ومجلات، وبرز في هذه المقالات مدى إعجابه بالفكر الإصلاحي الديني الذي تقوده جمعية العلماء المسلمين في الجزائر.

وقد استغل حوحو تواجده بالشرق العربي، فزار العديد من البلدان الأوروبية، ومنها فرنسا وإيطاليا وروسيا وتشيكوسلوفاكيا، فقد كان حوحو مغرما بالرحلات السياحية، وكأنه يطبق قوله تعالى "فسيحوا في الأرض"، وقد نشر العديد من المقالات حول هذه الرحلات في صحيفة الشعلة التي أنشأها فيما بعد، فقد جعلت منه هذه الرحلات بالإضافة إلى ثقافته الفرنسية إنسانا ذو فكر مستنير ومتفتح على الآخر وخل من أي تعصب كان.

عاد أحمد رضا حوحو إلى بلاده الجزائر عام 1946، فأقام في مدينة قسنطينة، وانخرط في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فعين مديرا لمدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء بنفس المدينة، وفي عام 1947 عينه رئيس الجمعية الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في منصب الأمين العام لإدارة معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة.

واصل حوحو نشاطه الأدبي والصحافي رغم المهام الكبرى التي أوكلت إليه، فأنشأ صحيفة الشعلة التي اهتمت بالنضال السياسي والإصلاحي، كما اهتم أيضا بالموسيقى، فكان وراء إنشاء فرقة الزهر الموسيقية بقسنطينة، واهتم بالمرح، فألف ثلاثة عشر مسرحية مثلت بعضها على خشبة المسرح.

لم يتخلل حوحو قط عن روحه الثورية في مجالات الكتابة الأدبية وفي مواقفه السياسية والدينية والاجتماعية فكان له تأثير كبير على مجموعة من شباب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فبدأ هؤلاء يعملون من أجل تجديد أفكار الجمعية ذاتها والتخلص من بعض الأفكار التقليدية التي كان يحملها بعض شيوخها الكبار.

عندما اندلعت الثورة المسلحة كان حوحو على استعداد للالتحاق بها، بحكم طابعه الثوري، إلا أن السلطات الاستعمارية كانت تترصد به للتخلص منه، فجاءتها الفرصة عند احتلاله يوم 29 مارس 1956 على رأس مجموعة من أعيان وكبار شخصيات مدينة قسطنطين لإعدامهم انتقاماً لقتل الجامعيين أحد غلاة الإستعمار هناك، وهو محافظ الشرطة الفرنسية في المدينة، وبعد إعدام حوحو ألقت السلطات الإستعمارية بجثته في إحدى الحفر إلى جانب إخوان الشهداء الآخرين.

استشهد أحمد رضا حوحو ليلة 29 مارس 1956، وترك العديد من المقالات السبيلة والأدبية والاجتماعية المنشورة في العديد من الصحف، ومنها "البصائر" التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكذلك صحيفة "الشعلة" التي أنشأها ويؤاسها حوحو نفسه بالإضافة إلى عدة كتب منشورة، ومنها :

غلة أم القرى: نشره عام 1947، وهي تروى قصة معاناة فتاة من مكة المكرمة التي كتبها التقاليد البالية التي تنتشر بالدين لقمع المرأة وجعلها في أدنى المستويات الاجتماعية والثقافية محرومة من حقوقها الأساسية ومنه التعليم، وهو ما يناقض مبادئ الإسلام الصحيح مع علم الحكيم: نشره عام 1953، وهو عبارة عن حوار يجري بين الكاتب وحوحو حول قضايا اجتماعية وسياسية وأدبية وفكرية شتى تمس المجتمع الجزائري في تلك الفترة، وهي في الحقيقة تعبير عن أفكار وطروحات ومواقف أحمد رضا حوحو، وقد استلهم الكاتب هذا

الأسلوب الحوارى من الأديب المصرى توفيق الحكيم صاحب العديد من الكتب والمسرحيات والمعروف بأساليبه الحوارية مع حمارة، وله كتاب "حوار مع حمارى".

صاحبة الوحي وقصص أخرى: نشره عام 1954، وهى مجموعة قصصية كتبها فى فترات متتالية. تم جمعها فى هذا الكتاب، وتعد قصة "صاحبة الوحي" أبرز قصة ضمن هذه المجموعة القصصية.

فلاح بشرية: نشره عام 1955، وهى مجموعة من القصص القصيرة تصور العديد من المصاعب البشرية كما نجد فى هذا الكتاب بعض المقالات الأدبية التى كتبها فى فترات متتالية.

ولد فرحات عباس يوم 24 أكتوبر 1899 بدوار شلاما التابع للبلدية المختلطة الطاهير آنذاك القريبة من مدينة بجيجل الساحلية بالقبائل الصغرى. وهو من عائلة غنية، أمه تدعى ملجا بنت علي له أبوه فهو سعيد ابن أحمد عباس، وهو صديق لفرنسا التي ولته منصب القايد ثم الباشاغا.

عاش فرحات عباس طفولة مريحة وخالية من كل أنواع البؤس والمعاناة التي كان يتخطىها أغلب الأطفال الجزائريين في العهد الاستعماري، إلا أن الطفل فرحات كان يتألم لبؤس السكينة التي يأتي الخزنلجي إلى الدوار لجلب الضرائب، كان يعاقب العاجزين عن الدفع بوضعهم تحت نزل الشمس الحارقة عراة الرؤوس، فيتأسف الطفل فرحات عباس لهذا المشهد المريع، فيذهب إلى البيت ليسرق من أمه ليسلمه إلى هؤلاء الفقراء حتى يسدوا الضرائب التي فرضتها عليهم الإدارة الاستعمارية. وما جعل فرحات عباس من أكثر المدافعين عن حقوق الفلاحين والفقراء عندما أصبح قائدا سياسيا.

أرسل الأب أحمد بن سعيد عباس أبنائه كلهم إلى المدرسة الفرنسية دون أن يتأثر بالفكرة السائدة آنذاك من أن المدرسة الفرنسية تفسد عقيلة وأخلاق وأفكار الجزائريين، وكيف يتأثر أحمد بن سعيد بتلك الفكرة مادام صديقا حبيبا ووفيا لفرنسا الاستعمارية. فكان يقول لأبنائه: «الإرث الوحيد الذي سأتركه لكم ولا يمكن لأحد نزعته منكم هو التعليم، وإن خير صديق للإنسان هو الكتاب».

التحق الطفل فرحات عباس بالمدرسة الفرنكو-أهلية بالطاهير والمخصصة للجزائريين فقط ومادام أبوه صديقا لفرنسا أرسله فيما بعد إلى المدرسة الفرنسية الابتدائية بجيجل والمخصصة فقط لأبناء المعمرين وأصدقاء فرنسا الأوفياء آنذاك. وقد تأثر الطفل فرحات عباس كثيرا بمعلميه الفرنسيين وما كانوا يقولونه له من أن فرنسا بلاد الحرية والإخاء والمساواة والحضارة والإنسانية، وكان يصدق قولهم أن الجزائر ليست أمه وإن الجزائريين كانوا يعيشون في المهجبة والتخلف فجاءت فرنسا لتحمل لهم أوزار الحضارة.

وعندما تحصل الطفل فرحات عباس على الشهادة الابتدائية انتقل إلى معهد سكيكدة ثم ثانوية
قسنطينة أين قرأ لكبار الكتاب الفرنسيين كجان جاك روسو وموليير وفولتير وبلزاك وديدرو وسانتول
وراس والسورخ فليكس غوتييه... وغيرهم من مفكري عصر التنوير، فتأثر بأفكارهم ومبادئ الثورة
الفرنسية عام 1789 إلا أنه كان يجهل الكثير عن الثقافة الإسلامية، فأصبح ينظر إلى العالم بعين
واسعة فقط هي الثقافة الأوروبية بل أن ينظر إليه بعينين هما الثقافتان الأوروبية والإسلامية على حد
سواء لأن الإنسان عدو ما يجهل ولهذا أمرنا القرآن الكريم بالتفتح على الشعوب الأخرى ومعرفة
ثقافتها وحضاراتها وعلومها وآدابها.

وبعد حصول فرحات عباس على البكالوريا عام 1921، استدعي لأداء الخدمة العسكرية
الإجبارية في الجيش الفرنسي، وعمل ككاتب في مستشفيات قسنطينة ثم جيغل ثم كمساعد صيدلي
وكذا برتبة رقيب، ولاحظ أثناء خدمته العسكرية التمييز بين الجزائريين والفرنسيين في كل المجالات مما
دفعه إلى كتابة مقالة في عام 1922 يندد فيها بذلك ويطالب بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين داخل
الجيش الفرنسي.

أنهى فرحات عباس خدمته العسكرية في عام 1923 فالتحق بجامعة الجزائر ليتابع دراسته في
الطب، واهتم أيضا بدراسة الفلسفة والتاريخ والآداب، فاطلع على الكثير من الكتب، واكتسب
ثقافة إسلامية بالتعرف على الحضارة الإسلامية وأمجادها مما دفعه فيما بعد إلى محاولة التوفيق بين مبادئ
الإسلام ومبادئ الثورة الفرنسية المتمثلة في الحرية والإخاء والمساواة.

وتميزت السنوات السبع التي قضاها فرحات عباس بجامعة الجزائر بنشاط مكثف، فكتب الكثير
من المقالات في الصحف يندد فيها بالنظام الاستعماري ويطالب فرنسا بالمساواة بين الجزائريين
والأوروبيين في الحقوق والواجبات، كما كتب ضد عنصرية الأوروبيين ضد الجزائريين التي عانى منها
شعبا وكان يقول: مهما كنت مزابيا أو قبائليا أو عربيا أو شاويا فإن مصيرك واحد وما أنت إلا بيكو أو
تلمون كما كان يلقب المعمرين السكان الجزائريين، فكل شيء مغلق في وجهك الفتلوق والمقاهي

والإدارة، وقد قل له يوما أحد المعمرين الذين أتوا من مالطا «لولا فرنسا لكنت راعي غنم في النواحي
فرد عليه الشاب فرحات عباس بغضب وذكاء « قبل مجيء الفرنسيين، كنا سعداء وأحرارا نأكل حتى
الشبع، وبملك جفني حقلا وماشية، لكن انت هل يمكن أن تقول لي ماذا كان يعمل والفلان
مالطا أليس البؤس هو الذي هجركم إلى الجزائر، وهي إشارة ذكية من فرحات عباس إلى أن المعمرين
الأوروبيين الذين كانوا يهينون الجزائريين ما هم في الحقيقة إلا حشالة أوروبا، فكان فرحات عباس شديد
الاستفاد هؤلاء المعمرين وممارساتهم ورفضهم أية ترقية اجتماعية واقتصادية وسياسية للجزائريين ووقف
فرحات عباس في مقالاته التي كان يكتبها موقفا مدافعا عن الإسلام وتاريخه وعدالته وإنسانيته وكان
يقول: «إن الإسلام هو وطني الروحي» وفي عام 1931 جمع المقالات التي كان يكتبها في الصحف ما
بين 1922 و1930 في كتاب عنوانه «الشباب الجزائري».

كان للطالب فرحات عباس نشاطا طلابيا كبيرا، فانتُخب عام 1926 رئيسا لجمعية الطلبة
المسلمين الجزائريين، وأصبح في عام 1927 نائبا ثم رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا التي
كانت تدعو إلى تطوير البلدان المغاربية الثلاث (الجزائر والمغرب الأقصى وتونس)، وترقية وتوسيع
اللغة العربية والوحدة المغاربية، وبقي الطالب فرحات عباس في هذا المنصب حتى عام تخرجه كصليبي
من جامعة الجزائر في عام 1931.

وقد فتح له أبوه الثري صيدلية بمدينة سطيف في عام 1933 وهي قائمة لا زالت إلى حد اليوم وقد
كانت هذه الصيدلية مركزا للقاءات ونشاطات وحوارات سياسية عديدة، خاصة وأن فرحات عباس كان
يؤمن بأن طلب العلم لا يجب أن يكون من أجل المال بل هو سلاح لمواجهة النظام الاستعماري
والقضاء عليه وتحقيق المساواة بين جميع سكان الأرض الجزائرية دون أي تمييز عرقي أو ديني. وقد التزم
بهذا المبدأ طوال حياته.

مر فرحات عباس في حياته السياسية بثلاث مراحل أساسية وهي:

• مرحلة الدعوة إلى المساواة في الإطار الفرنسي :

كان فرحات عباس في هذه المرحلة يميز بين فرنسا الحضارة والحرية وفرنسا الاستعمارية التي كان يمثلها المعمرون الذين وضعوا في الجزائر نظاما استعماريا في خدمة مصالحهم على حساب المسلمين الجزائريين الذين سلبت أراضيهم وحولوا إلى خاسة عند المعمرين. فلهذا ركز فرحات عباس كل نضاله من أجل القضاء على هذا النظام الاستعماري وإلغاء الامتيازات التي كان يحظى بها المعمرون الأوروبيون وإعطاء المسلمين الجزائريين نفس الحقوق والواجبات التي كانت للأوروبيين فيتحول بذلك الجزائري إلى مواطن فرنسي مسلم له نفس الحقوق والواجبات مع الاحتفاظ بدينه الإسلامي ويكون ولاؤه للدولة الفرنسية، وبعبارة أخرى كان يدعو إلى إلحاق الجزائر بفرنسا فتصبح جزءا لا يتجزأ منها.

وكان فرحات عباس يطالب الدولة الفرنسية بترقية وتطوير الجزائريين وتحسين وضعهم الاجتماعي ببناء المدارس والمستشفيات والطرق ومختلف المرافق الاجتماعية وإعانة توزيع الأراضي على الفلاحين الجزائريين المسلمين، وكان فرحات عباس يطالب فرنسا بتنفيذ المهمة الحضارية التي جاءت من أجلها إلى الجزائر كما كان يقال له في المدرسة الفرنسية.

وعلق فرحات عباس في هذه المرحلة آماله كلها على الحكومة الفرنسية في باريس التي كان يعتقد أن من الواجب عليها أن تقف في وجه المعمرين الذين كانوا يعرقلون أي تطوير للمسلمين الجزائريين. ووصل فرحات عباس إلى حد إنكار وجود الأمة الجزائرية في عام 1936 فكتب في صحيفة الـ"فوق" يقول إن الجزائر كوطن وأمة هي خرافة لا وجود لها، فإني لم أكتشفها. فقد سألت التاريخ والأحياء والأموات فزوت المقابر، لكن لم يجدني منهم أحد عن هذه الأمة والوطن... ليصل إلى القول بأن أمته ودولته هي فرنسا التي يجب عليها ترقية وتطوير مسلميها وتطبيق قوانينها عليهم مثلما تطبقها على الأوروبيين. أثارت هذه الفكرة نقاشا حادا بينه وبين عبد الحميد ابن باديس والكثير من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فرد ابن باديس على فرحات عباس بالقول «إننا نحن فتننا في صحف التاريخ

وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة موجودة كما تكونت ووجدت كل اسم الدنيا
وله الأمة تاريخها الحافل بملاتل الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها الخاصة وهواها
واعتاداتها بما فيها من حسن وقبيح، كشأن كل أمة في الدنيا، ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست
من فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو ارادت
أن هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها وفي أخلاقها وفي دينها لا تريد أن تندمج ولها وطن معين
هو الوطن الجزائري محدوده. وكان ابن باديس وزملاؤه من علماء الدين يعلمون بأن فرحات عباس كان
صحية المدرسة الفرنسية آنذاك فكانوا يقولون له: «إنك تعلمت في فرنسا أو في مدارسها في الجزائر، ولم
تقرأ إلا كتبها المدلسة... ولم تختلط إلا برجالها الذين احتلوا أرضك وامتهنوا أهلك واستعبدوا شعبك
الجزائر أمة قائمة الذات لها تاريخها الحافل ورجالها الأبطال البواسل، وقد عطرت الدنيا بذكر كفاحها
المجد من يوغورطا ومانيسا إلى عبد القادر والمقراني...»

واقترح فرحات عباس في الأخير بما قاله له ابن باديس وزملاؤه، خاصة وأن فرحات عباس يتميز
بالاعتراف بالحق وعدم التعصب لرأيه إن اكتشف بطلانه وخطأه، إلا أنه بقي متمسكا بالعمل من أجل
تحويل المسلمين الجزائريين إلى مسلمين فرنسيين لهم نفس الحقوق والواجبات كغيرهم من المواطنين
الفرنسيين، لأنه كان يعتقد أن فكرة الاستقلال عن فرنسا مستحيلة فكان يقول: «إنني رجل واقعي لا
أسير مع الخيال». ومنذ هذا النقاش الحامي الوطيس بينه وبين علماء الإسلام توطدت علاقته بعنصر
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رغم أنه كان يختلف معهم في أساليب العمل، فأصبح صديقا حميما
لاين باديس، وكان يعتبر البشير الإبراهيمي أبه الروحي، ودعم العلماء في بناء المدارس الحرة لأنها تنف
في وجه الشعوذة والحرافات التي كان ينشرها الاستعمار وتدافع عن العربية وإسلام الحق والعقل.
وواصل فرحات عباس نضاله من أجل تحقيق هذه الأهداف في إطار فيدرالية النواب المسلمين
الجزائريين بقيادة محمد الصالح بن جللول وانتخب عدة مرات في مختلف المجالس الفرنسية في الجزائر
وانفصل فرحات عباس عن رفيق دربه محمد الصالح بن جللول ليؤسس حزبا جديدا في عام 1938

وأطلق عليه اسم «الاتحاد الشعبي الجزائري» وكان يريد به حزبا جماهيريا يضم الجميع مهما يكن اتجاههم وفكرهم السياسي، ولا يستهدف إلا القضاء على النظام الاستعماري الذي يخدم أقلية المعمرين الذين كانوا يملكون الأرض والسمك ويقفون في وجه أية إصلاحات مهما كانت طفيفة لصالح المسلمين الجزائريين خاصة الفلاحين منهم. إلا أن هذا الحزب الجديد لم يجد صدى كبيرا لدى الشعب الذي انضم في غالبه إلى حزب الشعب الجزائري الذي كان يدعو إلى استقلال الجزائر التام، مثلما كان الشعب أيضا متعاطفا مع الأفكار الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية تطوع فرحات عباس في الجيش الفرنسي للدفاع عن الدولة الفرنسية أمام الخطر الألماني الذي كان يهددها، وبعمله هذا كان يحاول إثبات مدى ولائه للدولة الفرنسية في باريس لعلها تلي له مطالبه في تحقيق المساواة بين المسلمين والأوروبيين في الجزائر، إلا أنه خاب ظنه بعدما اكتشف بأن الحكومة في باريس متحالفة مع المعمرين في الجزائر، وليس كما كان يعتقد من قبل بأنهما مختلفان، فلم يجد إلا التعنت لدى السلطات الفرنسية كلها، وبأن مصالح الحكومة الفرنسية في باريس مرتبطة بمصالح المعمرين في الجزائر، وبأنها لن تأخذ برأي فرحات عباس أو غيره ولن تسمع إلا للمعمرين الذين كانوا يمتصون عرق الشعب الجزائري ويستعيدونه، ولن تطبق إلا ما يأمره غابرييل أبو (Gabriel Abbo) أحد المعمرين الكبار الذي كان يقول «كلما أعطينا العرب طلبوا أكثر، فصدقوني إننا نعرف كيف نؤدبهم».

• مرحلة الدعوة إلى الاستقلال سلميا:

في عام 1942 أنزل الأمريكيون والإنجليز قواتهم العسكرية في الجزائر لمساعدة فرنسا على طرد الألمان. أراد فرحات عباس استغلال الوضع فاتصل بالبشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين آنذاك ومصالي الحاج رئيس حزب الشعب الجزائري وشخصيات وطنية أخرى لتنسيق العمل فيما بينهم. فاتفق الجميع على صياغة بيان جزائري يحمل مجموعة من مطالب الشعب الجزائري وطرق تسليما عليه فكلف فرحات عباس بصياغته. ويعرف هذا البيان بـ «البيان الجزائري» أو «بيان فيفري

1943، الذي يطالب بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره والاستقلال عن فرنسا، وبذلك تدخل فرحات عباس مرحلة سياسية جديدة فاقنتع ببعض أفكار حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقد رفض الحاكم العام الفرنسي مطالب البيان، فوجد فرحات عباس الشعب الجزائري كله وبمختلف أحزابه وتياراته في عام 1944 في تنظيم واحد سماه بـ «أحباب البيان والحرية» ومن أهداف هذا التنظيم الضغط والعمل من أجل تحقيق مطالب البيان الجزائري، فتحول فرحات عباس بعد ذلك إلى رجل خطير على النظام الاستعماري.

وألقي عليه القبض أثناء مظاهرات 8 ماي 1945 إلى جانب قادة الأحزاب الأخرى وحوالي 73 ألف جزائري، مثلما قتل الجيش الاستعماري أكثر من 45 ألف جزائري وتم حل «أحباب البيان والحرية» ولم يطلق سراح فرحات عباس إلا في مارس 1946 ليؤسس حزبا جديدا أطلق عليه «الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري» هدفه إقامة جمهورية جزائرية متعاونة مع فرنسا، ويعيش سكانها متساوين دون أي تمييز عرقي أو ديني، إلا أنه التزم بالعمل السلمي لتحقيق هذه الأهداف. وأنشأ جريدة سماها بـ «الجمهورية الجزائرية»، وواصل نضاله السلمي، دون جدوى، ولم يجد أمامه إلا التعتن الاستعماري، فبدأ يقتنع تدريجيا أن الاستعمار لا يعترف إلا بالقوة ولا يفهم إلا لغة السلاح، فبدأ يميل تدريجيا إلى أفكار حزب الشعب الجزائري الذي أصبح يسمى بـ «حركة الانتصار للحريات الديمقراطية» والذي كان يحضر للعمل المسلح بإنشائه المنظمة الخاصة في عام 1947 وهو تنظيم عسكري مهمته التحضير للثورة المسلحة.

• مرحلة الانتقال إلى العنف الثوري :

لاحظ فرحات عباس بأنه كلما أظهر ليونة في مطالبه وسلمية في أساليب نضاله كلما ازداد الاستعمار تعنتا، فبهينه ويغيب آماله في كل مرة، وكان الاستعمار الفرنسي كان يدفع بهذا الرجل المحب لوطنه ودينه وشعبه إلى العنف دفعا، فعندما اندلعت الثورة المسلحة في أول نوفمبر، وتأكد فرحات عباس من قبحاتها ورجالاتها، وبأنها ليست مؤامرة استعمارية ليتخذها ذريعة لقمع الشعب، ركب فرحات

عباس قطار الثورة واستسلم لأسلوب العنف الثوري الذي رفضه لعدة عقود واختلف حوله مع حزب الشعب الجزائري ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بزعامة مصالي الحاج.

• إعطاؤه الشرعية للثورة المسلحة :

بعد اندلاع شرارة الثورة المسلحة في ليلة أول نوفمبر من عام 1954، حاول سوستيل الحاكم العام الفرنسي الدخول في حوار مع قيادات الأحزاب الجزائرية لإدخال إصلاحات شكلية وإجهاض الثورة وعزلها عن الشعب، فاتصل بفرحات عباس ليحدثه عن الفلاحة والخارجين عن القانون، فرد عليه فرحات عباس بغضب «كلنا فلاحة سيد الحاكم العام، الشجعان حملوا السلاح، والأقل شجاعة يتحاورون معكم». فتعجب سوستيل من الموقف الجديد لفرحات عباس والذي عرفه مسالما ويرفض العنف الثوري.

واعتبر فرحات عباس أن الثورة المسلحة عمل شرعي وقانوني، فقال في خطاب له بميجل في عام 1955 ردا على السلطات الاستعمارية التي كانت تقول عن المجاهدين أنهم خارجون عن القانون: «إن النظام الاستعماري هو الخارج عن القانون، وليس المجاهدين، وإن الجزائر ليست فرنسية، وكيف تكون كذلك وهي مسلمة أفليس لنا الحق في الاستقلال مثل الشعوب الأخرى».

ومخطبه وأقواله المنذرة بالاستعمار المؤيلة للثورة أصبح فرحات عباس مهلدا بالاعتقال أو الاغتيال على يد المعمرين.

أرسل فرحات عباس يوم 15 ماي 1955 عمر القامة وهو أحد مناضلي حزبه إلى كريم بلقاسم بأغيل إيولا بمنطقة القبائل ليخبره أن فرحات عباس يرغب في الاتصال بقيادات الثورة فأخبر كريم بلقاسم عبان رمضان الذي كان بالعاصمة بذلك. وفي ليلة 25 ماي 1955، وبينما كان فرحات عباس يستعد للنوم سمع دقات في باب بيته، وعندما فتح الباب وجد أمامه كلا من عبان رمضان الذي كان يعرفه ببرفته عمر أو عمران، فرحب بهما وسمح لهما بالدخول. فشرع الثلاثة في النقاش والحديث عن الثورة

وفوتها وإمكاناتها وأهدافها وقيلادتها، فأظهر فرحات عباس تأييده ودعمه الكامل للمجاهدين وبأنه
سيضع نفسه تحت أوامر الثورة، فأخبره عباس رمضان أن الثورة تحتاج في الوقت الحالي إلى الأموال
والأدوية ومناضلين لتوزيع منشورها، فرد عليه فرحات عباس بأنه سيلبي كل هذه المطالب بعد أيام
فاتصل فرحات عباس بمناضلي حزبه، ليطلب منهم توزيع منشور الثورة على الشعب دون إثارة انتباه
الاستعمار، أما هو فاتصل بعباس رمضان في جويلية 1955 ليسلمه مليوني فرنك فرنسي وحقيبة أدوية
وطلب منه عباس رمضان الالتحاق بالوفد الخارجي للمساهمة سياسيا ودبلوماسيا في الثورة لأن
من غير الممكن لشيخ في السلاسة والخمسين من عمره حمل السلاح، فذهب فرحات عباس لتوزيع
أصدقائه الكثيرين الذين بقوا في أرض الوطن ومنهم الشيخ العربي التبسي الذي قل لعباس عند
توديعه « لا نعرف إذا كنا سنلتقي مرة أخرى أم لا، ووصيتي لك أن لا تنسى بأن الجزائر مسلحة، فليسم
الإسلام بمحاهد الشعب الجزائري اليوم ويقبل على الاستشهاد. لا تعد إلى هذه الأرض الطيبة إلا بعد
تحررها، فعندما تلق ساعة الجهاد الأكبر وبناء الجزائر بعد الاستقلال، ضعوا الإسلام في القلب فيعينكم
الله سبحانه وتعالى ». فوعد فرحات عباس الشيخ العربي التبسي بذلك، وشاء الله أن يستشهد الشيخ
أثناء الثورة المسلحة.

انتقل فرحات عباس إلى القاهرة عبر باريس، وعندما وصلها في صيف 1955 أعلن انضمامه إلى
الثورة المسلحة، فقدم بذلك خلعة كبيرة للثورة لأن العالم أصبح يتسائل ويقول ماذا رجل مسلم
ويرفض العنف مثل فرحات عباس يلتحق بالثورة فمعناه أن النظام الاستعماري الفرنسي تجاوز كل
الحدود في الممجية والبربرية وأغلق في وجه الشعب الجزائري الأبواب كلها التي تسمح له ببيل
استغلاله. وهذا ما يعطي الحق والشرعية لاستعمال العنف الثوري لتحقيق هذا الهدف.

استخدم فرحات عباس ثقافته العالية وكفاءته السياسية وعلاقاته الواسعة مع الكثير من
الشخصيات العالمية الكبيرة في خدمة الثورة وكسب التأييد والدعم العالمي لها، فزار الكثير من بلدان
العالم لشرح قضية الشعب الجزائري وعدالتها، وتولى مناصب عليا في الثورة، فعُين عضوا في المجلس

الوطني للثورة أثناء مؤتمر الصومام في عام 1956 ثم عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ في عام 1957 والتي تعتبر السلطة العليا للثورة، ليصبح فيما بعد أول رئيس للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958 ويعلن بنفسه عن ميلاد الجمهورية الجزائرية التي طالما ناضل من أجلها، وبذلك أصبح رمز الثورة وقيادتها أمام العالم أجمع، وأصبح المجاهدون في الجبال يرددون اسم «سي عباس» كقائد سياسي لهم. وبقي في منصبه حتى أوت 1961 ليخلفه ابن يوسف بن خلة، وكلفته قيادة الثورة بتهام دبلوماسية في المغرب الأقصى لأن ظروف الثورة كانت تستدعي ذلك وكان فرحات عباس مسؤولا عن أغلب مراحل المفاوضات مع السلطات الفرنسية من أجل الاعتراف الفرنسي باستقلال الجزائر وانتهت باتفاقيات إيفيان في 18 مارس 1962 وتم وقف إطلاق النار بموجبها في 19 مارس 1962 ثم استقلال الجزائر في 5 جويلية 1962 وعاد فرحات عباس إلى أرض وطنه يوم 30 جوان 1962، وهو يرى حلمه في سقوط النظام الاستعماري وإقامة جمهورية جزائرية قد تحقق على أرض الواقع.

أصبح فرحات عباس أول رئيس للمجلس الشعبي الوطني في عام 1963، إلا أنه استقل من منبه بعد شهر بسبب رفضه اختراقات الرئيس أحمد بن بلة لقوانين ومؤسسات الدولة والحريات، وكيف لا يقف فرحات عباس هذا الموقف وهو المؤمن بالحرية التامة في التعبير والتفكير والاعتقاد، وكان يرى أن الدولة القوية هي دولة القانون والمؤسسات الشرعية لا دولة يتحكم فيها مجموعة أشخاص ويحولون أجهزتها لخدمة مصالحهم الخاصة بلل خدمة الشعب كله دون استثناء.

وفي يوم 6 جوان 1964 جرت مظاهرات ضد نظام بن بلة في مدينة وهران وكان الشباب النظار ينادي «يحيى فرحات عباس» فاتهمه بن بلة بأنه وراء الأحداث فاعتقله يوم 3 جويلية 1964، وعند اعتقاله قل له رجل الأمن الذي نفذ عملية الاعتقال وهو يبكي من شدة الأسف لما يحدث: «لا تكن لي أن أتصور أنني أضاع القيود لأبي وأب الاستقلال»، فُنقل فرحات عباس إلى معتقل بأندران وأُطلق سراحه يوم 8 جوان 1965، وقبل أيام معدودة من إطلاقه هواري بومدين بنظام أحمد بن بلة.

وبقي فرحات عباس معارضا سياسيا لنظام بومدين كما كان معارضا لنظام بن بلة، فبقي مستقلا بين أوروبا والعاصمة ومدينة سطيف أين توجد صيدليته. وكرس أواخر حياته للكتابة والتأليف.

الشاب الجزائري: نشره عام 1931، وهو مجموعة مقالات كتبها في مختلف الصحف ما بين 1922 و1930، يندد فيها بالنظام الاستعماري ويطالب بالإغاثة. وأعيد نشره عام 1981.

ليل الاستعمار: نشره في المغرب الأقصى عشية الاستقلال، وهو كتاب يكشف فيه المظالم الاستعمارية في الجزائر، مما يعطي للشعب حق الثورة للقضاء على الظلم والليل الاستعماري الحالي. وتناول فيه كيف كان الاستعمار يرفض أي إصلاح أو تحسين لوضع الشعب الجزائري.

تشريح حرب: نشره عام 1980 وهو مذكراته عن الثورة التحريرية ومساهمته فيها.

الاستقلال المصائر: يتحدث فيه عن رؤاه حول كيفية بناء الجزائر بعد الاستقلال، فقدم فيه مختلف انتقاداته لكيفية تسير وبناء البلاد بعد الاستقلال، ومما يقول فيه « لا أهمية للعنصر أو العرق في الجزائر، لكن ما يهم هو الإسلام لأنه إسمنت المجتمع والعامل المشترك بين كل الشعب » ويقول في مكان آخر من الكتاب « إن الإسلام هو الذي غنى وحرك كل المقاومات الجزائرية عبر التاريخ، وإن هذه الوطنية الإسلامية هي التي تعطي القوة للرجال، فوضع كل آماله في مبادئ الإسلام لبناء الدولة الجزائرية فيقول: « مثلما حررتنا العقيدة الإسلامية بالأمس، ستحررنا وتنقذنا في المستقبل ». فكلما فرحات عباس وفيا للعهد الذي أعطاه للشهيد العربي التبسي في عام 1955.

ولفرحات عباس الكثير من المقالات المنشورة في الصحف خاصة في العهد الاستعماري توفي فرحات عباس يوم 24 ديسمبر 1985 عن عمر يناهز السادسة والثمانين، ودفن في مربع الشهداء بمقبرة العالية إلى جانب ابن مهيلى وعميروش... وغيرهما من الشهداء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل هذا الوطن المفلت لكي نعيش في كنف الحرية والكرامة والعدالة والتقدم. أعطيت لجنازة فرحات عباس الصيغة الرسمية فحضرتها جموع الشعب التي أتت من كل مكان لتوديع الرجل الذي أفنى حياته كلها في سبيل خدمة هذا الشعب، وحضر جنازته الكثير من رجال الدولة الجزائرية التي لعب دورا في ميلادها.

ولد شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا عام 1908 ببني يزقن إحدى قرى بني ميزاب في الجنوب الجزائري. اسمه الكامل مفدي زكريا بن سليمان الشيخ صالح، وهو ينحدر من أسرة آل الشيخ الأمازيغية الأصل التي تعود جذورها إلى بني رستم مؤسسي الدولة الرستمية بتيهت في القرن الثاني الهجري.

التحق الطفل مفدي زكريا بالكتاب لحفظ القرآن الكريم وتعلم مبائ الدين الإسلامي، ولما بلغ السابعة من عمره انتقل إلى مدينة عنابة للالتحاق بأبيه الذي كان يمارس التجارة هناك، فدخل المدرسة الابتدائية، وفي عام 1924 انتقل إلى تونس مع البعثة العلمية الميزابية لتلقي العلوم الدينية والدينية هناك فدرس بمدرسة السلام القرآنية لمدة سنتين فأثقت جيدا اللغتين العربية والفرنسية كما اطلع على العلوم الحديثة، وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية انتقل إلى المدرسة الخلدونية الحديثة فدرس الحساب والهندسة والجبر والجغرافية والتاريخ ليلتحق بعدها بجامعة الزيتونة أين تعمق في علوم الدين.

وعندما كان في تونس أقام في بيت عمه صالح بن يحي أحد كبار المناضلين ضد الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي وأحد مؤسسي الحزب الدستوري التونسي الذي قاد الجهاد ضد الاستعمار. وبحكم إقامته في بيت عمه تعرف على زعماء كبار وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وكان الشاب مفدي زكريا يتابع أحداث هؤلاء الزعماء حول هموم العالم الإسلامي والأخطار المحدقة به. ومنذ تلك الفترة عقد مفدي زكريا العزم على الجهاد ضد الاستعمار والجهل والتخلف فاكسب روحا وطنية عميقة إلى جانب تدينه الشديد وأخلاقه العالية جدا.

وكان الشاب مفدي زكريا كثير المطالعة في كل المجالات، إلا أنه شديد الولع بدراسة حياة الأبطال وعظماء الأمم، فتأثر كثيرا بسيرة الزعيم الوطني المصري مصطفى كامل الذي قاد النضال ضد الاستعمار البريطاني وهو شاب لا يتجاوز العشرين من عمره والذي توفي في الرابعة والثلاثين من عمره، وقد قرأ

مفدي زكريا عدة مرات كتابا عنه بعنوان «مصطفى كامل في 34 ربيعاً». فأخذ الشاب مفدي زكريا من هذا البطل الإسلامي الكبير مبدأ عدم الفصل بين الوطنية والدين.

ونظم الشاب مفدي زكريا الشعر وهو في ريعان شبابه، فكلما تناول أساتذته موضوعاً في القسم طلبوا منه أن يقول شعراً فيه فيرتحل بيتين أو أكثر من نظمه.

وأحب مفدي زكريا الصحافة، فأشرف على مجلة حائطية في المدرسة تسمى «الوفيق» كان يكتب مقالاتها ويخططها بيده ويوزعها بنفسه. فكان طاقة لا تنفذ منذ صغره يتميز بالصبر والثبات والاستمرارية في العمل دون انقطاع والإيمان العميق بالوطن والدين.

عاد مفدي زكريا إلى الجزائر في نهاية العشرينات، فالتخرط في حزب نجم شمال إفريقيا الذي كان يطالب باستقلال المغرب العربي ثم تحقيق وحدته، فكلما حلت السلطات الاستعمارية هذا الحزب كان يعود إلى الساحة السياسية تحت أسماء أخرى. وفي عام 1937 أصبح الحزب يسمى بـ «حزب الشعب الجزائري»، وتولى مفدي زكريا منصب الأمين العام للحزب أي الرجل الثاني فيه بعد رئيسه مصالي الحاج، وترأس أيضاً هيئة تحرير صحيفة «الشعب» التي هي لسان الحزب بالعربية، فنشر فيها عدة مقالات لتوعية الشعب وكشف همجية الاستعمار والدعوة إلى استقلال البلاد. وكان يجوب البلاد شرقاً وغرباً لنشر الفكرة الوطنية في صفوف الشعب، فكان يحاضر ويخطب ويكتب وينظم الأشعار والناشيد التي تلهب الحماس، ففي عام 1936 وضع نشيده الخالد «فداء الجزائر»

فأصبح هذا النشيد على لسان كل الجزائريين آنذاك إذ كانوا يرددونه جماعياً في المظاهرات ضد الاستعمار.

لقى الاستعمار القبض على مفدي زكريا في عام 1937 عندما كان يُلقى محاضرة بالبليلة في ليلة من ليالي رمضان عنوانها «الوطنية والدين» يدعو فيها إلى الجهاد في سبيل الوطن والدين.

فوضع البطل مفدي زكريا في سجن الحراش مع جمع من المجاهدين، إلا أنه لم يكف عن الجهاد فكان يصدر مع إخوانه من داخل السجن جريدة بعنوان «البرلمان الجزائري»، وكانت تصل إلى القراء بشتى الطرق والوسائل فتشير فيهم المهمة وحب الوطن والدين، وصار وجود مفدي زكريا داخل السجن أكثر خطورة على الاستعمار من وجوده حرا، فكان يرسل أناشيده من السجن ليتغنى بها الشعب وأشهرها نشيد «اعصفي يا رياح» وسيتم ذكره لاحقا.

وقد أمرت جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة المسلحة المحكوم عليهم بالإعدام بترديد هذا النشيد عند مواجهتهم المقصلة.

وبعد خروجه من السجن واصل مفدي زكريا جهاده ضد الاستعمار في حزب الشعب الجزائري الذي غير اسمه إلى حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بعد الحرب العالمية الثانية، فترس على بني مفدي زكريا الكثير من الأبطال ومنهم العربي بن مهيدي وعبان رمضان وديدوش مراد... وغيرهم من الشباب الذين رضعوا على يديه مبادئ الوطنية والدين.

في عام 1953 نشبت أزمة داخل حزب حركة الانتصار للجنة المركزية، ووقف المجاهد مفدي زكريا على الحياد لأنه لم يكن يريد أن يزيد الجراح عمقا مما يهدد مسيرة الحركة الوطنية التي ساهم في بنائها وضحي من أجلها بالدم والدموع لأكثر من ربع قرن.

فهذا موقف طبيعي من رجل يرفض التعصب الحزبي وأساليب السب والشتم بين مختلف الأحزاب والتيارات السياسية والفكرية.

وقد جاءه يوما مسؤول إحدى الصحف يطالبه بالمساهمة بمقالات ضد بعض الأشخاص الذين يخالفهم الرأي فرد عليه مفدي زكريا بالقول «إني أفضل أن تولي وجهك نحو الأبحاث الحيوية الحقة وأن تستخدم مواهبك الطبية في النهوض بأمكتك وتأسيس المعاهد العلمية والمدارس الحرة لتثقيف عقول أبنائها ومقاومة الأخطار الاجتماعية التي تهدد قوميتنا وديننا الإسلامي المجيد...» هكذا كان

مفني زكريا يرفض استعمال الصحف والأحزاب والمطب في شتم الأشخاص والسخرية منهم ويفضل العمل الجاد والبناء والنقاش الفكري الرفيع الذي يقدم الأمم ولا يؤخرها.
وكرر المجاهد مفني زكريا كل جهوده على طرد الاستعمار الفرنسي وإصلاح الأمة بتغيير الفرد وتحقيق ذلك أسس جريدة الحياة عام 1933 وكتب يقول عنها « إن شعارها الإخلاص في العمل الذي والسعي لصالح الوطن، رائدها الصلح ودعائتها التفكير الحر والعلم الصحيح، حزبها الحق ومبذلها الصراحة ». وكانت هذه هي مبادئ عمله طيلة حياته.

وحارب مفني زكريا بشعره ومقالاته الجهل بكل أنواعه ودعا إلى العلم بمفهومه الواسع كالتيكولوجيا واستخدام أسرار الطبيعة وقوانينها وتطويرها لخدمة الإنسان وكان يرى بأن العلم يجب أن يرتبط بالأخلاق العالية فيقول في إحدى قصائده مخاطبا الطلبة الجزائريين في عام 1935.

ووقف مفني زكريا بالمرصاد للمتمزتين والجامدين الذين يتسترون بالدين فيحرمون كل جديد ويعتبرونه بدعة فيجهلهم وتزمتهم وحمودهم يعرقلون الأمة عقودا عن السير نحو التطور والتقدم وقد وصل هؤلاء إلى حد القول أن الصحافة والجرائد حرام لأنها بدعة اخترعها الكفار. فغضب مفني زكريا من هذا البهتان وكتب قصيدة عام 1927 يقول فيها:

ورؤوسا قد عشن الجهل فيها	فأستوى الحي عندها بالجما
أصبحت مهنة الصحافة كفرا	حرموها بموثقات شدا
يتنادون في المساجد بالإثم	والله اجر ذاك التناذي
وانظروا تحت هيكل الدين ظلما	فعدا الدين منهم في ابتعا

ولمض مفني زكريا محاولات الاستعمار الدينية لتفرقة هذا الشعب عملا بسياسة «فرق تسد» واعتبر كل من يساهم في تفرقة الشعب ولو بكلمة واحدة عدوا للأمة الجزائرية، وفي عام 1936 أسس مفني زكريا جمعية التوحيد، ودعا الشيخ الطيب العقبي لرئاستها، وكان هدفها تحطيم كل محاولات

التفريق بين أبناء الشعب الواحد فقل في رسالة للطبيب العقبي نشرت في جريدة البصائر... وكان حتما عليه (أي الشعب الجزائري) ولزاما في نهضته أن ينفر مجموع الأجزاء ملتئم الشعب، قوي البنية، يستطيع الثبات أمام الأعاصير والزعازع الاستعمارية التي تنتظره في الميدان العصيب سيما وقد قام الدليل على بطلان كل نهضة تدس في بنائها العام الفوارق، وتنتشر بين صفوفها أويشة الشيع والطوائف...

وهكذا كان مفدي زكريا عدوا للاستعمار والجهل المستزمين المتحجرين باسم الدين والدين منهم بريء، وفضح كل من حاول التمييز بين أفراد الشعب الجزائري الواحد والتفرقة بينهم على أساس عرقي أو ديني أو طائفي.

فرح مفدي زكريا كثيرا باندلاع الثورة المسلحة في ليلة أول نوفمبر من عام 1954 على أيدي شباب تعلموا على يديه معنى الوطنية والتضحية في سبيل الوطن والدين، إلا أنه تألم كثيرا لأن قيادة الثورة لم تسمح له بالالتحاق بالجيل بسبب كبره في السن، إلا أنه أرسل ابنه سليمان ليكون جنديا بسيطا في الجبل. وواصل مفدي جهاده الثوري بتعبئة الشعب وتحفيزه بالكلمة الثائرة فلم يصف أحد حقيقة المجاهدين كما وصفهم هو بقوله:

وأشربته حب الشهادة فارتمى
على غمرات الموت تلهيه الذكرى

وطالبته باللهر أن رام عزة
فأسرع من أرواحه يدفع المهر

ولقته أن الجهاد عقيلة
طوى الأزل العلوي في صدرها سرا

يشبه الثورة والمجاهدين بمجاهدي بدر فيقول :

وحدثنا عن يوم بدر محمد
فقمنا نضاهي في جزائرتنا بدرا

وفي عام 1955 طلب منه عيان رمضان وضع نشيد رسمي للثورة والوطن، فوضع نشيداً قسمه
الذي لحنه الموسيقار المصري محمد فوزي ليصبح النشيد الوطني الرسمي الذي يهز القلوب ويشعل الحمم
أثناء الثورة وبعد الاستقلال، والذي يجب أن يردده كل فرد من أفراد الأمة الجزائرية.

القي البوليس الاستعماري القبض على مفدي زكريا في عام 1956 وأودعه سجن بربورس ثم
البرواقية فالخراش. وقد شاهد بأمر عينيه إعدام الشهيد أحمد زهانة الملقب بزبانة، وكيف أن هذا البطل
تقدم إلى المفصلة بشجاعة متحديا الجبروت الاستعماري، وتعجب جلادو الاستعمار من هذا الرجل
الذي لم يطلب شيئاً من الجلاد قبل إعدامه إلا صلاة ركعتين لله قبل صعود روحه الطاهرة إلى جنات
الخلد. ونظم مفدي زكريا في الشهيد أحمد زبانا قصيدة من 68 بيتاً بعنوان «الذبيح الصاعد»

وتعرض مفدي زكريا في السجن إلى أشد العذاب، كالتعذيب بالتسليط المستمر للأصوات
الكاشفة على عينيهِ ليلاً ونهاراً لأكثر من ثلاث سنوات مما جعله يشكو من آلام حادة ودائمة في عينيه
وصداق ملازم له وانتهيار في الأعصاب طول حياته، فخشي الاستعمار أن يموت الشيخ المجاهد مفدي
زكريا في السجن تحت التعذيب مما يثير فضيحة عالمية، فاضطر إلى إطلاق سراحه بعد ما تأكد من أنه
لا يستطيع فعل شيء ضده لأنه موهن الجسد والعقل.

وعندما خرج مفدي زكريا من السجن في عام 1959 هربته الثورة إلى المغرب الأقصى ليعالج في
الخارج، وواصل الجهاد بالكلمة، فتحول إلى سفير للجزائر في العواصم العالمية يُسمع صوتها عالي
وتُعرف بقضية الشعب ويكسبها الدعم المالي والمعنوي، فزار أغلب البلاد العربية والتقى بكبار
الأدباء كطه حسين وعباس محمود العقاد ولُحنت قصائده من كبار الملحنين كمحمد فوزي وكمال
الطويل، وغناها أكبر المطربين والمطربات كوردة الجزائرية وفايزة أحمد وفايزة كامل، وكانت أغلى أمينات
المطربة الكبيرة أم كلثوم أن تغني قصائد شاعرنا الكبير مفدي زكريا. ولم تخل جريدة من أحاديث عن
صوت الثورة وشاعرها مفدي زكريا، وكانت تنشر قصائده وأناشيده التي تهز النفوس ونشرت دور النشر
ديوانه «اللهب المقدس» الذي يحتوي على قصائد وأشعار عن الجزائر وثورتها.

تعتبر إليانة الجزائر أهم أعمال مفدي زكريا على الإطلاق وقد وضعها بطلب من وزير الشؤون
الدينية آنذاك مولود قاسم نايت بلقاسم بمناسبة الذكرى العاشرة للاستقلال وألقاها لأول مرة في ملتقى
الفكر الإسلامي السادس الذي انعقد بالجزائر العاصمة سنة 1972.

وتتكون إليافة الجزائر من ألف بيت يصور فيها طبيعة البلاد ليتطرق بعد ذلك إلى تناول تاريخها منذ عصر الأمازيغ ونضالات ماسنيسا ويوغرطة وتاكفاريناس ضد الرومان ثم يشير إلى دخول الأمازيغ في الدين الإسلامي وفتح الأندلس وبناء حضارة إسلامية عظيمة وإبراز أهم شخصياتها ورجالاتها ثم مختلف المعهود إلى أن يصل إلى الفترة الاستعمارية فوصف جهاد الشعب الجزائري من أجل الحرية والاستقلال.

توفي المجاهد وشاعر الثورة الجزائرية مفلي زكريا في الثالث من رمضان من عام 1397 هجرية الموافق لـ 17 أوت 1977 بتونس بعد سكتة قلبية. وكان في لقاء حميمي مع بعض المجاهدين القدامى في حزب الشعب الجزائري وأثناء الثورة. ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه بواحي ميزاب مغطى بالعلم الوطني ووري التراب هناك، وشارك في جنازته جموع غفيرة من أبناء الشعب جاءت لشودع شاعرهما وكما شارك في تشييع جنازته شخصيات سياسية ودينية وأدبية كبيرة جاءت من الجزائر وبلدان أخرى من الوطن العربي.

وودع مفلي زكريا الحيلة دون أن يرى حلمه المتمثل في مغرب عربي موحد ولم ير إلا استقلال بلدانه عن الاستعمار. رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته.

ديدوش مراد

ولد الشهيد ديدوش مراد عام 1927 بمدينة الجزائر، وهو من أسرة ثرية هاجر أبوه أحمد من عزازقة بمنطقة القبائل بعد الحرب العالمية الأولى، وساهمت هذه الأسرة في إعالة الكثير من المجاهدين الفقراء والمطاردين من البوليس الاستعماري ومنهم رابع بيطاط والعربي بن مهيدي وغيرهما. ونشأ الطفل مراد على حب الوطن والدين والحقد على الاستعمار، وكان يسمع من أم قصص النهب والسلب والقتل الذي مارسه الرومي على الجزائريين، وقصص عليه مقاومة لالا فالت نسور في منطقة القبائل مثلما سمعتها على لسان جدتها التي عاشرت تلك الأحداث.

دخل الطفل مراد المدرسة القرآنية لحفظ القرآن الكريم كغيره من الأطفال الجزائريين آنذاك. وعندما بلغ السادسة من عمره دخل المدرسة الابتدائية الفرنسية فكان المعلم الاستعماري يقول له بأن فرنسا أتت بالحضارة إلى الجزائر فيقارن ديدوش مراد ذلك بما سمعه على لسان أمه عن الحمية والبربرية التي ارتكبتها الاستعمار في حق الشعب الجزائري، وبما كان يلاحظه من بشاعة الاستغلال التي كان يمارسه المعمّر الأوروبي على الجزائريين الذين كانوا يتخبطون في البؤس والجهل والتخلف وأه نراتهم وأراضهم فكان يستمتع بها المعمرون الأوروبيون.

أظهر الطفل ديدوش مراد ذكاء عاليا في المدرسة فتحصل على الشهادة الابتدائية عام 1939 ثم الشهادة الأهلية عام 1943، إلا أن الاستعمار اكتشف فيه بوادر الروح الوطنية والدينية التي حاول إخفائها عنه كي لا يعرقه عن مواصلة الدراسة، فطرد الاستعمار الشاب ديدوش مراد من المدرسة لكن هيهات للاستعمار أن يوقف عجلة التاريخ، طالما كان الشعب الجزائري يعتمد على نفسه في إيجاد الوسائل والإمكانيات والأساليب التي ستسمح له بقهر الطغاة الاستعماريين، فبنى بالموال المدارس الحرة، أسس الكشافة الإسلامية الجزائرية التي كانت بمثابة المدرسة الحقيقية للجزائريين وكان الطفل الجزائري يتلقى فيها تربية وطنية ودينية لتصنع منه رجلا قادرا على قهر الاستعمار. فقد

تربى الطفل ديدوش مراد في حضانة الكشافة الإسلامية الجزائرية مثله مثل أغلب الشبان الجزائريين الذين هموا كرجل واحد ليلة أول نوفمبر من عام 1954 من أجل تحرير الوطن الجريح من الجيروت والظلم والقهر والفساد الذي نشره الاستعمار الفرنسي في كل مكان.

واعتنى ديدوش مراد بجسمه لأن « العقل السليم في الجسم السليم » فكان رياضيا إذ مارس لعبة كرة القدم في نادي مولودية العاصمة وقد كانت مختلف النوادي الرياضية التي أنشأتها الحركة الوطنية بمولودية الجزائر واتحاد بسكرة ومولودية قسنطينة إحدى وسائل نشر الفكرة الوطنية في صفوف الشباب الجزائري، مما جعل أغلب الرياضيين المنتمين إلى مختلف هاته النوادي يلتحقون بالثورة عند اندلاعها ليلة أول نوفمبر من عام 1954.

إن التربية الوطنية والدينية والعقلية والبدنية التي تلقاها الشاب ديدوش مراد صنعت منه رجلا محالوطه ودينه إلى درجة التضحية بحياته من أجلهما، وأكسبته أخلاقا عالية جدا كالصبر ومواجهة الشدائد والإثارة والصلق والإخلاص والوفاء بالعهد وخدمة الآخرين لأن خادم الناس سيدهم، مثلما اكتسب من ممارسة الرياضة حيوية ونشاطا ورياسة الجأش والتحكم في الأعصاب فيروي عنه أنه حصرته في يوم من الأيام دورية للبوليس الاستعماري داخل مقهى بقسنطينة، وعندما طلب منه البوليس إظهار بطلته الشخصية بقي هادئا ليخرج مسدسه بكل الوثيقة المطلوبة فيطلب من أعضاء الدورية رفع أيديهم وتسليم مسدساتهم لينسحب في هدوء أمام مرأى وإعجاب الحاضرين.

انخرط ديدوش مراد في حزب الشعب الجزائري وعمره لا يتجاوز ست عشرة سنة، فأصبح عنصرا بارزا في «اللجنة المركزية للشباب» وهو تنظيم شباني تابع للحزب على مستوى أحياء العاصمة ومن أعضائه البارزين محمد بلوزداد وأحمد محساس ومحمد يوسف وعبد القادر بونة ... وغيرهم من الشبان، وقام أعضاء هذا التنظيم بنشر الفكرة الوطنية في صفوف شباب العاصمة وتوزيع صحف ومنشورات حزب الشعب الجزائري ودعوة الشبان إلى الالتزام بالأخلاق الفاضلة ومحاربة الميجون والفساد والخلاعة التي كان ينشرها الاستعمار الفرنسي في وسط الشباب الجزائري كي يجعله ضعيفا ومريضا ومنقادا

للاستعمار، وكان أعضاء هذا التنظيم الشباني يسرقون الأسلحة من المستعمر ويخفونها استعدادا لليوم الموعود.

ولعب تنظيم اللجنة المركزية للشباب دورا بارزا في أحداث ماي 1945 فنظموا مظاهرات حاشنة في العاصمة في فاتح ماي 1945 وكللت هذه المظاهرات بالنجاح بعد ما لجأ أعضاء التنظيم إلى معالطة البوليس الاستعماري بنشر إشاعة تقول بأن المظاهرة ستنتقل من ساحة أول ماي فتوجه حوالي خمسون شابا إلى هناك فتجمع البوليس والجيش الاستعماري لقمع المظاهرة إلا أنه في الحقيقة انطلقت المظاهرات من باب جديد وساحة الشهداء ليلتقي الجمع في شارع العربي ابن مهدي الذي كان يدعى آنذاك شارع إيزلي مهلين مكبرين صائحين بتحيا الجزائر رافعين الرايات الوطنية فسقط الكثير من الشهداء في هذه المظاهرات. فكتشف الاستعمار الفرنسي مدى الخطورة التي كانت تمثلها اللجنة المركزية للشباب بالعاصمة بقيادة محمد بلوزداد فاعتقل الكثير من أعضائها ودخل البعض الآخر في السرية.

أمام ضغط مختلف هذه التنظيمات الشبانية المتحمسة للكفاح المسلح اضطر حزب الشعب الجزائري الذي غير اسمه إلى حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية إلى إنشاء المنظمة الخاصة في فيفري 1947 وهي منظمة شبه عسكرية هدفها التحضير للثورة المسلحة بتدريب المجاهدين عسكريا وجمع الأسلحة والمؤن والأدوية لليوم الموعود. وعُيِّن محمد بلوزداد على رأس هذه المنظمة وعيِّن بدوره ديدوش مراد كمسؤول لها في عتابة تحت قيادة محمد بوضياف مسؤول المنظمة الخاصة في الشرق الجزائري، وهناك تعرف ديدوش مراد على رجل عظام أمثال العربي بن مهدي ومصطفى بن بولعيد وعبد بوضياف وزينغود يوسف وابن طوبال وعمار بن عودة... وغيرهم من الأبطال الذين ضحوا بالنفس والنفيس من أجل أن تحيا الجزائر حرة كريمة.

واكتشف البوليس الاستعماري سر المنظمة الخاصة في مارس 1950 فاعتقل الكثير من أعضائها كما دخل الكثير منهم في السرية ومنهم البطل ديدوش مراد الذي عاد إلى العاصمة، وكذا أن

يقع في يد البوليس الاستعماري عندما داهم بيت عائلته في إحدى ليالي شهر أبريل من عام 1950 إلا أنه أفلت منهم بأعجوبة بفضل هدوئه وقدرته الفائقة على التحكم في الأعصاب لأنه من يمتلك هذه الصفة مثل ديدوش مراد تسمح له بالتصرف السليم والصحيح عكس التوتر الأعصاب الذي يتصرف بمشوائية فيقع في ما لا تحمد عقباه.

وأصبح ديدوش مراد مطاردا من البوليس الاستعماري فاضطر للتنقل من مكان لآخر تحت لقب سري هو «سي عبد القادر» وبأقنعة وتسمويها مختلفة لأن البوليس كان يملك صورته، فصاحب كثيرا أثناء وجوده في السرية العربي بن مهيدي ومحمد بوضياف.

وهاجر متخفيا إلى فرنسا في عام 1952 ليتولى هناك مسؤولية حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في المهجر كنائب لمحمد بوضياف، فتنقل من منطقة إلى أخرى بهدف تنظيم المجاهدين هناك.

في عام 1953 نشب صراع داخل حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بين المصاليين وهم أنصار زعيم الحزب مصالي الحاج والمركزيين الذين أرادوا تحديد صلاحيات زعيم الحزب، وانتقل الصراع إلى كل المناضلين في الكثير من الأماكن، فقلق ديدوش مراد ومحمد بوضياف على مصير الحزب الوطني فاضطرا إلى العودة إلى أرض الوطن والاتصال بمختلف المجاهدين، فأنشأوا اللجنة الثورية للوحدة والعمل في مارس 1954، وهدفها الإصلاح بين الطرفين المتصارعين داخل الحزب ثم إشعل نار الثورة المسلحة ضد الاستعمار، وباءت محاولات الإصلاح كلها بالفشل، فاضطر أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل إلى الاجتماع في جوان 1954 بالعاصمة والتفكير في كيفية إشعل نار الثورة، وكان ديدوش مراد أحد منظمي هذا الاجتماع بالإضافة إلى محمد بوضياف والعربي بن مهيدي ومصطفى بن بولعيد، وانبثق عن هذا الاجتماع لجنة ثورية تضم كلا من محمد بوضياف ومصطفى بن بولعيد والعربي بن مهيدي ورابع بيطاط وديدوش مراد لينضم إليهم كريم بلقاسم فيما بعد من منطقة القبائل، وكلفت هذه اللجنة بالتحضير للثورة.

وكانت تنقلات وأسفار ديدوش مراد إلى مختلف مناطق الوطن وإلى الخارج سعياً وراء جمع الأسلحة والأموال وضم الرجل للثورة وطالب عائلته الغنية بحقه في الميراث ليضعه تحت تصرف الثورة، فضحى بماله قبل التضحية بروحه الزكية في سبيل الدين والوطن.

إن الرجل الذين حضروا للثورة المسلحة في أول نوفمبر 1954 لم يكونوا معروفين لدى الشعب، فاضطرت لجنة الستة إلى البحث عن رجل معروف لتزعم الثورة مما يسهل إقناع الشعب وضمه إليها، فاقترح ديدوش مراد اسم مصالي الحاج زعيم حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية رغم أنه كان أحد أسباب أزمة الحزب والشقاق الذي حدث فيه، وكان رأي ديدوش مراد أن مصالي كان زعيمهم لأكثر من ربع قرن، فلهذا فإن إبقائه زعيماً سيكسب الثورة الكثير من الرجال ويُجنب البلاد الصراع على السلطة بعد الاستقلال، فرفض بوضياف وآخرون هذا الرأي لأن مصالي كان أحد أسباب الأزمة التي شقت الحزب الوطني وكان يتصف بالدكتاتورية والتسلط، ويقال أن بوضياف قد ندم برفض رأي ديدوش مراد عندما رأى بأم عينيه الصراع الدامي حول السلطة بعد الاستقلال، فكان يقول قضيماً على تسلط مصالي لتعوضه بتسلط آخر بعد الاستقلال، ولو قبلنا برأي ديدوش مراد لتجنبنا ذلك الصراع الدامي لأن الجميع سيترفون بسلطة وزعامة مصالي الذي وضع الجميع على يديه فكرة الوطنية والاستقلال ومن ثم لا يمكن لأحد أن يجزؤ على منافسته على الحكم.

وتخلت لجنة الستة عن فكرة البحث عن زعيم للثورة واقتنعت بما قاله ابن مهدي «أرموا بالثورة إلى الشارع محتضنها الشعب»، والتزمت بفكرة القيادة الجماعية للثورة وتم الاتفاق على ليلة أول نوفمبر 1954 كتاريخ لإشعل ناراها، وكان ديدوش مراد وراء اختيار هذا التاريخ عندما قل لأعضاء اللجنة أن أول نوفمبر هو أول يوم في الشهر وهو عيد للمسيحيين، وهو أيضاً يوم مولد الرسول ﷺ فهو يوم اثنين، ونعلم أن يومي الاثنين والخميس من أفضل الأيام عند الله سبحانه وتعالى ولهذا يصومهما المسلم، فاقنعت الجميع برأي البطل ديدوش مراد.

وكلفت لجنة الستة ديدوش مراد إلى جانب محمد بوضياف بصياغة بيان أول نوفمبر 1954
الرجلحة عقله وثقافته العالية واطلاعه وفهمه العميق لمبادئ الحركة الوطنية واحتكاكه الكبير بالشعب
ونحس تطلعاته وآماله ورغباته، وسطر البيان الذي صاغه كل من ديدوش مراد ومحمد بوضياف هدف
الثورة بالقول:

إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية والاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية.
احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

ومعناه إقامة دولة جزائرية مستقلة استقلالاً تاماً تُحترم فيها الحريات كلها دون أي تمييز عرقي أو
ديني، وتسودها الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وتكون المبادئ الإسلامية هي مرجعها الأعلى.
وبعدما تم الاتفاق على بيان الثورة وتحديد تاريخ إعلانها عاد ديدوش مراد إلى منطقة الشمال
القسطنطيني ينتظر تلك الليلة الخالدة التي ستكون نقطة الانطلاق للجهاد ضد الاستعمار الفرنسي
وتحقيق ذلك الهدف السامي الذي سطرته الثورة في بيان أول نوفمبر التاريخي.

اندلعت الثورة المسلحة ليلة أول نوفمبر من عام 1954 في مناطق التراب الوطني كلها وفي
وقت واحد، فهاجم البطل ديدوش على رأس فوج من المجاهدين ثكنة عسكرية في قرية سان شارل
آنذاك والمسملة اليوم بـ « رمضان جمال ».

وقام نائبه زيفود يوسف بمهمة مماثلة في سمنلو المسملة اليوم بزيغود يوسف، أما بلجي فكانت
مهمة تحطيم القطار الآتي من الوزنة والمحمل بالحديد، وكُلف عمار بن عوف بتخريب أعمدة
الكهرباء والهاتف بعنابة، وتمت هذه العمليات كلها بنجاح باهر، ففرح مجاهدو الشمال القسنطيني بما
حققوه، وازداد ابتهاجهم لما سمعوا عن نجاح العمليات العسكرية التي تمت في كامل أرجاء الوطن،
فانتشروا خيراً بأن قطار الثورة على السكة الصحيحة، وبأنه سيكون من طريقه كل الحونة
والطواغيت والجبابرة وأعداء الحرية والإنسانية، إلا أن ديدوش مراد كان يوصي دائماً المجاهدين بأن لا

يقترأ ويستعصموا الأمر، وكان يقول لهم أن الوصول إلى الأهداف يتطلب منا سنوات عديدة من الجهد
والنضحية لأن الاستعمار سيعمل كل ما يوسع للقضاء على الثورة وما السجاةدون إلا رجل من هذا
الوطن يغذونه بدمائهم كي يعيش حرا كريها وطاهرا من الظلم والجور والافتقار.
ازداد عدد المجاهدين بقيادة ديدوش مراد في الشمال الفلسطيني بعدما عرف الشعب حقيق
الثورة فتكثفت العمليات العسكرية ضد الجيش الاستعماري، واستشهد الكثير من المجاهدين في
المنطقة على رأسهم باجي مختار، وفي صباح 18 جانفي 1955 انتقل ديدوش مراد على رأس مجموعة
تتكون من 17 مجاهدا لتعريف الشعب بحقيقة الثورة، وعندما وصل إلى وادي بوكركر اكتشف الجيش
الاستعماري المجموعة الصغيرة فحاصرها بأكثر من 500 جندي من كل الجهات، فلم يبق أمام
الشهيد ورفاقه إلا الاستسلام إلا أن ديدوش مراد قال لهم إننا إذا استسلمنا نكون قد حططنا معنويات
الشعب وأظهرنا أنفسنا ضعفاء، فعلينا بالجهاد والصمود والثبات فلما النصر أو الشهادة، فهب كل مجاهد
بفائق عن المجموعة بحماس وصبر وثبات، ودامت المعركة من الثامنة صباحا حتى الواحدة ظهرا
فاستشهدوا جميعهم ومنهم البطل ديدوش مراد فردد الشعب كله بطولات هؤلاء وصمودهم وإيمانهم
بالدين والوطن وتحول قبر الشهيد ديدوش مراد في مقبرة سمندو (زيغود يوسف اليوم) مزارا للشعب
فحظر الاستعمار إلى منع الناس من زيارة المقبرة، وأصبح منذئذ يمنع الشعب من معرفة قبور الشهداء
الأبرار الذين صنعوا باستشهادهم حيلة للشعب.

مصطفى بن بولعيد

ولد الشهيد مصطفى بن بولعيد يوم 5 فيفري من عام 1917 بأريس (بائنة) من عائلة غنية
ميسورة الحال تتميز بالتدين الشديد وحب الوطن ففرست فيه ذلك يدعى أبوه محمد بن اعمر أما أمه
فهي بركان عائشة

عندما بلغ الطفل مصطفى السادسة من عمره دخل المدرسة الابتدائية الفرنسية أين لاحظ
عنصرية المعلم الفرنسي ضد الجزائريين وواصل تعلمه حتى تحصل على الإعدادية، وواصل أيضا
دراسة في الكتاب فحفظ القرآن الكريم.

استدعي في عام 1937 أي عشية الحرب العالمية الثانية لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية
فتعلم استخدام السلاح واكتسب خبرة عالية في الشؤون العسكرية، وقد ترقى إلى رتبة مساعد بسبب
كفاءته القتالية. وكان يرى بأن الخدمة في الجيش الاستعماري وسيلة للتدريب العسكري والاستعداد
للكفاح المسلح ضد الاستعمار، وتابع بن بولعيد باهتمام كبير نشاط حزب نجم شمال إفريقيا عندما كان
مهاجراً بفرنسا، وقام بنشاط نقابي هناك دفاعاً عن حقوق العمال الجزائريين، وعندما عاد إلى أرض الوطن
انتخب رئيساً لنقابة التجار، وبقي في هذا المنصب إلى أن استدعي مرة ثانية إلى الخدمة العسكرية
الإجبارية عام 1944. وأظهر بن بولعيد أثناء شبابه تعاطفاً كبيراً مع حزب الشعب الجزائري الذي كان
يدعو إلى استقلال الجزائر وكما أيد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت تقود حركة
الإصلاح الديني، وكان بن بولعيد يرى في عملهما تكاملاً من أجل استقلال وبناء الجزائر لأنه كان لا
يفرق بين الوطنية والدين فهما شيء واحد في نظره.

إن التربية الوطنية والدينية التي تلقاها بن بولعيد في شبابه جعلت منه رجلاً ذا أخلاق عالية
جداً فكان يتميز بالثقة والتواضع وحسن المعشر والروح الطيبة والصلق والتجرد والإخلاص
للوطن والدين. وكان يملك ثقافة عربية وفرنسية عالية، وقدرة فائقة على استعمال السلاح، فكل هذه

الصفات أهله لأن يكون قائدا للجهاد السياسي والعسكري ضد الاستعمار الفرنسي في منطقة الأوراس. فلقب بـ «شيخ المجاهدين» أثناء الثورة لما كان يتحلى به من أخلاق عالية وحكمة فائقة في تذليل الصعاب والمشاكل.

إن أخلاق بن بولعيد العالية وإيمانه الشديد بالوطن والدين دفعت المناضل مملي زواي مسؤول حزب الشعب الجزائري بالأوراس للاتصال به وضمه للحزب، ففرح بن بولعيد بذلك لأن أحس بأنه عمل ثقة قيادات الحزب. فترقى في المناصب داخل الحزب حتى وصل إلى القيالة العليا كعضو في اللجنة المركزية للحزب الذي أصبح يحمل اسم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية عام 1946. ويقول ابن يوسف بن خلة أمين عام الحزب في عام 1951 عن بن بولعيد أنه كان «يدافع عن آراء بصراحة ونزاهة وتواضع، ولم يكن يفرق كثيراً بين الدين والوطن، وكان شغله الشاغل الثورة المسلحة وجمع السلاح لأنه كان يعيش ذلك يوميا في الأوراس».

ورشحته حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في انتخابات المجلس الجزائري 1948 كنائب لدائرة باتنة ففاز في الدور الأول منها، فحاولت السلطات الاستعمارية الضغط عليه بالإغراء والترهيب للانسحاب لكنه رفض قائلا «إذا فزت عند الشعب فلا شأن لي بالفوز عند فرنسا، وعندما رفض أي تنازل رغم كل الإغراءات اضطرت السلطات الاستعمارية إلى تزوير الانتخابات في دورها الثاني، وأكثر من هذا فإنها عرفت أن هذا الرجل مفعم بحب وطنه، وأنه يشكل خطراً كبيراً على التواجد الاستعماري. فغير الاستعمار الأساليب المستعملة معه فانتقل من الإغراء إلى الحصار والضغط الاقتصادي، فنزعت منه رخصة نقل المسافرين بالحافلة التي كان يملكها لكي ينهار اقتصاديا فيستسلم إلا أن الشعب وقف بالمرصاد لهذا القرار، فقرر سكان المنطقة عفويا عدم ركوب أية حافلة تابعة لخصوم بن بولعيد، فانهار خصومه اقتصاديا وماليا بدل هذا الرجل الثوري الذي سخر أموال تجار وأعماله لخدمة الحركة الوطنية.

وبعد فشل كل هذه المحاولات لجأ الاستعمار إلى تدبير محاولة لاغتياله مع أخيه عمر في عام 1949، لكنها باءت بالفشل فالتجأ إلى الهروب ليعود إلى ليبيا بعد دور كبير أثناء الثورة المسلحة.

شرح مصطفى بن بولعيد في التحضير للثورة منذ توليه مسؤولية المنظمة الخاصة في عام 1947 بمنطقة الأوراس، وهذه المنظمة أنشأها حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية لتنظيم عسكري له مهمتها التحضير للثورة بجمع الأسلحة والمؤن وتدريب المجاهدين. فجلب بن بولعيد أسلحة كثيرة من الصحراء الليبية التي كانت مسرحا لمعارك كبيرة أثناء الحرب العالمية الثانية، وأنشأ الكثير من الخلايا العسكرية السرية داخل المساجد فكان كل عضو فيها يقسم على القرآن بأنه لا يراجع إلى الوراء ولا يكشف سرا حتى السمات.

وفي عام 1950 اكتشف البوليس الاستعماري سر المنظمة الخاصة، فألقي القبض على الكثير من أعضائها. أما منطقة الأوراس فقد نجحت من حملة الاعتقالات الحنكة ودعاه بن بولعيد والتنظيم السري الحكم الذي وضعه فحافظ بن بولعيد بذلك على مناضلي المنظمة الخاصة والأسلحة التي أجاد إخفائها في منطقة الأوراس وأكثر من ذلك عمد إلى إخفاء الممارين عن السلطات الاستعمارية من مطنى القبائل والشمال القسنطيني، بتوزيعهم على مختلف مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في المنطقة لإخفائهم.

وقام بن بولعيد بتجميد نشاط المنظمة الخاصة في منطقة الأوراس خوفا من أن تكتشفها السلطات الاستعمارية التي شرعت في التحقيق والقمع بهدف إيجاد خيط يوصلها إلى التنظيم فتفككه لكنها عجزت في كل ذلك لصمود أبناء المنطقة والسرية المحكمة التي أحاط بها بن بولعيد هذا التنظيم العسكري، فبقي سليما ينتظر أعضاؤه ساعة اندلاع الثورة المسلحة فينقضون على الاستعمار. وبعد فوات الخطر عاد بن بولعيد إلى تحريك التنظيم من جديد بالتدريب وجمع السلاح وصناعة المتفجرات تحسبا لليوم الموعود.

وفي يوم من الأيام حدث ما لم يكن في الحسبان إذ انفجرت بعض القنابل في أحد المخازن
والتفتت الشرطة لذلك فوجدت بن بولعيد وإخوانه من المجاهدين للاعتصام بالجبل. وكادت السلطات
الاستعمارية تقضي على المجاهدين بالمنطقة قبل تفجير الثورة لولا لجوء أحد المناضلين إلى رشوة
محافظ الشرطة الذي اكتشف الانقباض وشرع في التحقيق فأعطاه قليلا من المال مقابل سكوته فقبل
بذلك فأخذ عمليات التفتيش للثورة في الأوراس. وتذكرنا هذه العملية بما كان يقوم به البطل
الألماني يوغرطة ابن الأوراس في السطحي القديم مع القاعة الرومانيين إذ كان يحاربهم عندما
استعمروا بلاد الجزائر فكانوا يرشدهم مقابل معلومات مهمة أو خيانة يقومون بها، مما جعل يوغرطة يقول
إن روما (عاصمة الرومان) معروضة للبيع فمن يشتريها إشارة منه إلى انتشار الرشوة لدى أعدائنا
وبأنهم مستعدون لبيع عاصمة بلادهم روما مقابل دراهمات قليلة، فهل كرر بن بولعيد وإخوانه
المجاهدون مع محافظ الشرطة ما كان يفعله جدهم يوغرطة مع القاعة الرومان ؟

كان بن بولعيد يؤمن بأن الشرط الأساسي لانجاح الثورة وطرد الاستعمار هو توحيد الشعب
الجزائري بالقضاء على العروضية والقبلية والجهوية التي كان الاستعمار يغذيها حتى يبقى الشعب
الجزائري مفككا يتقاتل فيما بينه ويوجه سلاحه ضد إخوانه بذلك توجيهه ضد المستعمر القاشم.

ولحق بن بولعيد في تحقيق ذلك في منطقة الأوراس عندما استطاع بفضل سمعته وصدقه وتقواه
وأخلاقه إطفاء نار الفتنة التي كان الاستعمار يشعلها دائما بين عرش التوابة الذي ينتمي إليه بن بولعيد
وعرش بني بوسليمان فاستطاع بن بولعيد الجمع والإصلاح بينهما عام 1952 بقرية الحجاج، بعدما
كشف لهم مؤامرات الاستعمار ضدهم جميعا فأجمع الجميع على أن لا ولاء لهم إلا للدين والوطن.

ومنذ ذلك اليوم أصبح هذان العرشان الكبيران والأعراس الصغيرة الأخرى عرشا واحدا يُدعى
بـ عرش الثورة، وقد لقن جميعهم الاستعمار دروسا في التضحية والاستشهاد والوحدة فمزجت الثورة
دماءهم كما مزجت بين دماء الجزائريين دون أي اعتبار للجهة أو القبيلة أو العرش أو العرق.

في عام 1953 وقع حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في أزمة حادة وعميقة كادت أن تنهي على كل التضاللات ضد الاستعمار الذي كان يُغذي هذه الصراعات والخلافات والنزاعات عملاً سياسة افترق تسده. وأمام هذه الأخطار المحدقة بالوطن والشعب عمدت قلة من المناضلين ومنهم مصطفى بن بولعيد إلى الوقوف على الحيد ثم محاولة الإصلاح بين الطرفين المتصارعين الممثلين في المراكزين والمصاليين، فأسست هذه القلة «اللجنة الثورية للوحدة والعمل» هدفها إعادة توحيد الحزب ثم الانتقال مباشرة إلى العمل الثوري المسلح ضد الاستعمار.

وبعدما بدأت محاولة هؤلاء المناضلين بالفشل لم يبق أمامهم إلا إشعال نار الثورة بأقصى سرعة يمكنه لإنقاذ الموقف، فاجتمع 22 منهم بالعاصمة للتباحث في موضوع الثورة برئاسة بن بولعيد، وانبثقت عن هذا الاجتماع لجنة مكونة من خمسة أعضاء وهم مصطفى بن بولعيد، ومحمد بوضياف، والعربي بن مهيدي، وديدوش مراد ورابع بيطاط، وكُلِّفوا بالتحضير للثورة المسلحة، واستطاع بن بولعيد ضم كريم بلقاسم من منطقة القبائل إلى اللجنة، فأصبحت تتكون من ستة أعضاء تمثل كل مناطق البلاد فشرعت في العمل.

كثف بن بولعيد تنقلاته بين الأوراس والعاصمة ومناطق أخرى من البلاد فكان يحضر الاجتماعات في العاصمة ثم ينتقل إلى الأوراس لتحضير الثورة هناك وكان يقوم بذلك كل مسؤول منطقة من أعضاء اللجنة، وهم بن مهيدي في منطقة الغرب، ورابع بيطاط في الوسط، وكريم بلقاسم في منطقة القبائل وديدوش مراد في الشمال القسنطيني، أما بوضياف فكان ينسق بين كل هؤلاء القلة.

ولضمان نجاح اندلاع الثورة في الأوراس شكل بن بولعيد ثلاث لجان عمل وكل لجنة مكلفة مهمة معينة، فالأولى مكلفة بمعرفة مدى استعداد الشعب للثورة والثانية تقوم باستكشاف جبل الأوراس ومعرفة كل السمغارات والمناطق المحصنة، أما المجموعة الثالثة فكلفت بإحصاء أسلحة المواطنين خاصة وأن بن بولعيد كان يشجع السكان منذ فترة طويلة على شراء الأسلحة وبنالحق الصيد تحسباً للثورة

المسلحة وبالإضافة إلى كل هذا كثف بن بولعيد من تدريب المجاهدين على استعمال السلاح وحرب العصابات ومراقبة الجيوش الاستعمارية ليلاً.

وقد تبرع بن بولعيد بأمواله كلها للثورة لشراء الأسلحة والمؤن والإمكانات الضرورية لهذا فكان ينقل بنفسه الأسلحة على شاحناته من الأوراس إلى المناطق الأخرى من الوطن، فنقلها إلى الشمل القسطنطيني وأوصل نسبة منها إلى جبال جرجرة وبالضبط مدينة ذراع السميران التي تبعد ثمان الكيلومترات عن الأوراس.

اندلعت الثورة المسلحة في ليلة أول نوفمبر من عام 1954 بتنفيذ عمليات عسكرية ضد العدو الاستعماري في الوقت نفسه على التراب الوطني كله كدليل على أن الثورة تشمل كل الجزائر في منطقة الأوراس فقد قسم مصطفى بن بولعيد المجاهدين هناك إلى 25 فوجاً وكل فوج مكلف بعملية محددة وقد نجحت أغلب هذه العمليات التي كبدت الاستعمار أفدح الخسائر، فهاج هذا الأخير بشكل عنيف ضد المنطقة لأنها هي التي عرفت أكبر العمليات بسبب وفرة السلاح وقوة المجاهدين، فحاصر الجيش الاستعماري المنطقة لعدة شهور معتقداً أنها هي القلب النابض للثورة ويأتي القضاء على المجاهدين فيها سيسمح بالقضاء على الثورة في كل البلاد لكن هل يستطيع الاستعمار القضاء على رجل مغاوير يلاهم الإيمان القوي بالدين والوطن أملهم الاستشهاد في سبيل الله ويقودهم رجل مثل مصطفى بن بولعيد ومحصنون بجبال الأوراس الشائخة ويحتضنهم شعب كله إيماناً بالثورة قاوم الغزاة منذ الأزل فأجدانه قاوموا الرومان والبيزنطيين والوندال في الماضي العريق يقاومون الاستعمار الفرنسي الغاشم ورغم الحصار والحقن المضروبين على الثوار في منطقة الأوراس إلا أن تفكير بن بولعيد كان مركزاً على كيفية جلب السلاح من الخارج ثم إيصاله إلى مختلف مناطق الوطن لإبقاء نار الثورة ممتلئة ومشتعلة.

فكر بن بولعيد في أمر جلب السلاح، فرأى أن لا حل له إلا السفامرة والذهاب إلى الصحراء اللبية لجلبها عن طريق الولد الخارجي الذي كُلف بذلك. فأخبر المجاهدين بما استقر عليه رأيه.

حاول هؤلاء المجاهدون إقناعه بالعدول عن ذلك خوفاً من إلقاء القبض عليه لأن المنطقة محاصرة لكنه
رفض ذلكم الآن بن بولعيد، لقد ضربت الثورة اليوم بجلودها في أعماق تربة خصبة فلا تخافوا
عليها.

فلتتر بن بولعيد مجموعة من المجاهدين لمرافقته في الرحلة، فاخترق الحصار ووصل إلى تونس التي
كانت تحت الاستعمار الفرنسي لينطلق عبرها إلى ليبيا. لكنه أُلقي عليه القبض على الحدود التونسية -
الليبية، بعد الوشاية به، إلا أنه استطاع الإفلات من قبضة البوليس الاستعماري، ليُلقي عليه القبض مرة
ثانية بعد بضعة أيام عندما تم في الصحراء في 12 فيفري من عام 1955.

فرح الاستعمار الفرنسي بإلقاء القبض على أحد أبطال الثورة وقادتها العظام، فانتشر النبا
كالبريق، وحاولت السلطات الاستعمارية استغلال ذلك لتحطيم معنويات المجاهدين، فألقت بواسطة
الطائرات، وفي مختلف المناطق الجزائرية صوراً للبطل بن بولعيد وهو مكبلاً بالأغلال تحت حراسة الجنود
الفرنسيين.

وبقي البطل مصطفى بن بولعيد سبعة عشر يوماً تحت التعذيب ولم تستطع آلة التعذيب
والاستطلاع الاستعمارية أن تفتك منه ولو سراً واحداً من أسرار الثورة مما جعل معذبه يقولون عنه فيما
بعد إنه رجل مؤمن بالثورة وإن حافزه الأساسي في الدفاع عن شعبه هو كرهه للجور والظلم، إنه لن
يلين وسيقاتل إلى آخر رمق دفاعاً عن شعبه ووطنه. وحكمت عليه المحكمة الاستعمارية بالإعدام
فنقل إلى سجن الكدية رهيب بقسنطينة.

وُضع البطل مصطفى بن بولعيد مع ثلاثين من المجاهدين المحكوم عليهم بالإعدام في
الغرفة الثامنة بسجن الكدية التي تعرف أيضاً بالغرفة المدرعة بسبب تحصينها الجيد ومن الصدف أن
هذه الغرفة قد بُنيت خصيصاً للشيخ الحداد الزعيم الديني لثورة المقراني في عام 1871.

لم يستسلم بن بولعيد لمصيره داخل السجن ينتظر تنفيذ حكم الإعدام فيه، بل عمل على تنظيم المجاهدين بداخله فكان يلقي عليهم دروسا في الدين والوطنية والتاريخ ويؤمهم في مختلف الصلوات ويغرس فيهم روح الأمل وعدم اليأس. وأكثر من هذا طلب منهم التفكير والتخطيط لتنظيم عملية فرار من السجن رغم اتفاق الجميع على استحالة تحقيق ذلك بسبب الحراسة المشددة والنحصرين الجيد للسجن وإحاطته بشككات للشرطة والدرك والجيش. لكن بن بولعيد كان دائما يقول « كل حركة فيها بركة » حاولوا دائما حتى ولو كانت نسبة النجاح ضئيلة جدًا « فهكذا تربى بن بولعيد الذي لم يكن ييأس أبدا ولم يكن يعرف كلمة «مستحيل» وبأن الإنسان قادر على صنع المعجزات وكيف يدخل اليأس قلبا مثل قلب هذا الرجل وهو الذي كان يقرأ دائما في القرآن الكريم قوله تعالى « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ».

وتحرى بن بولعيد حول السجن والغرفة المدرعة فعلم أن هناك مخزنا بجانب هذه الغرفة فوضع مع المجاهدين خطة للهروب، فشرعوا في الحفر بواسطة الملاعق لمدة شهر ليصلوا إلى هذا المخزن ومنه هربوا ليلا وفق خطة محكمة سمحت لهم بلجتياز كل العراقيل والحواجز.

وانتشر خبر فرار بن بولعيد من السجن كالبرق مثل خبر أسره. فحاصر الجيش الفرنسي كل الطرق لإلقاء القبض عليه، لكنه فشل في ذلك لأن الفارين كانوا يطبقون التعليمات التي أعطاهم إياها بن بولعيد قبل الفرار فتجنبوا الجبال، وتسللوا عبر الشعاب والسهول، لا تحاولوا الاتصال بأي مواطن حذر علب السجائر والسردين التي قد تعثرون عليها في طريقكم فقد تكون ملقمة، سبروا قنابلاتي الجداول لتقطعوا آثاركم وتزودوا بقليل من السكر والشمعة، فالسكر لتجديد بعض الطاقة والشمعة لتضيئ الكلاب المدربة التي سيستعملها الجيش الاستعماري للبحث عنكم.

وانتج كل واحد من الفارين إلى منطقته، أما بن بولعيد فدخل دشرة ايلال العون بالأوراس في ديسمبر 1955 ليتنحى بالمجاهدين بمنطقة الأوراس مرة أخرى، وليقودهم في معارك أخرى ضد الجيش

الاستعماري ففرح به كثيراً إخوانه المجاهدون مثلما فرح هو أيضاً كثيراً بما بلغت الثورة من تنظيم
والما حققته من اتصالات ودعم شعبي كبير هذا

فرح مصطفى بن بولعيد كثيراً عندما حملت له مجموعة من المجاهدين جهاز اتصال لاسلكي
وحدثه في الغابة فذهب تفكير البطل بن بولعيد بعيداً وكأنه وجد الحل لمشكلة الاتصالات التي
تعاني منها الثورة فقلد لإخوانه المجاهدين إن هذا الجهاز يمكننا من الاتصال بكل المناطق شرط أن
يكون فيها جهاز اتصال آخر مثل هذا. فالتح على الإسراع في تشغيله فزاد فرحه عندما وجد الطرقات
الملائمة له إذ لم يبق إلا تشغيل الجهاز، لكنه بمجرد أن ضغط على الزر انفجر الجهاز في وجه بن
بولعيد فاستشهد مع آخرين من إخوانه المجاهدين.

فتبين فيما بعد أن الجهاز المرمي في الغابة كان ملغماً وهو فخ وضعه الاستعمار يستهدف
تصفية بن بولعيد قائد منطقة الأوراس نظراً لرسالته وحنكته وذكائه وحكمته فبذلك الفخ استشهد
شيخ المجاهدين مصطفى بن بولعيد يوم 22 مارس 1956 أسكنه الله فسيح جناته ورحمه برحمته

ويقول المجاهد الحاج لحضر عن الشهيد مصطفى بن بولعيد الذي رافقه طوال حياته بأنه
«حظت الثورة وهي نطفة فرعاها حتى أصبحت شاباً يافعاً بالحياة والنشاط في كل مناطق الحياة فهو
المسؤول بالملء وهو المدرب في مجمل السلاح، وهو الموجه في ميدان التكوين، وهو المحفز للهمم
الباعث للحياة والنشاط في كل التجمعات واللقاءات حتى كنت أنظر إلى الرجل على أنه من الرعيل
الأول الذين تشبعوا بالقيم الإسلامية النبيلة.

العربي بن مهدي

ولد محمد العربي بن مهدي في عام 1923، بدوار الكواهي، بعين مليلة، من أبوين شليبي
الدين والإيمان بالوطنية ورثا ابنيهما محمد العربي ذلك، فأبوه يُدعى مسعود وأمه عائشة قاضي. تلقى بن
مهدي في صغره تربية دينية في زاوية دوار الكواهي أكسبته أخلاقا عالية والتزاما صارما بواجباته الدينية
مثلما حفظ القرآن الكريم وهو صغير، فتعلم منه أنه لا يمكن تغيير أوضاع أمتة المزرية إلا بالتزام
بالآية القرآنية التي تقول ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾. وكان كثيرا ما يردد هذه
الآية طوال حياته.

وعندما بلغ سن السادسة من عمره دخل المدرسة الفرنسية بباتنة فتشبع بالروح الوطنية والحقد
على الاستعمار لما لاحظته من تمييز عنصري تجاه التلاميذ المسلمين الجزائريين، وتغيب وتزييف تاريخ
وجغرافية وطنه الجزائر في البرنامج الدراسي. تحصل بن مهدي على شهادة التعليم الابتدائي لكن
ظروف عائلته والعراقيل الاستعمارية منعتة من مواصلة الدراسة.

تلقى بن مهدي دروسا في اللغة العربية والدين والوطنية على يدي الشيخ محمد العابد سماتي
الجيلالي في المدرسة الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ببسكرة، فازداد وطنية وتعلفا
بنهضة العالم الإسلامي. فكان حلمه هو تحريره من الاستعمار واستعادة أمجاد الحضارة الإسلامية في
الأندلس. وكان يسرّ بكل نهضة أو ثورة يقوم بها شعب من شعوب العالم الإسلامي ضد الاستعمار
والتخلف والجهل.

وقد انضم العربي بن مهدي في شبابه إلى فوج الرجاء للكشافة الإسلامية الجزائرية ببسكرة
التي كانت تعتبر بمثابة مدرسة لغرس روح الوطنية والمثل الأخلاقية الإسلامية في الشباب الجزائري
وكان من مرشدي هذا الفوج علي مرحوم وأستاذته محمد العابد سماتي الجيلالي.

إن التربية الوطنية والإسلامية التي تلقاها بن مهدي في صغره صنعت منه رجلاً ذا أخلاق عالية جداً يحب وطنه ودينه إلى درجة التضحية والاستشهاد في سبيلهما. وكان يحب الحق والعدالة، فقد كتب مقالاً أثناء الثورة المسلحة يتحدث فيه عن أهداف الثورة وعلى رأسها تحقيق العدالة الاجتماعية وخلعة المحرومين والمضطهدين. وكان يستلهم كل ذلك من عدالة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري وغيرهم، مثلما تأثر بجهاد خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وحمة بن عبد المطلب والأمير عبد القادر... وغيرهم من المجاهدين والشهداء الأبرار.

إن التربية الوطنية والدينية الصحيحة لابن مهدي جعلته يعرف أن الإنسان يتكون من روح وجسد ومشاعر وعقل، ولهذا فلم يهمل أي جانب من هذه الجوانب : كان ملتزماً بواجباته الدينية والوطنية، إلا أن هذا لم يمنعه من حب الفن، فكان يهوى أغاني المطربة فضيلة الجزائرية، وكان يحب الموسيقى خاصة الأندلسية منها مما جعله عطوفاً حنوناً، وكان يكثر من مشاهدة الأفلام ولا سيما الأفلام الحربية والثورية كالفيلم الذي يدور محتواه حول الثائر المكسيكي زاباتا (Zapata) فلتخذ هذا الاسم كلقب سري له قبل اندلاع الثورة، مثلما كان يلقب أيضاً بالعربي البسكري والحكيم. وكان حب بن مهدي للسينما هو إدراك منه لأهميتها في المستقبل وكأنه كان يعلم بأن من يسيطر عليها يسمح له بنشر أفكاره وقيمه الحضارية والدينية مثلما تفعل أوروبا وأمريكا اليوم.

وكان بن مهدي يهوى المسرح والتمثيل، فقد مثل في مسرحية « في سبيل التاج » التي ترجمها إلى العربية الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي وكانت مسرحية مقتبسة بطابع جزائري يستهدف المقتبس من خلالها نشر الفكرة الوطنية والجهاد ضد الاستعمار. وقد منع الاستعمار الفرنسي تمثيل هذه المسرحية لما كان لها من تأثير كبير في نشر الوعي الوطني والثوري.

وكان بن مهدي لاعباً في كرة القدم فكان أحد المدافعين الأساسيين في فريق الاتحاد الرياضي الإسلامي لبيسكرة الذي أنشأته الحركة الوطنية كوسيلة لتربية الشباب على روح الوطنية ونشر الوعي

الوطني بواسطتها في صفوف الشعب. فقد لعب هذا الفريق إلى جانب فرق أخرى دورا كبيرا في ذلك ويمكن ذكر مولودية الجزائر، وترجي قالحة ومولودية قسنطينة... وغيرها من النواحي.

وبهذا نلاحظ أن بن مهيدي الذي هام بحب الوطن والدين كان يستعمل كل الأساليب العصرية والحديثة لحدة الوطن، ويمكن لنا القول أنه رمز الرجل الذي يحب وطنه ويلتزم بمبادئ دينه ويعيش عصره وينظر إلى المستقبل ويفكر في كيفية بنائه.

وقد كتب عنه أحد العارفين به في عدد 20 أوت 1957 من جريدة المجاهد التي تتحدث باسم الثورة آنذاك يقول أنه «شاب مؤمن، بَرّ، تقي، مخلص لدينه ولوطنه، بعيد عن كل ما يشينه - ككلام من أقطاب الوطنية، ويمتاز بصفات إنسانية قليلة الوجود في شباب العصر، فهو من المستثنين الذين لا يتأخرون عن أداء واجباتهم الدينية. ولا يشهدون مشهدا بمس المروعة أو يقف موقفا مريه إنه لا يفكر في شيء أكثر مما يفكر في مصير بلاده الجزائر، له روح قوية في التنظيم وحسن المعاملة مع الخلق ترفعه إلى درجة «الرعاة الممتازين». هذا بن مهيدي الذي دوّخ الاستعمار الفرنسي بجبهاته مما جعل أحد الضباط العسكريين الاستعماريين وهو الكولونيل بيجار يقول عنه «لو أملك عشرة رجال مثل بن مهيدي لفتح العالم كله».

الخروج العربي بن مهيدي في العشرين من عمره في حزب الشعب الجزائري بزعامة مصالي الحاج، الذي كان يطالب علانية باستقلال الجزائر عن فرنسا، وأصبح عضوا نشيطا ببسكرة في هذا الحزب، وأظهر براعة وقدرة فائقة على النضال ضمن أحباب البيان والحرية الذي ظهر عام 1944، وهو عبارة عن تنظيم يجمع كل الأحزاب السياسية الوطنية آنذاك.

قاد بن مهيدي مظاهرات شعبية ببسكرة يوم 8 ماي 1945، فألقت السلطات الاستعمارية القبض عليه، وبقي في السجن تحت التعذيب حوالي شهر كامل. وعندما أطلق سراحه تأكد مثل الكثير من الجزائريين أن الاستعمار لا يفهم إلا لغة السلاح، ويعود ذلك إلى المجازر التي ارتكبها في حق

الشعب الجزائري الذي خرج في مظاهرات عارمة يوم 8 ماي 1945 يطالب فرنسا بتنفيذ وعودها وإعطائه الاستقلال مقابل مساعدتها في الحرب ضد ألمانيا النازية، لكن للأسف ضحية ألمانيا النازية تحولت إلى جلاء للشعب الجزائري.

في هذه الظروف اقتنعت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية التي أخذت مكان حزب الشعب الجزائري الذي حلته السلطات الاستعمارية، بأن لا خلاص من الاستعمار إلا بالكفاح المسلح، تأسست المنظمة الخاصة في عام 1947 وهي عبارة عن جهاز عسكري تابع للحزب مهمته التحضير للثورة المسلحة بالتدريب العسكري للمناضلين وجمع الأسلحة والمؤونة والأدوية. وكان أول مسؤول لهذا التنظيم هو الشاب محمد بلوزداد.

وكان بن مهيدي عضواً بارزاً في المنظمة الخاصة وأحد مسؤوليها في الجنوب الشرقي الجزائري، وفي عام 1950 اكتشفت السلطات الاستعمارية هذه المنظمة التي كانت في متهى السرية، فألقت القبض على الكثير من أعضائها وهرب آخرون ودخلوا السرية، ومن بينهم بطلنا بن مهيدي الذي غادر الشرق الجزائري إلى العاصمة ليختفي في منزل عيسى كشيدة وهو أحد مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، في الوقت الذي حكمت عليه السلطات الاستعمارية غيابياً بـ 10 سنوات سجناً مع منعه من حقوقه السياسية والمدنية.

وبقي أربع سنوات بعيداً عن أعين المخابرات الاستعمارية والبوليس، وفي هذه الفترة كان كثير المطالعة، حيث قرأ العديد من الكتب عن تاريخ الثورات ومنها ثورة الهند الصينية، فقلان بين أوضاع وظروف بلدان هذه الثورات وأوضاع بلاده الجزائر، ويمكن لنا القول إن بن مهيدي أخضع كل شيء لخدمة وطنه ومنه دراسته للتاريخ خاصة لأنه هو الذي ينير الطريق ويجنبنا الأخطاء ويعلمنا طرق وأساليب العمل السياسي والثوري.

في عام 1953 نشبت أزمة داخل حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الذي كان من مهيدي بن مهيدي. لكن هذا الأخير وقف على الحياد بين الطرفين المتصارعين وهما أنصار زعيم الحزب مصالي الحاج الذي أراد احتكار القرار داخل الحزب وأنصار اللجنة المركزية الذين أرادوا تجديد صلاحيات مصالي الحاج. وبعبارة أخرى كانوا يرغبون في ديمقراطية أكثر داخل الحزب.

لكن بن مهيدي وزملاءه القدامى في المنظمة الخاصة كانوا يرفضون هذه النقاشات السياسية العقيمة في نظرهم. وهذا لا يعني أنهم ضد إعطاء ديمقراطية كبيرة داخل الحزب. بل لأنهم كانوا يرون أن الحزب وسيلة لنشر الفكرة الوطنية وإشعل الثورة المسلحة ضد الاستعمار، فأسسوا في عام 1954 اللجنة الثورية للوحدة والعمل بهدف جمع شمل الحزب وتوجيهه ضد الاستعمار.

وعندما لم يجدوا أفانا صاغية لدى المتصارعين اضطروا إلى التفكير في إشعل فتيل الثورة وكان على رأس هؤلاء البطل بن مهيدي. وفي جوان 1954 اجتمع 22 عضواً بارزاً في المنظمة الخاصة بهدف التفكير في كيفية إشعل الثورة ضد الإستعمار.

فكان من أبرز الحاضرين بن مهيدي الذي قل يوم ذاك قوله المشهورة «ارموا بالثورة إلى الشارع تحتضنها الشعب» وذلك رداً على الذين كانوا يخشون من فشل الثورة. فكان بن مهيدي شديد الإيماء بروعي الشعب وقنوته على التنظيم والمواجهة، فيكفيه فقط من يعلن الثورة، وكان محققاً في ذلك.

وانبثقت عن اجتماع 22 لجنة مكلفة بتحضير الثورة تضم 5 مناضلين من بينهم بن مهيدي بالإضافة إلى محمد بوضياف ومصطفى بن بولعيد وديدوش مراد ورابح بيطاط لينضم إليهم فيما بعد كريم بلقاسم عن منطقة القبائل. فشرع هؤلاء الأبطال في العمل وتحضير الظروف لإنجاح اندلاع العمل الثوري المسلح، فاتفقوا على تأريخ ليلة أول نوفمبر 1954 لاندلاع الثورة وتأسيس تنظيم سياسي أطلق عليه جبهة التحرير الوطني له جناح عسكري أطلق عليه جيش التحرير الوطني، وكُلف كل قائد بمنطقة معينة. فابن مهيدي كُلف بمنطقة وهران والغرب الجزائري، وبين بولعيد بالأوراس، وكريم

بلفاسم بمنطقة القبائل، ورايح ببطاط بمنطقة الجزائر والوسط، وديدوش مراد بالشمال القسنطيني. أما محمد بوضياف فعُيِّنَ منسقاً بين المناطق الخمس. فافترق الستة على اللقاء بإسراع كل قائد صوت منطقته للعالم من خلال عمليات مسلحة ليلة أول نوفمبر في نفس التوقيت.

استقبل مجاهدو الغرب الجزائري العربي بن مهيدي العسكري بترحاب كبير دون أي اعتبار للجهوية مثلما رحب مجاهدو الشرق الجزائري بديدوش مراد العاصمي، فلم يكن أي اعتبار آخر للعلاقات بين مناضلي القضية الوطنية إلا اعتبارات الإخلاص والكفاءة والعمل والأخلاق. وكانت تحت قيادة بن مهيدي في منطقة الغرب شخصيات كبيرة مثله تركت بصماتها في تاريخ الجزائر ومنها الرئيس الراحل هواري بومدين والشهيدان أحمد زبانة الذي أعدمه الإستعمار وعبد المالك رمضان الذي استشهد في الأيام الأولى للثورة.

ورغم قلة السلاح بمنطقة الغرب الجزائري بسبب ضياع الكثير منه بعد زلزال الشلف في أكتوبر 1954 أي عشية الثورة، إلا أن بن مهيدي أصرَّ على تنفيذ عدة عمليات عسكرية ناجحة كي لا يقل إن الثورة لم تشمل منطقة الغرب الجزائري.

أبرز بن مهيدي وإخوانه المجاهدون في منطقة الغرب الجزائري قدرات عالية رغم كل المضاعف، مما أقل بن مهيدي لرئاسة مؤتمر الصومام عام 1956 بهدف تنظيم وهيكلية الثورة سياسيا وعسكريا ولعب دوراً كبيراً في تحضيره إلى جانب عبان رمضان. وكل هذا يعود إلى إيمانه وإخلاصه وكفائه وأفكاره النيرة فأصبح يلقبه زملاؤه المجاهدون بـ «صندوق الأفكار». وكل هذا اكتسبه من مطالعته العديدة وخبرته في النضال.

وعين البطل بن مهيدي أثناء مؤتمر الصومام عضواً في لجنة التنسيق والتنفيذ التي تمثل القليلة العليا والمركزية للثورة، وكان إلى جانبه في اللجنة عبان رمضان وبن يوسف بن خدة وسعد دحلب وكريم بلفاسم. وكانت مهمة بن مهيدي في اللجنة التكفل بالأعمال الفدائية في المدن، وبموجب ذلك

لعب دوراً كبيراً أثناء معركة الجزائر التي برز فيها إلى جانبه علي لا بوانت ويوسف سعدي وحسية بن
بو علي ... وغيرهم من الذين ضحوا بالنفس والنفيس من أجل تحرير الجزائر.

اتفقت لجنة التنسيق والتنفيذ على إعلان إضراب عام لمدة ثمانية أيام في بداية عام 1957
بهدف الإظهار للعالم أن الشعب الجزائري يريد الاستقلال ويقف إلى جانب الثورة وجيش وجهها
التحرير الوطنيين وذلك عشية انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة، وعرفت المرحلة من معرى
الجزائر استشهاد واعتقال الكثير من الأبطال وكان منهم العربي بن مهيدي الذي ألقى عليه القبض
المظليون الاستعماريون وهو يقود معركة الجزائر، ففرح الجيش الاستعماري بذلك لأنه ألقى القبض
على أخطر رجل على الاستعمار آنذاك. ففي ظل الزهو والافتخار أمام العالم أرادت أن تظهر هذا
الأسير للصحافة العالمية وبهدف تحطيم معنويات المجاهدين، لكن صورته التي ظلت تبسم محترمة
الاستعمار رفعت معنويات الثوار أكثر.

وعندما سأله أحد الصحفيين لم يضعون القنابل في القفف لتنفجر في وجه جيش الاستعمار
وأذنايه من المعمرين الذين يمتصون عرق الشعب الجزائري، أجابه بذكاء خارق للعلة قائلا «أعطونا
طائراتكم ومدافعكم نعطيكم قففنا» إشارة منه إلى استعمال الاستعمار لأبشع الأسلحة من قنابل
ونابالم ضد الشعب الأعزل. وختم قوله للفرنسيين الاستعماريين «إنكم ستنهزمون، لأنكم لم تعلموا
تؤمنون بشيء... إنكم تمثلون الماضي... أما نحن فنمثل المستقبل... لئن مت فإن هناك آلاف الجزائريين
سيأتون بعني لمواصلة الكفاح من أجل عقيدتنا ووطننا». فكان بن مهيدي محقا في ذلك فتحررت
الجزائر بعد أن أعطت مليوناً ونصف من الشهداء. أما بن مهيدي فقد عذب أشد العذاب لأنه العارف
بكل أسرار الثورة لكنه لم يبع ولو بكلمة واحدة. ومن أنواع العذاب الذي عرفه سلخ جلدة رأسه
كما وضعوا في فمه قضيباً من الحديد في أقصى درجات الإحمرار بالإضافة إلى عذاب تقشعر من هوله
الأبدان ولا يمكن أن يتصوره إنسان، لكن بقي بن مهيدي صامداً يشته في ذلك إيمانه الشديد بالله
والوطن حتى استشهد دون أن يقل شيئاً عن أسرار الثورة بل بقي شعلة صامدة تنير الطريق للأجيال

القلعة مما جعل يجار يتعجب لهذا الرجل فيقول «لو أملك عشرة رجال مثل بن مهدي لفتحت العالم»
ومكنا صعدت روح بن مهدي إلى الرفيق الأعلى، وهو من الشهداء الذين ضحوا بالنفس والنفيس
من أجل حرية الجزائر، فإن روح بن مهدي وإخوانه من الشهداء تطوف دائما حولنا وتنظر إلينا لترى
مما فعلنا بهذا الوطن الذي استشهدوا من أجله، فعلينا اليوم بالجهاد الأكبر المتمثل في البناء والتشييد
منحما قلوبنا لهم بالجهاد الأصغر من أجل تحرير الوطن، فنحقق ما كانوا يأملونه وهو الدولة الجزائرية
القوية والمتقدمة التي يسودها العدل والحرية ويقودها العلم والإيمان، وتكون في ركب الدول
المتقدمة

كريم بلقاسم

ولد كريم بلقاسم يوم 14 ديسمبر 1922 بقرية إيذرا لعيسى الجبلية التابعة لبلدية ذراع
الحيزان المحظلة، وهو من عائلة أثرية في المنطقة، كان أبوه حسين تاجراً كبيراً عينته فرنسا كعضو
للغاية والمقرض عليه منصب قائد لكنه رفض.

عندما بلغ الطفل كريم بلقاسم سن السادسة من عمره أدخله أبوه المدرسة الفرنسية فوجد
السجوة بالقصة السطى بالعاصمة، والمسلة اليوم مدرسة الإخوة الزيري، وكان يقيم عند أحوال
السائقين هناك فعرف أحياء العاصمة وهو صغير، ولاحظ الفرق بين المسلمين والأوربيين من ناحية
الثقافة والدين والثقافة ومستوى المعيشة، وأظهر الطفل بلقاسم ذكاءً حاداً يشوبه نوع من الثورية ضد
التمييز والظلم، وقد تألم كثيراً عندما طرده مدير المدرسة العنصري لأسباب وأهية تتمثل في غياب
ثلاثة أيام لأنه كان مريضاً، ورغم إلحاح أبيه وأقربائه إلا أن المدير رفض إعادته إلى المدرسة.

عاد الشاب كريم بلقاسم إلى قريته وهو يفوق سكانها لما حازه من تعليم قليل، وتمكن أبوه الذي
كان يحظى بالامتياز لدى الإدارة الاستعمارية إيجاد عمل له ككاتب ببلدية ذراع الحيزان عام 1940 وهو
منصب كبير بالنسبة للجزائري آنذاك، فأراد كريم بلقاسم بكل ما أوتي من قوة خلعة المواطنين الذين
كانوا يقطعون مسافات طويلة للحصول على الوثائق، وعادة ما يكررون ذلك أياها للحصول على وثيقة
بسيطة.

ولاحظ الشاب كريم بلقاسم أن مسؤوله في البلدية كان يأمره بالتقشف في استعمال
الوثائق ويرفض منه بالمزيد منها، وهذا كان يضع الشاب في موضع حرج أمام سكان البلدية وعندما
يشكو السكان يتدخل المسؤول الاستعماري ليُلقي اللوم على الشاب كريم بلقاسم، ففكر بذلك أن
للاستعمار أساليب دنيئة يستهدف بها ضرب الجزائريين بعضهم ببعض وإظهار نفسه بأنه لطيف كريم

مع الشعب فنار في وجه المسؤول الاستعماري رافضا العمل، وفضل التضحية بوظيفته رغم إصرار أبيه وقريبه القايد سليمان دهمون على إقناعه بالعدول عن ذلك.

وفي عام 1942 أوجد له أبوه مقعدا في ورشات للشباب وهي عبارة عن مراكز للتكوين المهني والتحق بأحدها بالشلف وبعد مدة من الدراسة والتكوين تخرج بمهنة محاسب، وفي عام 1943 استدعي لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية ليقتضي فيها مدة سنتين ولم يكد يسرح منها حتى تحول إلى رجل يتميز بالتفكير الشديد والالتزام بواجباته الدينية، ويحدث شباب القرية عن الفرق بينهم وبين المعمرين المسيحيين الغرباء الذين احتلوا أرضهم. وتعود أسباب هذا التحول إلى لقائه في عام 1941 بسي موح سي بلقاسم معلم القرآن في المنطقة، الذي تعلم منه مبادئ الدين الإسلامي، كما اطلع على صحف الحركة الوطنية ومنشورات حزب الشعب الجزائري الذي كان يدعو إلى الاستقلال.

ولم تكد الحرب العالمية الثانية تنتهي عام 1945 حتى تحول كريم بلقاسم إلى رجل امتزجت فيه الروح الوطنية والدينية اللتان كانتا وراء الثقلبات التي أحدثها هذا الرجل في محيطه. فجلب له عداة أبيه وبعض أقربائه الذين كانوا أصدقاء للإدارة الاستعمارية وعلى رأسهم القايد سليمان دهمون.

انخرط كريم بلقاسم في حزب الشعب الجزائري عام 1945 الذي كان يدعو إلى الاستقلال التام للجزائر عن فرنسا الذي غير اسمه إلى حركة الانتصار للحريات الديمقراطية منذ عام 1946، وعمل الشاب كريم بلقاسم ليلا ونهارا لنشر الفكرة الوطنية في منطقته، فكان محبوب الحقول والمقاهي ليحدث الشباب عن كرامة الإنسان والاستقلال، ويدعوهم إلى التخلص عن اللعب بالورق والدومينو والتخخين وشرب الخمر مبيئا لهم أن ذلك من أساليب الاستعمار لإبقاء الشعب نائما عديم الوعي ليسهل استغلاله واستعباده. فأيقظت هذه الكلمات البسيطة ضمير الشباب الذي أصبح يسمع ما يقوله كريم باهتمام كبير، فأقبلوا على الانخراط في الحزب الوطني، فنشأت خلايا كثيرة للحزب في المنطقة.

وعاج الاستعمار وعملاؤه لما كان يقوم به كريم بلقاسم من عمل وطني، فلي يوم من الأيام كان كريم بلقاسم في اجتماع يُحدث السناسلين عن مبادئ الحزب والوطنية والسياسة طرد الاستعمار الذي نهب خيرات البلاد فلما بقرية القائد سليمان دحون وحراسه يظهرون، فيزول القائد من فرسه ويخاطب كريم بلقاسم بقوله: «يا ابن عمي إنك تريد إلحاق الضرر بالدوار فكيف عما تقوم به لأن عيت وهليان، فإن كنت تعتقد بأن هؤلاء الجهلة سيساعدونك على طرد فرنسا كما يقول زعيمك مصالي الحاج، فإنك تخطئ فعليك أن تعلم أن هؤلاء ما هم إلا قطيع من الأغنام بقدرتي أن أفعل بهم ما أشاء». فرد كريم بلقاسم بغضب على الذي احتقر الشعب «إن هؤلاء الذين تحتقرهم وتستهين بهم شخص منهم رجالاً أحراراً وثواراً عظماء».

ووصل خير كريم بلقاسم إلى السلطات الاستعمارية بتييزي وزو، فاضطر أحد المسؤولين الاستعماريين للنزول إلى قرية تزرا عيسى والاتصال بالشاب بلقاسم الذي ثمرد على عائلته الصليبة للاستعمار ليقول له «اسمع يا كريم بلقاسم ابن صديقنا الحسين إن فرنسا دولة قوية، وبمكانها أن تعطي لك ما تريد وإن ما تقوم به ستندم عليه لأن هؤلاء الجهلة المسلمين لا يعرفون إلا التقاتل فيما بينهم». إلا أن الشاب الثائر أدرك أن هذه ما هي إلا حرب نفسية تقوم بها الإدارة الاستعمارية لإحباطه وطفه إلى الكف عن الاستمرارية في جهاده.

وبعد فشل كل محاولات الإغواء والترهيب التي استعملتها الإدارة الاستعمارية وعملياتها القليلة سليمان دحون مع كريم بلقاسم اضطرت إلى إلقاء القبض عليه وإخوانه المجاهدين، لينقلوا إلى سجن ذراع الميزان، فهاج السكان ضد ذلك وانتقلوا زرافات إلى المدينة متظاهرين ومطالبين بإطلاق سراحهم، فرضخت السلطات الاستعمارية لذلك خوفاً من تأزم الوضع وتأكد الاستعمار بأن الفكرة الوطنية التي كان ينشرها كريم بلقاسم قد أخذت بلب سكان المنطقة فما عليها إلا التصرف بحذر معهم دون أي استفزاز.

نظم كريم بلقاسم استقبالا ضخما لرؤس حزاب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية مصحالي
الحاج في منطقة ذراع الميزان في عام 1946 فوجدت الإدارة الاستعمارية في هذه الفعلة ذريعة
لمحاكمة كريم بلقاسم وإصدار الأحكام القاسية ضده بتهمة المساس بأمن وسلامة الدولة الفرنسية
وعندما أرسلت إليه الاستدعاء للمثول أمام القاضي جمع رفاقه وشاورهم في الأمر فتوصلوا إلى القرار
النصري والمثل في إشعل الثورة على الاستعمار والاتحاق بالجهل.

دخل كريم بلقاسم وخمسة من المجاهدين السرية في 20 مارس 1947، وكانت أول عملية
يقفونها هي القضاء على قريبه القايد سليمان دهمون الذي كان شديدا على سكان المنطقة فقتل كريم
لرفقه: «إن القضاء عليه سيكون درسا للخونة الآخرين الذين يتعاونون مع الكفار».

وفي صباح يوم 25 ديسمبر 1947 ترصد كريم بلقاسم وخمسة من رفاقه للقايد دهمون عند جسر
يعد بكيلومترين عن مدينة ذراع الميزان، كان يعبره القايد يوميا ليلتحق بمقر البلدية فعند مرور
سيارته أطلق المتمردون النار مركزين على السائق لأنهم يظنون أنه القايد دهمون ولسوء الحظ لم
يكن السائق الذي قُتل هو القايد الظالم بل شخصا آخر يُدعى محمد واعمر أما القايد دهمون فقد
أصيب بجروح خفيفة فقط.

ونقلت الصحف خبر محاولة اغتيال القايد سليمان دهمون، اعتقد كريم بلقاسم بأن الحزب
سيته على هذا العمل البطولي، إلا أنه خاب أمله عندما وبخته قيادة الحزب وأصدرت بيانا تندد فيه
بالعملية وتعجب كريم من الأمر فراوده الشك إلا أنه فهم فيما بعد بأن الثورة ليست عملا معزولاً
وعشوائياً ومتهوراً، فهي تستدعي التحضير والتخطيط المحكم واختيار الوقت المناسب فعلية أن لا
يصرف دون أوامر من الحزب، فوعد كريم بلقاسم القيادة بالانضباط والالتزام بعد اقتناعه

وفي هذه الظروف سمع كريم بلقاسم بإنشاء حزاب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية
للنظمة الخاصة التي هي عبارة عن تنظيم عسكري هدفها التحضير للثورة وجمع المؤن والأسلحة

وتدريب المناضلين ليكونوا على استعداد لليوم الموعود ففرح كريم بلقاسم بالخبر كثيراً وقد لرفقائه معامي القيادة تتخذ قراراً صحيحاً بدل إلقاء الخطب التي لا فائدة منها مما يدل على تشوق كريم للثورة المسلحة ضد الاستعمار، مما أهله لأن يصبح مسؤولاً على المنظمة الخاصة في منطقة تيزي وزو كلها.

أثار الاستعمار الفرنسي فتنة داخل حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بين البربر والعرب عملاً بسياسة «فرق تسد» فكادت أن تفجره من الداخل لولا وجود رجال عظام يعرفون مكائد الاستعمار وقرأوا في القرآن الكريم بأن «الفتنة أشد من القتل»، ومن هؤلاء الرجال نجد البطل كريم بلقاسم الذي قضى على هذه الفتنة في مهدها في منطقة القبائل، وكان يقول لأبناء المنطقة المجاهدين «إن هذا التقسيم لا يخدم قضيتنا لأنه من مكائد الاستعمار، ويمكن أن نصل إلى الثقاتل فيما بيننا نحن الجزائريين الذين نجاهد في سبيل الدين والوطن الواحد. فرقته قيادة الحزب إلى مسؤول له في منطقة القبائل كلها في عام 1951.

وقع حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في أزمة أخرى عام 1953 بسبب خلاف حاد بين زعيم الحزب مصالي الحاج وأعضاء اللجنة المركزية، فانقسم الحزب إلى مصاليين ومركزيين ووقف كريم بلقاسم في البداية إلى جانب مصالي الحاج لأن ممثليه كانوا أكثر إقناعاً له.

وفي تلك الظروف وقف بعض أعضاء الحزب على الحياد ومنهم بوضياف وابن بولعيد وغيرهما، فأنشأوا اللجنة الثورية للوحدة والعمل التي كانت تستهدف إعادة الوحدة للحزب ثم الانطلاق في العمل من جديد، إلا أن هذه اللجنة فشلت في مساعيها، ولم يبق لها إلا التفكير في إشعل الثورة المسلحة، فاجتمع 22 عضواً من المنظمة الخاصة في جوان 1954 وقرروا إشعل الثورة وفوضوا عملية التحضير إلى لجنة تتكون من خمسة أعضاء وهم ابن بولعيد ممثلاً عن الأوراس وديدوش مراد عن الشمال القسنطيني ورابع بيطاط عن العاصمة وما جاورها والعربي بن مهيدي عن الغرب

الجزائري وأما بوضيف فمُنسق للجنة، وطُرحت مشكلة ضم منطقة القبائل المؤيدة لمصالي الحاج إلى اللجنة

واتصل بن بولعيد بكريم بلقاسم فأقنعه بسداد رأي اللجنة الثورية، فعاد كريم بلقاسم إلى المجاهدين في منطقة القبائل لاستشارتهم وعرض الوضع عليهم بكل معطياته، فاقترح الجميع بالفكرة فكفوه بتتميل المنطقة في اللجنة التي تحضر الثورة. وأصبح كريم بلقاسم كثير التنقل بين منطقة القبائل والعاصمة يحضر للثورة كغيره من أعضاء اللجنة الستة، الذين حددوا ليلة أول نوفمبر كتاريخ اندلاع الثورة المسلحة في التراب الوطني كله.

في ليلة أول نوفمبر 1954 قُتل البطل كريم بلقاسم عدة عمليات عسكرية في منطقة القبائل، وكلف ثأليه عمر أو عمران بمساعدة رايح بيطاط في منطقة العاصمة وماجاورها، فأصاب الاستعمار الملع في الجزائر كلها فحاصر مختلف المناطق وخاصة منطقتي الأوراس والقبائل اللتين قمتا بأعنف وأكثر العمليات قُتل البطل كريم استرداد أنفاس المجاهدين فأمرهم بالذوبان في الطبيعة والكف عن القيام بأية عملية لمدة أسبوعين وانتظار رد فعل الاستعمار الفرنسي وتحجوب الشعب مع الثورة.

وبعد أسبوعين من اندلاع الثورة جمع كريم بلقاسم المجاهدين وكلفهم بالقيام بعدة عمليات استعراضية في عدة جهات من منطقة القبائل تستهدف رفع معنويات الشعب وإعلامه بأن الثورة ورائها رجل مخلصون شديداً بالإيمان بالوطنية والدين ولم يحملوا السلاح إلا للجهاد في سبيل الله والوطن والخط بذلك سكان منطقة القبائل في الثورة بعد أن علموا أن قائدها في المنطقة هو كريم بلقاسم المعروف بوطنيته وتدينه العميق.

بعد انتشار الثورة في أرجاء البلاد كلها، بدأ الاستعمار يفكر في طريقة لإجهاضها قبل أن تحرق كل ما له علاقة بفرنسا الاستعمارية، فاحتل الحاكم العام الفرنسي سوستيل بإيجاء من المخابرات الاستعمارية إلى عملية لاختراق المجاهدين في منطقة القبائل، فأطلق عليها بـ «عملية العصفور الأزرق».

وتقتضي إنشاء جيش من العملاء تحت غطاء أنهم مجاهدون فيقومون بتصفية المجاهدين الحقيقيين
وقادتهم ويشوهون سمعتهم بالخلق الأضرار بالشعب لينفروا عن الثورة.

كلف سوستيل أحد عملاء الاستعمار في منطقة القبائل ويدعى الطاهر أحشيش بالبحث عن
اشخاص جزائريين للقيام بهذه المهمة القذرة، فقام الطاهر بدوره بتكليف أحمد زيدات الذي كان
يعمل مع الثورة دون علم أحد حتى أقرب أقربائه، فأبلغ هذا الأخير قائد منطقة القبائل كريم بلقاسم
بما يخططه الاستعمار لضرب الثورة. ففكر كريم بلقاسم ملياً، فعاد بذاكرته إلى عشرات الكتب في
الجوسسة والجوسسة المضادة التي اطلع عليها منذ سنوات. فاهتدى إلى أنه بالإمكان الاستفادة كثيراً من
هذه العملية، فأمر أحمد زيدات بالقبول بما كلفه الطاهر أحشيش، فجمع له أكثر من 600 شخص كلهم
إيمان بالثورة والوطن لكنهم أخفوا ذلك عن الأنظار، فالتخطوا في هذا التنظيم السري الذي شكلته
المخابرات الاستعمارية بهدف ضرب الثورة والقضاء عليها في منطقة القبائل. ففرح سوستيل كثيراً
بهذا النجاح الذي حققه، فزود هذه العناصر بأسلحة حديثة وألبسة عسكرية وأموال ضخمة. وبعد مدة
التحقت هذه العناصر المنتشرة في كل المنطقة بالمجاهدين كما أمرهم البطل كريم بلقاسم علم
1956 وبذلك أفلح كريم بلقاسم المؤامرة الاستعمارية وحولها لصالح الثورة بفضل دهائه. فبعث
برسالة إلى سوستيل يسخر منه بقوله «شكراً لك السيد سوستيل على الأسلحة والأموال التي أرسلتها
لنه. فكلاد أن يحين الحاكم العام الفرنسي فأغمني عليه من شلة المفاجئة وهو الذي كان يعتقد أن عمله
نلجحة.

قررت قيادة الثورة في عام 1956 عقد مؤتمر لقيادتها، وكلف كريم بلقاسم باختيار المكان
الملائم والأمن للمشاركين فقام باختيار منطقة الصومام مكاناً لانهقاد المؤتمر دون أن يكتشف
الاستعمار ذلك، ولعب كريم بلقاسم دوراً كبيراً أثناء المؤتمر، فعين هذا المؤتمر الذي أصبح يُعرف
تاريخياً بمؤتمر الصومام كل من كريم بلقاسم وعبان رمضان والعربي بن مهيدي وابن يوسف بن خدة

وسعد دحلب أعضاء في لجنة التنسيق والتنفيذ التي تُعد السلطة العليا للثورة. فانتقل كريم بلقاسم مع هؤلاء إلى العاصمة وترك قيادة منطقة القبائل للمجاهد محمدي السعيد.

في نهاية عام 1956 قررت لجنة التنسيق والتنفيذ القيام بإضراب عام لمدة ثمانية أيام في الجزائر العاصمة والمدن الأخرى لإظهار للعالم بأن الشعب الجزائري مع الثورة ويدعم المجاهدين، فحقق الإضراب نجاحاً باهراً، مما دفع قوات المظليين الاستعمارية إلى ارتكاب أبشع الجرائم في حق الشعب الأحرل أمام أنظار العالم كله، فحاصرت العاصمة من كل الجهات فتم إلقاء القبض على العربي بن مهيدي أحد أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ.

وأمام هذا الوضع الخطير اجتمعت لجنة التنسيق والتنفيذ فقررت الخروج من العاصمة خوفاً من إلقاء القبض على كل أعضائها مما يعرض الثورة للخطر، فتم الاتفاق على أن يتجه كل من عبدان رمضان وسعد دحلب إلى المغرب الأقصى، ويتجه كل من كريم بلقاسم وابن يوسف بن خلة إلى تونس.

وفي مارس من عام 1957 وصل كريم بلقاسم ومرافقه بن يوسف ابن خلة ومعهما لخضر بن طربك مسؤول منطقة الشمال القسنطيني إلى تونس وأصبح كريم بلقاسم المسؤول العسكري الأعلى في الثورة واحتفظ بهذا المنصب عند إنشاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في سبتمبر من عام 1958 ليصبح في عام 1960 وزيراً للخارجية في نفس الحكومة، فزار عدة بلدان في العالم لشرح القضية الجزائرية وكسب الدعم المعنوي والمادي لها، فزار الصين الشعبية ومختلف البلدان العربية وخطب في هيئة الأمم المتحدة، وقابل الرئيس الروسي خروتشوف وغيره من كبار قادة وزعماء العالم آنذاك.

كلفت قيادة الثورة كريم بلقاسم في عام 1962 بقيادة الوفد المفاوض مع السلطات الفرنسية من أجل إيجاد حل للقضية الجزائرية، فأبرز كفاءة بارعة في التفاوض والدبلوماسية انبهر بها كبار الدبلوماسيين الفرنسيين الذين تخرجوا من أكبر الجامعات.

وبعد مفاوضات طويلة وشاقة توصلت الثورة الجزائرية والاستعمار الفرنسي إلى اتفاقية إيفيان
يوم 19 مارس 1962 التي وقع عليها كريم بلقاسم إلى جانب ثلاثة أعضاء من الوفد الفرنسي
المفاوض. وتنص هذه الاتفاقية على الاعتراف باستقلال الجزائر مع وقف إطلاق النار يوم 19 مارس
1962 في منتصف النهار. فبذلك انتصرت الثورة الجزائرية على أعنى استعمار بفضل جهاد الرجل في
الجبل والبوادي والقرى ومن هؤلاء الرجل كريم بلقاسم الذي ارتبط اسمه باتفاقية إيفيان 1962 وبحمل
جرجرة الشلخة.

دخل كريم بلقاسم الجزائر مباشرة بعد وقف إطلاق النار بهدف تحضير البلاد للانتقال من سلطة
الاستعمار إلى سلطة ابنائها فاستقبل استقبالاً كبيراً في كل الأماكن التي ذهب إليها ومنها منطقة جرجرة
التي أشعل فيها الثورة.

وبعد الاستقلال دخلت البلاد في دوامة من الصراع على السلطة، فعارض كريم بلقاسم نظام
بن بلة ثم نظام هواري بومدين في عام 1965، وذهب إلى الخارج أين أنشأ في عام 1968 حزباً معارضاً
اسمه «الحركة الديمقراطية للتجديد الجزائري».

وفي 18 أكتوبر 1970 وُجد البطل كريم بلقاسم مخنوقاً برصاصة العنق في غرفته بفندق انتركون
تئيننتل بفرنكفورت في ألمانيا.

ومكثاً قُتل البطل غدرًا، ولم يُعرف إلى حد اليوم من هو قاتله ولماذا ؟

وهل سيكشف لنا التاريخ السر في المستقبل ؟ رحم الله الفقيد الذي كرّس حياته كلها في
سبيل وطنه ودينه.

ولد الشهيد زيغود يوسف يوم 18 فيفري 1921 بدوار الصواف بسمنندو قرب سكيكدة التي أصبحت اليوم دائرة تحمل اسمه. وينحدر الشهيد من أسرة معروفة بتدينها ووطنيتها العميقة. فدرس والده ذلك في ابنهما يوسف الذي كان يسمع عنهما أحاديث وروايات عن المحمية الاستعمارية وبأنها تمثل السبب في مأساة وبؤس أغلب الأسر الجزائرية، وأن المزارع التي كان الجزائريون يشتغلون فيها كخماسة كانت كلها أرض هذه الأسر وآباء وأجداد هؤلاء الخماسين.

دخل الطفل زيغود يوسف إلى الكتاب لحفظ القرآن الكريم كغيره من الأطفال الجزائريين وفي الوقت نفسه التحق بالمدرسة الفرنسية، فاكتشف أكاذيب المعلم الاستعماري عندما كان يقول هم إن وطنكم وأمتكم هي فرنسا وإن أجدادكم هم الغاليون، فكان زيغود ينفر من هذا الكلام لأنه تعلم وهو صغير بأن هؤلاء الفرنسيين جلعوا من وراء البحر فسلموا الأرض واستعبدوا الشعب وكان يقول كيف نكون فرنسيين ونحن نتميز عنهم في اللغة والدين والعادات والتقاليد ولو كان كذلك فلمقا هم يعيشون في مجبوحة ونحن نعيش في بؤس مستعبدين. وقد كان الطفل زيغود يوسف كله ذكاء وقدرة فائقة على الملاحظة والتمحيص، مما جعله يفوق أقرانه في الدراسة، فنجح في امتحان الشهادة الابتدائية إلا أن ظروف عائلته والعراقيل الاستعمارية منعتة من مواصلة الدراسة، ورغم ذلك كون نفسه بالإكثار من المطالعة في كتب التاريخ والسياسة والفكر مما أكسبه قدرة فائقة على التفكير الصحيح والسليم.

كان الشاب زيغود يوسف ذو يد سحرية في مجال الصنعة حيث اكتسب مهارة فائقة في عدة حرف أهمها التجارة والحدادة، ولو كان زيغود في مجتمع متقدم لكان واحدا من كبار الصناع أو المخترعين واشتغل الشاب يوسف حدادا في سمنندو (زيغود يوسف اليوم) لمساعدة عائلته، وكان يفتخر كثيرا بحرفته وكيف لا يكون كذلك وهو الذي سمع وقرا أن الكثير من الأنبياء والرسل كانوا يملكون صنعة.

فالنبي زكريا عليه السلام كان نجارا، وداود عليه السلام علمه الله صنعة الحديد مما يدل على أهمية تعلمها سواء كانت بسيطة أو متطورة.

اتصلت القيادة المحلية لحزب الشعب الجزائري بسمنندو في عام 1940 بالشاب زيفود يوسف فطلبت منه الانخراط في الحزب لما رأت فيه من إيمان عميق بالوطن والدين، ولما يتمتع به من أخلاق عالية فسر كثيرا هذا الشاب اليافع لأنه اكتشف بأن هناك تنظيما سريا يعمل من أجل استقلال الجزائر وتحرير الشعب من الجيروت الاستعماري وتخليصه من استغلال المعمرين لأراضيه وعرق جبينه

وشرع الشاب زيفود يوسف في نشر الفكرة الوطنية في صفوف أبناء منطقته بكل ما أوتي من إيمان وقوة الحجة وكان يوزع سرا منشورات حزب الشعب الجزائري، فلعب دورا كبيرا في انتشار الفكرة الوطنية في منطقته مما سمح له بقيادة الشعب في مظاهرات عارمة يوم 8 ماي 1945 ليطالب فرنسا بإعطاء الجزائر استقلالها وواجه الاستعمار تلك المظاهرات التي وقعت في أغلب مناطق الجزائر وفي شرق البلاد خاصة بوحشية وهمجية لا مثيل لهما، فألقي القبض على المناضل زيفود يوسف فأودع السجن وسُلطت عليه كل أنواع العذاب مثل الكثير من أبناء هذا الوطن العزيز ثم أطلق سراحه بعد فترة من الاعتقال.

اقتنع مناخلو حزب الشعب الجزائري الذي أصبح يدعى بحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بعد الحرب العالمية الثانية بأن الاستعمار لا يفهم إلا لغة السلاح، وبأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، فعمدت قيادة الحزب في عام 1947 إلى إنشاء تنظيم شبه عسكري سمته المنظمة الخاصة مهمته التحضير للثورة المسلحة ضد الاستعمار بتدريب المناضلين وجمع الأسلحة والأدوية والمؤن استعدادا لليوم الموعود

أصبح زيغود يوسف مسؤولاً على المنظمة الخاصة في منطقة سمندو، فجمع الرجال المخلصين ذوي الأخلاق العالية والقدرة على الصبر والثبات وكتمان السر والمتحمسين للعمل المسلح، وكل ذلك كان وفق الشروط التي وضعها الحزب للانحراط في المنظمة الخاصة. فشرع هؤلاء في التدريب على استعمال السلاح وإقامة دورات تدريبية لصنع المتفجرات، والعمل على التزود بالأسلحة، والاهتمام بالتربية الدينية والوطنية لصنع الرجل المثالي المؤمن بشعبه ووطنه ودينه.

للتنويه والتغطية على العدو الاستعماري وأصل زيغود يوسف نضاله العلني مع حزب حركة الاتصال للحريات الديمقراطية، فرشح الحزب للانتخابات البلدية عام 1947، وفاز فيها رغم محاولات التزوير الاستعماري، فأصبح مستشاراً بلدياً بسمندو.

واكتشف الاستعمار المنظمة الخاصة في عام 1950، فاعتقل الكثير من أعضائها ومنهم زيغود يوسف الذي أودع سجن عنابة الكبير مع 122 من أعضاء المنظمة.

أخذ زيغود يوسف منذ دخوله سجن عنابة في التفكير في وسيلة للفرار والالتحق ببعض أعضاء المنظمة الخاصة الذين استطاعوا الإفلات من القبضة الاستعمارية كديدوش مراد ومن مهيني وبوضيف... وغيرهم وبعد تحريره الوضع داخل السجن اكتشف أن هناك زنزانة مهجورة قريبة من زنزاناته التي كان يشاركه فيها مجاهدون آخرون وهم عمار بن عودة وعبد الباقي بكوش وسليمان بركات. فوضعوا جميعهم خطة الفرار المتمثلة في الوصول إلى الزنزانة المهجورة ثم خرق سقفها ثم الهروب عبر السطح.

ولفتح باب الزنزانة المهجورة جمع زيغود يوسف بعض المواد البسيطة ومنها قلمية (gamelle) من الألومنيوم وقضيب من الحديد يستعمل لإشعل النار في الحواقد وقطعة خشب، فشرع الصانع زيغود ذو اليد السحرية في صناعة المفتاح الملائم لباب الزنزانة المهجورة، فتنجح في صناعة المفتاح ففرحوا جميعاً وبدأ الأربعة في عملية خرق سقفها.

دون أن يلاحظ حراس السجن ذلك وبعد 20 يوما نجحوا في فتح ثغرة في سلف السجن
المهجورة.

وفي ليلة الأحد 21 أبريل 1951 استطاع المجاهدون الأربعة الخروج عبر الزوالة
المهجورة عبر السطوح، فمروا عبر قصر العدالة اللصيق بالسجن، وأحرقوا ملفات السجن
المتبقين الذين كانوا ينتظرون المحاكمة ثم نزلوا إلى الشارع ليلاً والتحقوا عبر الجبل
بصهر زيفود يوسف النبي أوام أسبوعاً كاملاً، ليلتحق جميعهم بعد أيام بجبل الأوراس
والانصل بابن بولعيد الذي تكفل بهم، ويقوا هناك حوالي سنة إلى جانب الكثير من أعضاء
المنظمة الخاصة الفارين الذين تكفل بهم مجاهدو الأوراس بقيادة بن بولعيد.

في نهاية عام 1952 عاد زيفود يوسف مع بعض المجاهدين إلى الشمال القسطنطيني
فأصبح يتنقل بين مختلف المناطق متخفياً عن البوليس الاستعماري، واتخذ لنفسه لقباً سرياً
هو «سي أحمد»، وكان يتصل بالمجاهدين بهدف إعادة تنظيم المنطقة وهيكلة المنظمة
الخاصة من جديد.

وفي هذه الظروف اندلعت أزمة داخل حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بين
أنصار مصالي الحاج رئيس الحزب وأنصار اللجنة المركزية للحزب الذين أرادوا تجديد
صلاحيات الرئيس، فانقسم الحزب إلى مصاليين ومركزيين يتصارعون فيما بينهم، فأنشأ
بوضيف مع بعض المجاهدين اللجنة الثورية للوحدة والعمل هدفها الإصلاح بين الطرفين
وإعادة الوحدة للحزب ثم الشروع في العمل المسلح، وقد أعجبت الفكرة المجاهد زيفود
يوسف بعدما أخبره بها ديدوش مراد إلا أن محاولة اللجنة الثورية للوحدة والعمل فشلت في
إعلاء اسم الحزب فلم يبق أملهم إلا الشروع في التحضير للعمل المسلح في ظرف
شهور.

وفي جوان 1954 اجتمع 22 من أعضاء المنظمة الخاصة منهم زيغود يوسف لدراسة المسألة فتوصلت المجموعة إلى قرار إشعل نار الثورة، وأبثقت عنها لجنة من خمسة أعضاء للإشراف على الاستعدادات وتحديد تاريخ اندلاعها، هؤلاء الخمسة هم محمد يوسف ومصطفى بن بولعيد والعربي بن مهيدي وديدوش مراد ورابع بيطاط ثم انضم إليهم كريم بلفاسم من منطقة القبائل.

وعلا زيغود يوسف وديدوش مراد والأخضر بن طوبال وعمار بن عوف من اجتماع 22 إلى منطقة الشمال القسنطيني لإخبار مجاهدي المنطقة الذين لم يشاركوا في الاجتماع بخلاف القرارات التي تم التوصل إليها، وأن يكونوا على استعداد لليوم الموعد الذي ستقرره لجنة الستة.

وفي 23 أكتوبر 1954 قررت لجنة الستة أن تاريخ إعلان الثورة هو ليلة أول نوفمبر من عام 1954، وافترقوا بعدما أخذوا صورة مشتركة لهم، فعلا ديدوش مراد إلى منطقته الشمال القسنطيني لوضع اللمسات الأخيرة للتحضيرات التي أشرف عليها نائبه في المنطقة زيغود يوسف.

اندلعت الثورة في ليلة أول نوفمبر من عام 1954 بقيام المجاهدين بعدة عمليات ضد الجيش الاستعماري في التوقيت نفسه عبر التراب الوطني كله، ففي تلك الليلة هاجم زيغود يوسف على رأس مجموعة صغيرة من المجاهدين مركز الدرك في سمندو، وقامت أفواج أخرى بهجمات على عدة أهداف في الشمال القسنطيني.

ومنذ الوهلة الأولى للثورة تأكد الشعب في منطقة الشمال القسنطيني من أنها ثورة التحرير البلاد يقودها رجل أمثال ديدوش مراد ونائبه زيغود يوسف فهب الشعب لمساعدة الثاملين وطلب الانضمام إليهم، فتأثر زيغود يوسف بذلك فقل كلاما ذا مغزى كبير وهو :

إن هذا الشعب عظيم وعظيم جدا، ولا يمكن أن يقوده إلا عظيم أكثر منه وإلا كانت الكارثة الكبرى. وكان يعني بذلك أن هذا الشعب لا يحترم ولا يندفع للتضحية إلا إذا كان قلته عظيما بأن معنى الكلمة. وقد استنتج زيفود يوسف ذلك من معرفته الميدانية والعميقة للشعب الجزائري.

وبعد شهرين ونصف من اندلاع الثورة وبالضبط يوم 18 جانفي من عام 1955 سقط في ميدان الشرف الشهيد ديدوش مراد قائد منطقة الشمال القسنطيني واستشهد معه 17 مجاهدا بعدما حاصروهم 500 جندي فرنسي قرب واد بوكركر بسكيككة وقاوموا لمدة خمس ساعات قبل أن تصعد أرواحهم جميعا إلى الرفيق الأعلى، وقد تألم زيفود يوسف لفقدان إخوانه المجاهدين كثيرا.

وبعد استشهاد ديدوش مراد اتفق مجاهدو منطقة الشمال القسنطيني على تكليف زيفود يوسف بالقيادة، وحدث المجاهدين على ضرورة تكثيف العمليات ضد العدو الاستعماري كي لا يستغل الاستعمار استشهاد ديدوش مراد ورفاقه ليحط من معنويات الشعب ويدعي بأنه قضى على الثورة في المنطقة. فتكثفت العمليات ونُصبت عدة كمائن للعدو أهمها عملية 8 ملي 1955، التي كانت تخليدا للذكرى العاشرة لمجازر 8 ملي 1945. وتمثلت العملية في الهجوم على ثكنات الجيش الاستعماري وتحطيم بعض المنشآت التي كان يستعملها العدو لضرب الثورة كالطرق والجسور وأعمدة الهاتف، وقد شارك الشعب في هذه العمليات بوسائله البسيطة كالقذوس والناشير. فجبن الاستعمار وفقد وعيه فشرع يقتل ويحطم البيوت دون أي تمييز، ولم يكن يعلم أنه بعمله ذلك كان يغذي الثورة ويملا الشعب حقدا عليه.

وأعيدت الكرة مرة أخرى في 5 جويلية 1955 بإشراك الشعب في العمليات وتم
القبض على ثكنات الجيش الاستعماري ومزارع المعمرين الذين نهبوا أرض الشعب
واستغلوا عرقه وكان هدف زيفود يوسف من هذه العمليات هو التحضير وتخريب إمكانية
القيام بعمليات شاملة يشارك فيها الشعب وتغطي كل منطقة الشمال القسنطيني ولما لا كل
الجزائر ويتم تنفيذها في نفس اليوم والتوقيت ؟ فكان ذلك تحضيراً لهجمات 20 أوت 1955.

• هجمات 20 أوت 1955 :

اجتمع البطل زيفود يوسف بالمجاهدين بمنطقة زمان قرب سكيكدة، فأنحبرهم بأن
رسالة وصلتته من قادة منطقة الأوراس يطالبونه بتكثيف الضغط على الجيش الاستعماري كي
يخفف حصاره على الأوراس، فقال لهم: « ما رأيكم في عمليات شاملة تضم كل منطقة الشمال
القسنطيني ويشارك فيها الشعب إلى جانبه، وتكون أهدافها فك الحصار عن منطقة الأوراس
وتكذيب الادعاءات الفرنسية بأنها قضت على الثورة، وإيصال صوت الجزائر عالياً إلى الخارج
خاصة وأن الجمعية العامة للأمم المتحدة على الأبواب بالإضافة إلى دفع الشعب للاصطدام
مباشرة مع الاستعمار فتحدث القطيعة التامة بينهما فينضم المترددون إلى الثورة ونضع حداً
لمختلف المشاريع الاستعمارية التي تستهدف إجهاض ثورتنا الشعبية ».

وأعجب المشاركون في الاجتماع بالتفكير السديد والبعيد المدى لقائدهم زيفود
يوسف فقبلوا فكرته، فقاموا بإحصاء إمكانياتهم ومدى قدرتهم على تحقيق هذه الأهداف
وبعد ذلك حددوا 39 هدفاً استعماريًا في كل مدن الشمال القسنطيني للهجوم عليها فتم
توزيع العمليات على عدة أفواج، فقال زيفود بأنه سيتكفل باحتلال قرية سيدي مزغيش،
فطلب منه الحاضرون عدم المشاركة في العمليات مباشرة حفاظاً عليه كقائد وخوفاً من أن
يقتل نفس مصير الشهيد ديدوش مراد فغضب زيفود غضباً شديداً، وقال « بالعكس إن القائد

يجب أن يكون في الصفوف الأولى ويتحمل العبء الأكبر ويضحي أكثر، وإذا لم يكن كذلك
فمستحيل نجاح أي عمل سواء في الحرب أو في البناء، وذكرهم برسول الله ﷺ عندما كان
يحارب في مقلة جيشه يواجه العدو بصدرة، كما كان يحمل الحجارة على ظهره عند بناء مسجد
المدينة ثم قل لهم زيفود كيف لا يقوم القادة بنفس الشيء، فهل هم أفضل من رسول
الله ﷺ ؟

اختير 20 أوت كتاريخ للعمليات التي يجب أن تكون في منتصف النهار، وقد زيفود
إن 20 أوت سيكون يوم السبت فهو عطلة للأوروبيين كما أنه يوم السوق الأسبوعي في
مدينة سكيكدة وهذا يُسهل علينا التسلل مع الداهيين إلى السوق ولا يشعر الاستعمار بذلك
ازدحام الناس في ذلك اليوم شيء طبيعي وغير ملفت للانتباه.

وعاد المجاهدون إلى نواحيهم وشرعوا في الاستعداد لهذا اليوم التاريخي، أما زيفود
يوسف فبعث برسائل إلى قلعة مناطق الأوراس والقبائل يخبرهم ويدعوهم إلى القيام بـ
العمليات في مناطقهم وكلف كريم بلقاسم قائد منطقة القبائل بإيصال الفكرة إلى قلعة مناطق
الوسط والغرب الجزائريين وبذلك ستكون ثورة شاملة ضد الاستعمار يشارك فيها
المجاهدون إلى جانب الشعب كله، وللأسف الشديد فقد قتل بعض الخونة مبعوثي زيفود
يوسف في الطريق، ولحسن الحظ أن الاستعمار لم يكتشف الرسائل التي أرسلها معهم.

وفي يوم 20 أوت 1955 اندلع الاستعمار من الهجمات الكثيفة على كل من
الشمك القسطيني، وفي وضع النهار، وكيف أن الشعب أحاط بالمجاهدين ليساعدتهم في
المجاهدون لمدة ساعات على مناطق بأكملها، واحتك المجاهدون بالشعب الذي كان
الاستعمار يقول له إن الجيش الفرنسي قد قضى نهائيا على الفلاحة وقطاع الطرق مثلما كان
يسميه وبأنه لا داعي إلى التمرد على الجيش الفرنسي القوي.

فوقعت معويات هذا الشعب الأسي وتحسس لاحتساعة المجاهدين، واستمرت العمليات المهادية حتى السابعة مساء لينسحب المجاهدون إلى الجبل لتاركين الاستعمار هالكا حائرا في أمره. ولم يجد أمله إلا الشيوخ والأطفال والنساء فأخذ يطلق عليهم النار دون أي تمييز، فقتل أكثر من 12 ألف من أبناء الشعب الأحرل 5 آلاف منهم اعتنقوا رميا بالرصاص بلعب سكرينة، فهذه هي الثورة وقودها الشعب المجاهد الذي ينفذ ثمن الحرية لأن كل شهيد حية للأمة بأكملها، وقد أعطت هجمات 20 أوت 1955 بقبيلة زيفود يوسف دفعا قويا للثورة في الداخل والخارج، وحقت كل الأهداف التي سطرها البطل زيفود يوسف قبل ولاها لما انتصرت الثورة، ولهذا السبب اتخذ هذا اليوم عيدا للمجاهد بعد الاستقلال.

وبعد هجمات 20 أوت 1955 الباسلة دعمت فرنسا قواتها العسكرية في الشمال القسطنطيني بعند ضخ من الجنود والعتاد بقبيلة الكولونيل بيجار. فشرع في تمشيط المنطقة كلها فامر زيفود يوسف المجاهدين بتقسيم أنفسهم إلى مجموعات صغيرة جدا وعدم مواجهة الجيش الفرنسي، وبعد مدة اعتقد بيجار أنه قضى على المجاهدين فوزع متاثير على الشعب تقول له أنها قضت على الثورة في المنطقة، فخشي البطل زيفود يوسف أن يؤثر ذلك على معويات الشعب، فأمر المجاهدين بتكثيف العمليات ضد العدو مجددا، لسطاع هؤلاء البواسل تنفيذ 24 هجوما ناجحا على الجيش الاستعماري في ظرف يومين فقط من شهر فيفري 1956، ليلدرك الاستعمار الفاشم أن الثورة إذا اندلعت واحتضنها الشعب لن تنتهي إلا بالقضاء عليه.

بعد هجمات 20 أوت 1955 أرسل عيان رمضان والعربي بن مهيدي المجاهد سعد مطلب إلى كل من منطقتي الأوراس والشمال القسطنطيني للإطلاع على الأوضاع هناك فالتقى

بعد حلب بالبطل زيفود يوسف في فيفري 1956 ليقدّم له صورة عن الوضع في منطقة
الشمّل القسطنطيني، وأرسل زيفود معه رسالة إلى عبان رمضان وابن مهيلي وكريم بلقاسم
وأوعمران يقترح فيها عقد مؤتمر وطني لتقييم وضع الثورة وهيكلتها وتنظيمها تنظيمًا فعليًا
وإنشاء قيادة وطنية عليها لها، وقال لهم زيفود يوسف أنه مستعد لعقد المؤتمر في منطقة الشمّل
القسطنطيني

استحسن المجاهدون الأربعة فكرة زيفود يوسف، خاصة وأن لجنة تحضير الثورة
كانت قد اتفقت منذ سنة على الالتقاء بعد ثلاثة أشهر من اندلاع الثورة إلا أن اللقاء لم
يتم بسبب القمع الاستعماري الكبير واستشهاد ديدوش مراد وأسر كل من مصطفى بن
بولعيد ورابع بيطاط.

وبعد اقتراح زيفود يوسف فكرة مؤتمر وطني لقيادة الثورة تكفل عبان رمضان والعربي
بن مهيلي تحضير مختلف نصوص ومواثيق هذا المؤتمر في العاصمة، وتكفل كريم بلقاسم
بإختيار المكان الأنسب لعقد المؤتمر، فوقع اختياره على وادي الصومام وكلف الشهيد
عميروش بضمان الأمن للقاءة الحاضرين، فكان بذلك مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956.

وقبل 20 أوت 1956 التحق ممثلو مختلف المناطق بوادي الصومام باستثناء منطقة
الأوراس بسبب مشاكل عويصة في قيادتها بعد استشهاد مصطفى بن بولعيد، ومن الأوائل
الذين التحقوا زيفود يوسف الذي جاء على رأس وفد يتكون من لخضر بن طوبل وعمل بن
عودة وعلي كافي وإبراهيم مزهودي وحسين رويج.

واقترح المؤتمرون على زيفود يوسف أن يكون عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ التي هي
السلطة العليا للثورة إلا أنه رفض ذلك وفضل البقاء على رأس منطقة الشمّل القسطنطيني
التي أصبحت تسمى بالولاية الثانية حسب الهيكلية الجديدة للثورة التي انبثقت عن مؤتمر

الصومام وقد أخذت قيادة الثورة بالتنظيم العسكري الذي أقامه زيفود يوسف في الشمال
القسطنطيني كنموذج للتنظيم العسكري لكل الولايات الست التي قسمت على أساسها البلاد
وبعد 20 يوما قضاهما زيفود يوسف في مؤتمر الصومام عاد مع الوفد المرافق له إلى
الشمال القسطنطيني فوصلها في منتصف سبتمبر 1956.

كلف مؤتمر الصومام بعض القادة بحل بعض المشاكل التي طرأت في بعض
المناطق، فكلف الشهيد عميروش بحل المشاكل العويصة التي طرأت في الأوراس بعد
استشهاد مصطفى بن بولعيد أما زيفود يوسف فكلف بحل مشاكل القاعلة الشرقية بسوق
أهراس.

وقبل أن ينتقل زيفود يوسف إلى سوق أهراس فضل الذهاب إلى بيته لزيارة أسرته
بقي ليلتين معهما وفي يوم 23 سبتمبر 1956 خرج من البيت خفية إلى المجاهدين لتوديعهم
وبعد ذلك رافقه أربعة مجاهدين إلى المهمة التي كلفته الثورة بها. ونصب له الجيش
الاستعماري كميناً في الطريق، فوقع شهيداً مع مرافقيه بعد معركة وشاء الله أن يستشهد
البطل زيفود يوسف في وادي بوكركر وهو المكان نفسه الذي استشهد فيه ديدوش مراد.

عبان رمضان

ولد الشهيد عبان رمضان في 10 جوان 1920 ببلدية عزوزة الجبلية القريبة من الأربعة ناهيت
إبرائن (فور ناسيونك سابقا) بمنطقة القبائل الكبرى وهو من عائلة ثرية جدا، أبوه محمد أو فرحات
أمه فتحي مرادي فاطمة وكانت تحب ابنها رمضان كثيرا، وقد أصيبت بالشلل الذي أودى بحياتها بعد
وصول خبر استشهاد فللة كبدها رمضان في عام 1957.

دخل الطفل عبان رمضان المدرسة الابتدائية الفرنسية بعزوزة عام 1926، وبعد حصوله على
الشهادة الابتدائية درس مدة ثانوية تيزي وزو ثم أرسله أبوه فيما بعد للدراسة بثانوية (Ducyrier)
بالبلدية التي تحمل اليوم اسم ابن رشد. والتقى عبان رمضان في البلدية بطلبة جزائريين أتوا من عدة
مناطق من الوطن، فلاحظ أنه يشترك معهم في الدين والثقافة والعادات والتقاليد في الوقت الذي يتر
فيه عن الفرنسيين في كل شيء فكان ذلك وراء ظهور بوادر الوعي الوطني لدى الشاب عبان رمضان
ومن زملائه في ثانوية ابن رشد بالبلدية شخصيات كان لها وزن كبير في مسيرة الحركة الوطنية ك
يوسف بن خلة وسعد حطب اللذان كانا من أشد أصدقائه حتى استشهادهم كان عبان رمضان طالبا متفانيا
في أغلب المواد الدراسية خاصة مادة الرياضيات التي أكسبته قدرة فائقة على التفكير المستقيم
والتنظيم والعمل المنهجي وتحصل عبان رمضان على بكالوريا رياضيات في عام 1942، إلا أن الحقبة
التي انتاب عائلته أثناء الحرب العالمية الثانية، فانتقلت من حياة الرخاء والغنى إلى حياة الفقر والفق
استدعى الشاب عبان رمضان عام 1943 لأداء الخدمة العسكرية الإلزامية، وعُرف عن عبان
كأن يسخر من البذلة العسكرية الفرنسية التي كان يرتديها، فعندما ما يلبسها يبرنوس قبائلي مما عرف
لعطوبات منارمة، فنقل من ثكنة الأربعة ناهيت إبرائن إلى البلدية، وفي مرة من المرات باع بذلته

المسكونية في الطريق، وتعتبر هذه التصرفات من الشباب عيان رمضان عن رفضه القانون والنظام الاستعماري الفرنسي وتمرد عليه.

إن انتقال والد عيان رمضان من الغنى إلى الفقر جعله في حاجة ماسة إلى مساعدة أبنائه له، فهاجر ابنه الأكبر عمار إلى فرنسا بحثا عن العمل، أما الشاب رمضان المتعلم والحائز على البكالوريا، فقد استطاع أبوه أن يجد له وظيفة كبيرة في الإدارة الاستعمارية بواسطة معارفه الكثيرين، فأصبح الشاب عيان رمضان آمنا عاما للبلدية المختلطة بشلغوم العيد.

وعندما حصل عيان على هذه الوظيفة المحرط دون علم أحد في حزب الشعب الجزائري الذي أصبح يدعى بعد الحرب العالمية الثانية بحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وكان يدعو إلى استقلال الجزائر التام عن فرنسا. واكتشفت الإدارة الاستعمارية سر الشاب عيان رمضان عام 1947، فطلبت منه الاختيار بين وظيفته والنضال السياسي، فردّ على المسؤول الاستعماري الذي طلب منه ذلك وهو بمك بقلم قائلا «ليس بيني وبينك إلا هذا القلم الذي يربطه، فوضعه فوق الطاولة ويعني بذلك إنهاء عمله لدى الإدارة الاستعمارية واختياره النضال من أجل وطنه فدخل السرية خوفا من إلقاء القبض عليه ويعتبر تخلي عيان رمضان عن وظيفته الراقية من أجل الوطن أول تضحية يقدمها في سبيل وطنه.

إن الثقافة العالية لعيان رمضان وأخلاقه وكرمه للظلم والاستعمار دفعت قيادة حزب الشعب الجزائري للاتصال به وضمه إلى الحزب. ففرح عيان كثيرا للثقة التي وضعتها قيادة الحزب فيه واكتشافه أن هناك تنظيمًا سياسيًا يعمل من أجل طرد الاستعمار من وطنه.

لعب عيان رمضان دورا كبيرا في نشر الفكرة الوطنية بشلغوم العيد وساعده في ذلك كل من الحسين بلعيلي وعلال طاهي المعلمين بالمدرسة الحرة في المدينة، وبعد أن اكتشف الاستعمار أمر عيان

لحقى من وطقت ومثل السرية متفلا من مكنا إلى آخر وهو كله حارس لنشر الفكرة الوطنية والوطن
الشعب والخصم للجهة في سبيل الله والوطن.

ارتقى عبد رمضان في المسؤوليات فاعمل الحزب لتكفاته وقدرته ومنهجية في التنظيم السياسي
والسياسي فاصح مسؤولا لحركة الاتصال للحرريات الديمقراطية في قائمة مصطفى عام 1948
مسؤولا ولايا لها في عام 1949.

وقع حزب حركة الاتصال للحرريات الديمقراطية في أزمة حائلة عام 1949. كشفت أن التغيير
وذلك عندما أثير الاستعمار التزمه الجهوية والعنصرية بين الأمازيغ والعرب فاعمل الحزب عملا بسيما
أفرو سنة أي لزيد صفوف الشعب الجزائري وفتح آفاقه إلى النضال والصراع فيما بينهم فاصح
عند مقبلي منطقته ليحلهم من مكنا الاستعمار فكل لهم إلا يهتأ أي شيء إلا الكفاح المسلح
من أجل الاستقلال. أما الباقي فلا يمكن أن يتسم صفوف الشعب المسلم الواحد فيكسما ذلك
أطفا لم الفنة التي أراد الاستعمار إطفاء فالتفت المشكلات نهائيا في منطقته وكان لها نفس الصبر في
المناطق الأخرى بفضل رجل أمروا بالوطن والشعب المسلم الواحد والعاملين بمكنا الاستعمار
ومكنا.

واصل عبد رمضان جهته ضد الاستعمار الفرنسي فكان ينتقل من منطقة إلى أخرى في سيرة
تعد فاصح مسؤولا للحزب في الغرب الجزائري كما ترقى إلى القيادة العليا في حزب حركة الاتصال
للحرريات الديمقراطية فاصح عضوا في لجنة المركزية

وفي يوم من أيام عام 1950، ألقى البوليس الاستعماري القبض عليه عندما كان في اجتماع مع
المعتقلين لئلا يفتنه من تبعه فحكمت عليه بحكمة بحلة خمس سنوات سجنًا وعرامة عليه
تقدر بـ 500 ألف فرنك قديم وسجن المعتقل عبد رمضان في سجون بربروس بالعاصمة والحلة ثم

نقل إلى فرنسا وواصل نضاله واحتجاجاته داخل مختلف السجون، فأضرب عن الطعام لمدة ثلاثة
ويلايين يوما لإثارة القضية الجزائرية لدى الرأي العام العالمي.

وقرأ عيان رمضان خلال اعتقاله أكثر من ثلاثة آلاف كتاب باللغات العربية والفرنسية
والإنجليزية التي كان يتقنها جيدا، فاكسب بذلك ثقافة سياسية وتاريخية واجتماعية واقتصادية عالية
وقتها كلها في خدمة الثورة بعد خروجه من السجن، فأصبح جديرا بحمل لقب «منقذ الثورة».

خرج عيان رمضان من السجن في عام 1955 بعدما بقي فيه خمس سنوات كاملة، وقد كانت
الثورة المسلحة التي كان يحلم بها قد اندلعت في عام 1954 وتقلعت خطوات عملاقة. والنح
المجاهد عيان ببيت عائلته بعزوة التي لم يرها منذ ثماني سنوات، فوجد سكان البلدة إليه يهتفون
لخروجه من السجن، وفرح والده بعودته ولم يعلم أن عيان رمضان لم يكن يفكر إلا في كيفية
الالتحق بالثورة المسلحة من أجل تحرير وطنه.

وبعد مدة قصيرة اتصل بكريم بلقاسم قائد منطقة القبائل ليطلب منه الالتحق بالثورة ففرح
المجاهدون كثيرا بانضمامه إلى صفوفهم لما عرفوه عن عيان من كفاءة وشجاعة وإيمان عميق بالوطن.
فبعث كريم بلقاسم في البداية كمستشار سياسي لقيادة الثورة في منطقة القبائل، ثم كلفه القيادة بتنظيم
العمل الثوري بالعاصمة. وتتطلب عملية انتقال المجاهد عيان رمضان إلى العاصمة سرية فائقة فاتصلت
فيلة الثورة بالمجاهد رباح الحضر الذي يعمل تاجرا ويسكن في حي أوروبي وطلبت منه الكف عن أي
نشاط سياسي أو تحركات مشبوهة، فتعجب رباح الحضر من هذا الطلب الغريب وهو كله حارس لخدمة
الثورة بماله وروحه. وبعد مدة عرف السبب وبطل العجب لأنه كلف بإيواء قائد عظيم في بيته مما كان
يستلزم علم إثارة الشبهات حوله، ولم يكن هذا القائد إلا عيان رمضان من منطقة القبائل الكبرى.
شرع عيان رمضان في العمل انطلاقا من بيت التاجر والمجاهد رباح الحضر دون أن يثير انتباه
البرليس الاستعماري وسكان الحي الأوروبي. فقام عيان رمضان بتنظيم خلايا الثورة في العاصمة. وكان

عبان يعتقد أن الثورة لا يمكنها النجاح والانتصار إلا إذا شارك فيها الشعب الجزائري كله بمختلف
أحزابه السياسية وشرائحه الاجتماعية سواء أكانت غنية أم فقيرة.

اتصل عبان رمضان بقيادات الأحزاب الجزائرية الموجودة آنذاك لإقناعها بضرورة الانضمام إلى
الثورة وركوب قطارها قبل فوات الأوان. فانضمت أغلبها إلى الثورة بعد اقتناعها بما قاله المجاهد عبان
رمضان من أن الاستعمار لا يفهم إلا لغة السلاح وأن العمل السياسي السلمي لا يجني معه. وبعد
انضمام مناضلي أغلب هذه الأحزاب إلى الثورة وزعهم حسب قدراتهم وكفاءاتهم والأعمال التي يمكن
إفالة الثورة بها فأرسل البعض منهم إلى الجبال لحمل السلاح وآخرين للعمل كفدائيين في السهول
والبعض الآخر لم ير دورهم إلا في العمل السياسي بالخارج كدبلوماسيين وكتاب وصحافيين لأن الثورة
كانت تحتاج إلى الجميع. وبهذا العمل الجبار الذي قام به عبان رمضان استطاع إشراك أغلب الجزائريين
في الثورة مهما كانت توجهاتهم السياسية لأنهم يشتركون جميعهم في وطن واحد فأصبح ولاؤهم جميعا
للثورة والوطن فقط ولا ولاء لأحزابهم التي حلوها لأن مصلحة الوطن فوق مصلحة الأحزاب.

نظم عبان رمضان مختلف شرائح المجتمع في تنظيمات مختلفة، فظهر للعمل «الاتحاد العام
للعمل الجزائريين» وللتجار «الاتحاد العام للتجار الجزائريين» وللنساء «الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات»
ولللطلبة «الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين». كما كان عبان رمضان وراء إضراب الطلبة
والتحاقهم بالثورة عام 1956. وبهذا أصبح أغلب الشعب الجزائري منخرطا في الثورة ويؤدي كل واحد
من أبناء الشعب واجبه الوطني بشكل من الأشكال. فجسد عبان رمضان بذلك فكرة أن الشعب هو
البطل الوحيد في الثورة.

فكر عبان رمضان في ضرورة وضع نشيد رسمي للثورة الجزائرية، فاتصل بالشاعر مفلي زكريا
ليطلب منه وضع كلمات هذا النشيد فكان له ذلك ثم قام الموسيقار المصري محمد فوزي بتلحينه
فتم بذلك ميلاد النشيد الوطني «قسمة» الذي يهز النفوس ويحرك قلب كل وطني غيور.

فكر المجاهد عيان ومضاهي وبعض المجاهدين بضرورة إعطاء الثورة تنظيمًا سياسيًا وعسكريًا
بإدارة أكثر لفعالياتها فاتفقوا بذلك مؤلف الصومام الذي حضرته قيادات الثورة يوم 20 أوت
1956، وابتنى عن المؤتمر عدة قرارات أهمها إعلان تقسيم البلاد عسكريًا إلى ست ولايات وهي
الأوراس، والشمك القسطنطيني، والقبائل، والوسط، والغرب الجزائري، والصحراء ومجلسا وطنيا للثورة
بمقر البرلمان وسلطة عليا للثورة تسمى بـ « لجنة التنسيق والتنفيذ ». وعُين عيان ومضاهي في هذه
اللجنة مكلفا بالتنسيق إلى جانب ابن يوسف بن خلة المكلف بالاتصال والعربي بن مهيدي
المكلف بالعمل الفدائي في المدن، وكريم بلقاسم المكلف بالعمل المسلح في الجبل وسعد
حلب وكانت مهمته الإعلام والدعاية

رأى عيان ومضاهي ضرورة تكثيف العمل الفدائي في المدن وخاصة العاصمة لأنها عطف أنظار
العالم كله فتظم عيان ومضاهي والعربي بن مهيدي معركة الجزائر في نهاية عام 1956 إلى جانب رجل
ونسه كياس سعني وعلي لا بوانت وحسيبة بن بوعلي وجميلة بوحيرد وغيرهم من الذين أبهروا
العالم بتضحياتهم وهزوا أركان الجيش الاستعماري الذي جن جنونه

وفي الفترة نفسها قررت لجنة التنسيق والتنفيذ تنظيم إضراب عام في العاصمة والمدن الأخرى
لثلاثي أيام بهدف الإظهار للعالم آنذاك مدى تعلق الشعب بثورته. فهاج الاستعمار أثناء الإضراب
وأصبح يقتل ويعتقل الناس ويعذب ويحصد دون أي تمييز يذكر فأثار الاستعمار عليه بذلك حقد الشعب
كله وبما فيه أصدقائه وقد استشهد الكثير من أبناء الشعب أثناء معركة الجزائر وعلى رأسهم بن مهيدي
لذلك ذلك هو الثمن الذي يجب دفعه من أجل الحرية

بعد الحصار المفروض على العاصمة بعد إضراب الثمانية أيام واعتقل البطل بن مهيدي، لم
يكن أمام أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ مخرجًا آخر إلا الخروج من الجزائر قبل إلقاء القبض عليهم مما
يلحق الضرر بالثورة لأنهم سلطتها العليا فاتفق الأربعة الباقون على تقسيم أنفسهم إلى مجموعات

فكرهم بالقاسم ومن عدة يتجهان نحو تونس، أما عيان ومضان وسعد فليجها نحو المغرب الأقصى. فسمح السفر الطويل لعيان ومضان وسعد بحلب بمعرفة الثورة في جبل الغرب الجزائري من قرب ووصلوا المغرب الأقصى في عام 1957.

ورغم إعجاب عيان ومضان بما حققته الثورة من تنظيم فعل وانتصارات باهرة إلا أنه أصبح يتفعل في الخارج كلما لاحظ نوعا من الترف والرفاهية على قيادات الثورة الموجودين هناك إن صلب وطهارة وتقوى وزهد وتكشف عيان ومضان جعله ينتفض أمام كل مظهر تشتم منه والحة الرغبة في حياة الرغد والترف مهما كان بسيطا لأن عيان ومضان كان يرى بأن قيادات الخارج عليها أن تضحي أكثر من المجاهدين في الداخل، فإذا كان هؤلاء يأكلون ثمرة واحدة في الجبل فعلى القيادة أكل نصف ثمرة فقط وهكذا كان عيان ومضان يستوحي نموذج القائد المثالي الذي لا ينام إلا بعد أن ينام جنوده ولا يأكل إلا بعد أن يأكل جنوده فكان يحلم بقاعة للثورة وجزائر الاستقلال على شاكلة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب التي لم يكن يحيد ما يلبسه وينام تحت الشجرة، ويربط على بطنه حجرا يتصور جوعا أنه علم المجاعة لأنه كان عليه أن يكون أكثر تقشفا من الآخرين. هكذا كان الشهيد عيان ومضان معلوما بالزهد والطهارة والتكشف وكان يرى في أي مظهر من تلك المظاهر الخلابية ولو كانت بسيطة بداية انحراف الثورة عن أهدافها ومفاهيمها وهي تحقيق العدالة الاجتماعية، وبأن القيادة واجب وتضحية وليست امتيازاً.

استشهد عيان ومضان يوم 27 ديسمبر 1957 في ظروف غامضة.

ولد الشهيد عميروش آيت حمودة يوم 31 أكتوبر 1926 بتسافت أقمون قرب عين الحمام بجبل
جرجرة الشاذلي أطلقت عليه أمه فاطمة آيت منداس لقب عميروش وهو نفس لقب أبيه الذي توفي
قولا شاعرا من ميلاد الطفل الذي كان سيصبح أحد عظماء الجزائر. وكانت أسرة الشهيد عميروش
شديدة الفقر مثل أغلب الأسر الجزائرية في عهد الاستعمار الفرنسي الغاشم. وقد جاهدت أمه كثيرا من
أجل تربية وإعالة طفلها واضطرت في يوم من أيام الشتاء القارس إلى التنقل مسافة طويلة وسط الثلوج
بمنا عن القوت لابنتها فكانت الصبي عميروش أن يموت برذا وجوعا لولا لطف الله سبحانه وتعالى به إذ
أرسل من ينقذه من الهلاك وكأنه كان يحضره لمهمة عظيمة وهي الجهاد في سبيل الدين والوطن كي
يحيي الشعب الجزائري من جديد بعدما كاد الاستعمار أن يقضي عليه.

عندما بلغ الطفل عميروش سن السادسة من عمره دخل المدرسة الفرنسية في قريته، فأظهر
ذلك خارقا للعادة وشجاعة نادرة وقدرة كبيرة على تحمل الصعاب ومواجهتها، وقد اكتسب هذه الصفات
كلها من حياته الصعبة وطبيعة قريته القاسية.

ولم يستطع الطفل عميروش مواصلة الدراسة بسبب الفقر والعراقل التي كانت تضعها الإدارة
الاستعمارية في وجه أبناء الجزائر وخاصة الذين تكتشف فيهم بوادر روح وطنية ودينية مثل الطفل
عميروش الذي كان يرفض إهانة المعلم الاستعماري وطنه ودينه في المدرسة.

بدأ عميروش العمل وهو شاب يافع ففرضت عليه قساوة الحياة وحالة أسرته الاغتراب لإعالتها
ومواجهة مصاعب الحياة القاسية، فانتقل إلى مدينة غليزان بالغرب الجزائري ليشغل هناك عند أحد باعة
الحلي النعمية والفضية الذي آمنه على متجره لأخلاقه العالية وإيمانه العميق بالله الذي اكتسبه من
ثقله في الطبيعة التي ترعرع في أحضانها بجبل جرجرة الشاذلي. واحتك عميروش كثيرا بالسكان أثناء

عمله وتنقلاته فاكشف شعبا ووطنا كبيرين لا تتوقف حدودهما عند حدود قريته بمنطقة القبائل، فوجد
اناسا آخرين خارج منطقة القبائل يشترك معهم في الدين والثقافة والتقاليد.

إن طفولة عميروش الصعبة والشاقة صنعت منه شخصية تكن الحق للاستعمار الغاشم
وتُحمله مسؤولية مأساة شعبه، وكان شديد التدين وملتزما بفرائضه الدينية مما أكسبه انضباطا وصرامة
في حياته، وكان عميروش محبا للعدل وعطوفا على الفقراء والمحتاجين، ويكره الظلم والظالمين أينما
وجدوا ولو كانوا من أبناء جلدته.

جعلته هذه الصفات كلها نموذجا في التضحية والفداء والإيثار أثناء قيادته الجهاد ضد الاستعمار،
فكان لا يأكل حتى يشبع رفاقه كلهم، ولا يركن إلى الراحة حتى يطمئن عليهم جميعا، وكان البطل
عميروش رحيفا وعطوفا، إلا أنه اتصف بالصرامة والشدّة والقسوة على الاستعمار والخونة.

عندما كان الشاب عميروش في مدينة غليزان أبرز روحا وطنية ودينية فائقة، فكان يتابع النشاط
الديني والسياسي باهتمام كبير، وتعاطف مع كل من دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
الإصلاحية ودعوة حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية إلى الجهاد لطرد الاستعمار البغيض، فلم
يميز عميروش بين الدعوتين بل كان يرى أن كل واحدة منها تكمل الأخرى فالأولى تربي الشعب دينيا
ووطنيا وثقافيا وأخلاقيا لجعله على استعداد لتحمل مهمة الجهاد، والثانية توعيه سياسيا وتنظيميا.

وانضم عميروش إلى دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإصلاحية كما انحرف في حزب
حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وأظهر قدرة فائقة على التضحية والفداء من أجل نصرة الوطن
والدين، مما عرضه لمضايقات البوليس الاستعماري، فأدخل السجن عدة مرات ليخرج منه في كل مرة
أكثر إيمانا بالوطن والدين.

وفي عام 1948 نظم الاستعمار انتخابات للمجلس الجزائري التي اضطرت إلى تزويرها بعدما
لاحظ إقبال الشعب على التصويت على مترشحي حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بذلك.

المرشحين العملاء للاستعمار، وكاد أن يقتل البطل عميروش أمام صناديق الاقتراع بمدينة غليزان عندما وقف مدافعا بإخلاص وتفان عن أصوات النخبين الجزائريين ضد عملية التزوير.

ويُعتبر هذا الموقف من البطل عميروش وغيره من الوطنيين أثناء تلك الانتخابات المزورة عن مدى إيمانهم العميق بحق الشعب في اختيار ممثليه وتقرير مصيره وحكم نفسه بنفسه. فتعرض المجاهد عميروش بعد تلك الانتخابات المزورة لاعتقل دام شهورا طويلة.

انتقل المجاهد عميروش إلى المهجر بفرنسا عام 1950 ليواصل جهاده من أجل وطنه ودينه إلى جانب إعالة أسرته الفقيرة. وانضم في باريس إلى شعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان يرأسها الشاعر الشهيد ربيع بوشامة، ولعب عميروش دورا كبيرا في نشر الفكرة الوطنية والإصلاحية في صفوف المهاجرين الجزائريين.

وفي عام 1953 انشق حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية إلى طرفين متصارعين هما الصاليون أي أنصار زعيم الحزب مصالي الحاج والمركزيون الذين أرادوا تقييد سلطات زعيم الحزب. وكذا هذا الشقاق أن يتحول إلى تقاتل بين الجزائريين بلد مواجهة الاستعمار الذي اغتصب أرضهم. فأس بعض المجاهدين اللجنة الثورية للوحدة والعمل هدفها الإصلاح بين الطرفين المتصارعين. وقد تألم عميروش تألما كبيرا لما آل إليه وضع حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية فأس باريس إلى جانب عبد الحفيظ أمقران وآخرين فرعا للجنة الثورية للوحدة والعمل.

وبعد فشل هذه اللجنة في الإصلاح بين الطرفين المتصارعين شرعت في التفكير في ضرورة إشعل نار الثورة قبل فوات الأوان، فتم عقد اجتماع لـ 22 مجاهدا بالعاصمة الذي انبثقت عنه لجنة مهمتها التحضير للثورة المسلحة وإشعل فتيلها في أقرب وقت ممكن، وتتكون هذه اللجنة من محمد بوضياف والعربي بن مهيدي ومصطفى بن بولعيد وديدوش مراد ورابع بيطاط لينضم إليهم كريم بلعاس من منطقة القبائل فيما بعد لتصبح لجنة الستة. واتفقت اللجنة على إشعل فتيل الثورة

المسلحة ليلة أول نوفمبر من عام 1954 في كامل التراب الوطني، وقبل شهرين من هذا التاريخ علم
المجاهد عميروش إلى أرض الوطن لينضم إلى المجاهدين في منطقتهم ويستعد مثلهم لهذا اليوم
العظيم الحالد

اندلعت الثورة المسلحة ليلة أول نوفمبر من عام 1954 بقيام المجاهدين الأشاوس بعدة عمليات
عسكرية ضد الجيش الاستعماري في نفس التوقيت وعمت التراب الوطني كله وفي هذه الليلة المباركة
قد المجاهد عميروش فوجا من المجاهدين لمهاجمة الثكنة العسكرية بتيزي لجماع قرب عين الحمام فكبد
الاستعمار خسائر فادحة.

أظهر البطل عميروش كفاءة عالية في التخطيط والتنظيم وقيادة العمليات العسكرية وشجاعة
نادرة وإيمانا قويا بالوطن والدين، فهذه الخصال والصفات كلها جعلته يترقى في المسؤوليات بسرعة
كبيرة، فأصبح مسؤولا على منطقة عين الحمام بعد استشهاد البطل التقي الشيخ عمار، وكلفه كريم
بلقاسم في مؤتمر الصومام عام 1956 بضمان أمن منطقة وادي الصومام، فاستطاع بكفاءته العالية تأمين
عقد المؤتمر وسط الجيش الاستعماري الفرنسي دون أن يلتفت هذا الأخير بأن قيادة الثورة مجتمع
بقربه للتشاور والتخطيط وإعطاء الثورة تنظيما فعالا قادرا على هز كيان الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

وبعد مؤتمر الصومام 1956 أصبح عميروش نائبا للعقيد محمدي السعيد الذي خلف كريم
بلقاسم على رأس منطقة القبائل التي أصبحت تدعى بالولاية الثالثة. وترقى عميروش إلى قائد للولاية
الثالثة برتبة عقيد في عام 1957، فلتمع اسمه في المنطقة كلها وأصبح الأطفال والشيوخ والنساء
يروون بطولات هذا الشاب الذي قهر الجيش الاستعماري وجنralاته.

أدخل البطل عميروش وإخوانه المجاهدون الذعر في صفوف الجيش الاستعماري الفرنسي، فوجد
الاستعمار وسائله كلها للقضاء على هذا البطل الذي كان يقطع الولاية الثالثة كلها في ظرف أسبوع
واحد ليتفقد المجاهدين ويحدث الشعب ويرفع معنوياته ويزرع فيه الأمل في الحرية والاستقلال والإيمان

بالوطن والدين، ويخطط ويقود العمليات العسكرية، فأصبحت منطقة القبائل ووراءها الجزائر كلها تنغني بعميروش وبطولاته، مما جعل الاستعمار يعتقد أن القضاء على هذا الرجل سيقتضي على الثورة كلها فجند كل ما لديه من قوة للقضاء على هذا البطل المغوار، إلا أنه كلما حاول الجيش الاستعماري ذلك عاد متقهقرا كأنه يحارب ضد أشباح.

ولقن البطل عميروش والمجاهدون الجيش الاستعماري دروسا لا تنسى، ففي معركة معانقة نفسى على حوالي 300 جندي فرنسي، وأكثر من هذا العدد في معركة المسيلة عام 1958 التي دامت يوما كاملا، وكلما التقى عميروش بالجيش الاستعماري كان يخرج سالما بالمجاهدين ويكلف الاستعمار خسائر باهضة في العتاد والجنود ولم تستطع قيادة الجيش الاستعماري تحمل الوضع فجهزت جيشا جرارا يقوده الجنرال ماسو ويضم أربعة عشر جنرالا وعشرات الآلاف من الجنود وعشرات الطائرات هدفهم الوحيد هو القضاء على المجاهد الأسطورة عميروش آيت حمودة في جبل جرجرة لكن هيهات أن يقضوا على رجل كله إيمان بوطنه ودينه وشعبه، رجل فلق هؤلاء الجنرالات في الشجاعة والذكاء والتنظيم والتخطيط العسكري رغم أنه لم يكن خريج مدارس عسكرية كبرى مثل هؤلاء الجنرالات، فهو خريج مدرسة الثورة التي احتضنها الشعب العظيم في الجبل والوديان والسمندل وتمكن المجاهدون بقيادة البطل عميروش في هذه المعركة المسملة بمعركة المثلث الرهيب من إسقاط عشرات الطائرات وقتل مئات الجنود من الجيش الاستعماري، فعاد قائد المظليين ماسو وجنرالاته يمحرون أذيل الهزيمة فتحول عميروش بذلك إلى أكثر من أسطورة تتناقل بطولاته الألسن فلقب بالزئبق لأنه كان كثير الحركة كما لقب أيضا بملك الجبال وصاحب النظام الحديدي، ويمكن تلخيص هذه الألقاب كلها في «قاهر الجنرالات».

يشمخ العقيد عميروش بالكفاءة العالية في التنظيم، فوضع للولاية الثالثة بالقبائل نظاما محكما أنشأ بموجبه كل محاولات الاستعمار لاختراقه وضرب الثورة من الداخل، فسُمي نظامه بالنظام الحديدي فأصبحت الثورة تهيمن على الولاية كلها، فازداد ارتباط سكان الولاية بقيادته وثورته، ولم يكتف

عميروش بذلك بل استطاع إنشاء إذاعة سرية متنقلة في جبال أكفادو في أوت 1958 أطلق عليها اسم
صوت الجزائر المجاهدة من قلب الجزائر، وكانت تبث أخبار الثورة وتكشف أكاذيب الدعاية
الاستعمارية وخططها الجهنمية لإجهاض الثورة، فجهز الاستعمار وسائله كلها لتحطيم هذه الإذاعة
السرية

وفي يوم من الأيام جلب المجاهدون بطارية جديدة لاستعمالها للبث الإذاعي إلا أنه من سوء حظهم
كانت بطارية ملغمة استعمالها الاستعمار فخا كعادته، فنجح عميروش. فأدت إلى تحطيم الإذاعة السرية
واستشهاد مجاهدين كانوا يعملون بها، ورغم ذلك كله واصل العقيد عميروش استعمال كل الوسائل
والأساليب لإبقاء الثورة مشتعلة وملتهبة وإفشال خطط الاستعمار التي وضعها دىغول بهدف فصل
الشعب عن ثورته.

وفي أواخر عام 1957 ألقى المجاهدون القبض على رجل دين أمريكي يدعى ليستر معتقلين
أنه يتجسس لصالح الاستعمار الفرنسي، فأخذوه عند العقيد عميروش للتحقيق معه، فبقي هذا القس
أكثر من شهر لدى المجاهدين معززا مكرما ما دامت لم تثبت إدانته، فرأى هذا القس بأن عيبه
سلوك المجاهدين ومعاملتهم للأسرى وتنظيمهم المحكم فأعجب بهم كثيرا، وعندما ثبتت براءة
القس أطلق عميروش سراحه، فعاد إلى بلده الولايات المتحدة الأمريكية ليجوب البلاد كلها يقص ما
راه في الولاية الثالثة من مجاهدين مؤمنين بدمائة الأخلاق واحترام الإنسان وتكريمه مهما كان
دينه أو جنسه أو لغته، همهم الوحيد هو تحرير وطنهم الجزائر الذي هو وسيلة لتحرير الإنسان من
الاستعمار والعبودية والقهر، فحطم هذا القس المسيحي كل الدعاية الاستعمارية الفرنسية في أمريكا
التي كانت تقول أن المجاهدين قطاع طرق وقتلة ومجرمون، وبذلك استطاع المجاهدون بإخلاصهم
الإسلامية العالية بقيادة عميروش كسب الكثير من الأجانب الذين عرفوهم عن قرب وتعاملوا معهم
مثلما وقع مع القس الأمريكي ليستر وغيره من الأسرى الذين وقعوا في أيدي المجاهدين.

استطاع عميروش أثناء الثورة إقناع أكثر من 120 مدرسة في الولاية الثالثة ليتلقى فيها أبناء
الجزائر العلم باللغتين العربية والفرنسية، فالأولى هي لغة الدين والشعب، أما الفرنسية فهي لغة
العدو التي يجب أيضا تعلمها حسب عميروش ليأمن من شر أعدائه. وكان البطل عميروش أيضا
يتكفل بنفسه بشؤون الطلبة الذين كان يرسلهم إلى تونس والمشرق العربي لمواصلة الدراسة. وكان
يقول لهم فإن كانت معركتنا نحن مع الجيش الاستعماري الفرنسي، فإن معركتكم أنتم هي مع الجهل
والظلام التي لا تقل أهمية عن معركتنا.

عانت الثورة الجزائرية كثيرا بعد وصول الجنرال ديغول إلى الحكم في فرنسا عام 1958، ففي وقت
كانت الجزائر محاطة بخطتي شل وموريس المكهرين على الحدود التونسية والمغربية لمنع دخول الأسلحة
وتنقل المجاهدين عبر الحدود، فقل بذلك الإمداد بالأسلحة لمجاهدي الداخل مما يتطلب إيجاد حل لهذه
المشكلة التي أصبحت تهدد الثورة. فتم الاتفاق على اجتماع لقادة الولايات الست بميجل في أواخر عام
1958 لدراسة الوضع، فحضر كل من العقلاء عميروش عن الولاية الثالثة، والحاج لحضر عن الولاية
الأولى (الأوراس)، وسي محمد بوقرة عن الولاية الرابعة (الجزائر وماجاورها)، وسي الحواس عن الولاية
السادسة (الصحراء)، وغاب كل من قادة الولايتين الثانية (الشمال القسنطيني) والخامسة (الغرب)
لأسباب قاهرة.

واقترح عميروش في هذا الاجتماع التاريخي حفر أنفاق أرضية سرية تمتد من الحدود التونسية
والمغربية إلى داخل الجزائر لتمرير الأسلحة عبرها، وصالح المجتمعون على الاقتراح بعد دراسة من كل
جوانبه التقنية وإمكانيات ووسائل تحقيقه، وكلف القادة المجتمعون كل من العقلاء عميروش وسي
الحواس بإخبار القبيلة العامة للثورة في الخارج بكل ما اتفقوا عليه في اجتماع العقلاء الأربعة ومطالبتها
بتحضير الوسائل الضرورية لحفر هذه الأنفاق الأرضية.

بعد نهاية اجتماع العقدة الأربعة بجرجل عند العقيد عميروش إلى الولاية الثالثة ليستعد من هناك للذهاب إلى تونس مع العقيد سي الحواس، قبل ذهابهما لتنفيذ مهمتهما كلف عميروش نائبه عند والحاج بقبيلة الولاية الثالثة، وكلف سي الحواس نائبه محمد شعباني بقبيلة الولاية السادسة (الصحراء). وفي مارس 1959 انتقل عميروش مع عدد قليل من المجاهدين إلى منطقة بوسعلة بالولاية السادسة ليلتقي هناك مع العقيد سي الحواس، فشرعا في رحلتها سويا إلى تونس وبرزقتهما 48 مجاهدا. وفي يوم الاثنين 28 مارس 1959 وصلت المجموعة إلى جبل تامر، شاء القدر أن يكتشف العدو تحرك هذه المجموعة فهاجعها في السادسة صباحا بأكثر من 30 ألف جندي و70 طائرة، وعندما عرف العدو أن على رأس هذه المجموعة يوجد كل من البطلين عميروش وسي الحواس تدعم الجيش الاستعماري بـ 50 طائرة أخرى وضاعف عدد الجنود وأبلى الإخوة المجاهدون وعلى رأسهم عميروش وسي الحواس البلاء الحسن فاستشهد 36 مجاهدا ومنهم البطلان العظيمان اللذان انتقلا إلى الفريق الأعلى، ومعهما 36 من المجاهدين العظام، فامتزج دم ابن القبائل عميروش بدم ابن الصحراء سي الحواس في سيل جزائر حرة مسلحة وموحدة.

واستشهد عميروش قاهر الجنرالات الذي قل يوما للمجاهدين وهو واقف بإحدى مرتفعات جرجرة أنه إذا كنا اليوم مجاهد ونحن على هذا المرتفع فإننا بعد الاستقلال يجب أن نصعد إلى مرتفع أعلى منه لحراسة استقلالنا وحررتنا من الضياع، وكان يقول لهم أيضا بأنه إذا كنا اليوم نأكل قليلا فإنه بعد الاستقلال يجب أن نأكل أقل ونتقشف أكثر كي نوفر الأموال لبناء جزائر قوية ومتقدمة لأننا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو معركة البناء والتشييد.

كان الشهيد عميروش عظيما في حياته وبعد استشهاده، لأن الأبطال أبدا لا تموت فيهم العظمة بل يقون عبرة ويبقى ذكركم خالدا على مر الأزمان. فرغم استشهاد البطل عميروش إلا أن معنويات المجاهدين بقيت مرتفعة، فكثفوا عملياتهم ضد الاستعمار أكثر من ذي قبل كي يظهروا للعالم أن

الشعب كله من أمثال الشهيد عميروش. فإن استشهد فقد خلف وراءه ملايين الجزائريين المجاهدين ضد
العبودية والقهر والاستغلال.

أثار الشهيد عميروش الذعر في الجيش الاستعماري الفرنسي حيا وشهيدا وكتبت مجلة باربي
ماتش الفرنسية بعد استشهاده تقول : بقيت عينه مفتوحة كبريتين تحتفظان بهريق الحيلة بعد ست
ساعات من وفاته، ورغم كونه ميتا ولا شك في ذلك لأنه كان محتقعا بارد الجسم، ولكن عينيه بقيت
تنبع منهما الحيلة، فقد بقي فيهما تاريخ عجيب، تاريخ الرجل الذي كان يسمى (ملك الجبل) وهذا ما
جعل جنود المظليين من الفرقة السادسة يحيطون جسمه موجهين إليه رشاشاتهم كما لو كان يجب أن
يأخذوا حلزهم منه حتى وهو ميت، وكما لو كان جسمه سيمزق الموت ويتخلص منه فجأة ثم ينهض
على قدميه في وسطهم وفي يده خنجره الرهيب.

انتقلت روح الشهيد عميروش وسي الخواص إلى رحمة الله تعالى صباح يوم 29 مارس 1959.
فنقل الاستعمار جثتيهما ليلا ليدفنا سرا بسيلدي محمد قرب واد الشعير ببوسعادة عند باب الحراسة
لكنة عسكرية فرنسية لكي يمر الجنود الفرنسيون يوميا فوق قبرهما عندما يذهبون لرفع العلم
الفرنسي، وهذا ما يبرز مدى الحقد الاستعماري لكن لنقل لهم موتوا بغيطكم، وكشف أحد الخونة
فيهما بعد الاستقلال، فاستخرجت جثتهما لتنتقلا إلى مقبرة العالية في عام 1982، فأعيد دفنهما في يوم
مهيّب وفي جنازة رسمية إلى جانب الشهداء الذين ضحوا بالنفس والنفس في سبيل الحرية والعدالة
والتقدم فهل حققنا آمالهم وأهدافهم ؟.

ولد الشهيد سي احمد عبد الرزاق المعروف باسم (سي الحواس) سنة 1924 ببلدية أريس ولاية باتنة بقرية مشونش، تعلّم وحفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه وبدأ نشاطه الثوري في وقت مبكر، التحق بحزب الشعب الجزائري، ثم بحركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946 ثم انضم إلى المنظمة الخاصة السرية منذ سنة 1947 وساهم مع الشهيد مصطفى بن بولعيد في تنظيم الثورة المسلحة بمنطقة الأوراس.

عين قائدا للمنطقة الثالثة الواقعة جنوب الأوراس ثم قائدا للولاية السادسة (الصحراء) ورغم قسوة الطبيعة إذ لم يؤثر ذلك في سي الحواس بل عقد اتصالات مع الولايات المجاورة وشنّ عمليات هجومية ناجحة أدت إلى تصفية قوات العميل (بولونيس) وإلحاق خسائر كبيرة بصفوف العدو.

أنصف سي الحواس باليقظة وشلة الحرص على حماية الثورة من دسائس المستعمر وتوسيع أفكار الثورة إلى كامل القطر الجزائري، كما كان يتمتع بقدرة عالية في مجال التوجيه وتكوين المجاهدين، كما عرف بحسن خلقه وصلق أمانته، كما أنصف برزانه شديدة أثناء المعركة وشجاعة لا توصف عند القتل وظل قائدا للولاية السادسة حتى يوم سقوطه شهيدا في ساحة المعركة مع رفيقه عميروش في خندق واحد بجبل ثامر قرب بوسعانة يوم 29 مارس 1959 في معركة غير متكافئة بين المجاهدين وقوات العدو حين استعمل المستعمر طائراته ومدافعه وعددا كبيرا من الجنود مقابل العقيد سي الحواس والعقيد عميروش وعددا لا يتجاوز 80 مجاهدا يحملون أسلحة بسيطة.

ولد الشهيد أحمد بوقرة الحذو سي أحمد سنة 1926 ببلدية خميس مليانة ولاية
عنابة الدفلى، ترعرع كباقي أطفال الجزائريين آنذاك، حفظ القرآن في كتاب
المعلم وأمه ثم حصل المدرسة الابتدائية الفرنسية لأغابيت لكنه لم تنجح له الفرصة
عندما ما رشح فكرة النضال في عقول أطفال الجزائر وقد تجلّت فيه الروح الوطنية
منذ الصغرى انضم أحمد بوقرة إلى الكشافة الإسلامية الجزائرية ومن ثم التحق
بالحركة الوطنية وعمره 16 سنة ومن هذه الفترة نما نشاطه الفكري وتوسعت تحركاته
النضالية هذا ما أدى بالمستعمر الفرنسي إلى جعله تحت المراقبة، وفي 8 ماي 1945 شارك في
الظاهرات وتم اعتقاله وعمره 19 سنة ولما أطلق سراحه انضم إلى صفوف حزب حركة
التحرير الحريات الديمقراطية وفي سنة 1946 انتقل إلى تونس لإتمام دراسته لكن هاجس
الوطن والعودة لتحريره من يد المستعمر بقي يراوده وبالفعل عاد وكان رمزا في عقيدته
ونظمه ووزانة شخصيته شارك في المنظمة الخاصة السرية وكان من بين الذين اعتقلوا
وأُخفي في السجن ثلاث سنوات.

وفي 1954 عند اندلاع الثورة الجزائرية فجر الشهيد طاقاته في النضال والكفاح في
جبل عمرونة بجهة الحد بولاية المدية، واتسعت تنقلاته ونشاطه من جبل بوزقرة والونشريس
إلى جبل زكازك وديرة.

وفي مؤتمر الصومام سنة 1956 عيّن أحمد بوقرة القائد السياسي في مجلس
الولاية الرابعة (العاصمة وضواحيها) وفي عام 1958 رقي إلى رتبة عقيد وقائد الولاية

الرابعة للإنجازات الناجحة التي حققها والخسائر الفادحة التي لحقها بالعدو، من بين المعارك
معركة وادي الملح وبوزقرة والونشريس وتبرقنت ووادي الفضة.

وعلى هذا النحو ظل العقيد والقائد سي محمد يؤدي واجبه النضالي بكل إخلاص
حتى سقط شهيدا من شهر ماي 1959 إثر معركة اشتبك فيها مع قوات العدو الفرنسي
بقرية أولاد بوعشرة بنواحي البرواقية ولاية المدية.

ولد الشهيد علي ملاح بقرية مكيرة دائرة تيزي غنيف بمنطقة القبائل الكبرى سنة 1924 كان يدرّس بسي شريف، تربى علي ملاح وسط عائلة متوسطة الحال غنية بالأخلاق والمبادئ والقيم، تلقى تعليمه باللغة العربية من والده أحمد أمزيان ومن عائلة مشايخ بزوايا المنطقة.

منذ صغره كان متشبعا بحس ثوري ومثلما لواقع بلاده حيث الحارط في صفوف حزب الشعب الجزائري سنة 1945 وعمره آنذاك 21 سنة ثم انضم لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1946 وبفضل شجاعته وحنكته الحربية عينه الحزب رئيس قسمة مكيرة، وفي سنة 1947 انضم إلى المنظمة السرية الخاصة أين بدأ يكون الشباب المتطوعين على استعمال السلاح وفهم المخططات الحربية لكن السلطات الفرنسية سرعان ما اكتشفت نشاط سي الشريف ووضعت تحت المراقبة لكن لم تستطع القبض عليه لذكائه وفطنته فأصدرت عليه حكما غيابيا سنة 1948 بعامين سجن وغرامة مالية قدرها 2000 فرنك فرنسي.

وفي 1954 عينه الحزب مسؤولا عن ناحية تقزيرت وعزازقة وهناك ظهر نشاطه جليا في التحضير للثورة المسلحة، وفي الفاتح نوفمبر 1954 كان علي ملاح على رأس المجاهدين الذين شنوا هجوما على مراكز الدرك الفرنسي بعزازقة وتقزيرت التي أسفرت عن خسائر مادية وبشرية في صفوف العدو.

وفي جوان 1955 جرح علي ملاح في ساقه فنقل إلى عين الحمام ليتم إسعافه ولما تعافى لم يتخل عن نشاطه بل شارك في الهجوم على المركز العسكري لعين الحمام.

وفي جوان 1956 انتقل علي ملاح من المنطقة الثالثة إلى المنطقة الرابعة (الجزائر العاصمة) وبعدما أرسلته قيادة الثورة إلى الجنوب لتوسيع النشاط الثوري، وفي شهر أوت 1956 حضر مؤتمر الصومام وكان من ضمن القاعة الذين شاركوا بقراراتهم فمن بينها إنشاء ولاية سلاسة هي الصحراء

وافقت قيادة الثورة وأجمعت على أن قائد هذه الولاية هو علي ملاح برتبة عقيد وبمجرد انتهاء المؤتمر علا
سي الشريف إلى الولاية السلاسة وبأشر نشاطه بمجد وعزيمة لتحرير هذا الوطن من قبضة المستعمر
فأصبح من الذين يمثلون خطرا بالنسبة للمستعمر إلى غاية ماي 1957 أين سقط شهيدا بنواحي قصر
البحاري وعمره لا يتجاوز 33 سنة إثر خيانة عميل فرنسي مندس بين المجاهدين المدعو (السعيني)
الذي خطط لاغتيال العقيد علي ملاح وكاتبه الخاص.

ولد محمد شعباني الملقب بنمر الصحراء في 4 سبتمبر 1934 بقرية أوماش ولاية بسكرة اسمه الحقيقي الطاهر شعباني، تلقى تعليمه الأول في الكتاب في مسقط رأسه في زاوية البللة التي كان والده يدير شؤونها ثم انتقل سنة 1950 إلى قسنطينة لمواصلة تعليمه وانضم إلى معهد عبد الحميد بن بليس وبالمعهد تعرف على الكثير من المناضلين من خلال علاقاته مع الطلبة ومطالعة جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أين أدرك ضرورة العمل المسلح.

والتحق بالثورة التحريرية في وقت مبكر من عمره وكان مع من الأوائل الذين دشّنوا العمليات الأولى وأصبح كاتباً للقيادة بالولاية السادسة تحت قيادة سي الحواس ثم عين مسئولاً للمنطقة الثالثة للولاية السادسة سنة 1959 نتيجة ما أظهره من قوة تخطيط وتنظيم وبعد استشهاد العقيد سي الحواس سنة 1959 تولى العقيد شعباني مهمة التنسيق بين مناطق الولاية. وفي سنة 1961 تم تكوين قيادة جديدة متكونة من مجلس يضم خمسة أعضاء واختار المجلس شعباني بالإجماع مسؤولاً على الولاية السادسة.

خاض محمد شعباني عدة معارك من بينها معركة جبل بوكحيل التي دامت يومين ومعركة الكرامة التي أصيب فيها بجروح خطيرة.

كما كان له دور في توسيع العمليات العسكرية في الجنوب الكبير خاصة بعد اكتشاف البترول وسعي فرنسا إلى سياسة فصل الصحراء.

وفي الاستقلال عين العقيد شعباني قائداً للناحية العسكرية الرابعة وفي 3 سبتمبر 1964 نفذ عليه حكم الإعدام بوهران بتهمة أدانته في الصراعات التي أعقبت الاستقلال.

ولد أحمد محساس في 17 نوفمبر 1923، ناضل في الحركة الوطنية واعتبر من مؤسسي المنظمة السرية. اعتقل سنة 1950 وفر من سجن البليدة سنة 1952 متجها إلى فرنسا. بعد شهر من تفجير الثورة المسلحة أصبح عضوا قياديا في جبهة التحرير الوطني في فرنسا وغادر إلى القاهرة ثم ألمانيا وبعد الاستقلال ساند أحمد بن بلة أثناء صراعه، وأصبح عضو قيادة الثورة في وقت يومين ثم غادر إلى فرنسا سنة 1966. أسس حزب اتحاد القوى الديمقراطية بعد إقرار التعددية الحزبية سنة 1989، وبعد إعلان حالة طوارئ وتفجير أزمة الانسداد السياسي توقف محساس عن نشاطه السياسي.

التحق بوالده بفرنسا وهناك انضم إلى حزب نجم شمال إفريقيا سنة 1936، أدى الخدمة العسكرية وتطوع في الجيش الألماني ضد الاستعمار الفرنسي ووقع في الأسر سنة 1944 إلى سنة 1952، ثم استأنف نضاله في الحركة الوطنية إلى اندلاع الثورة التحريرية وانضم إلى الجبهة سنة 1954 وفي سنة 1955 التحق بجيش التحرير وبعد مؤتمر الصومام عيّن قائدا على رأس الولاية الثالثة خلفا لكريم بلقاسم، إلى غاية 1957 تاريخ خروجه إلى تونس.

نصّب وزير دولة مكلف بالمجاهدين في الحكومة الثانية والثالثة، وأصبح بعد الاستقلال أول وزير للمجاهدين، عيّن عضوا في مجلس الثورة بعد حركة 19 جوان وانسحب منه سنة 1967.

وهو معروف في أوساط المجاهدين بتدينه الشديد وبطولاته العسكرية.

مختار بلجي

ولد بلجي مختار سنة 1919 بعنابة ونشأ بسوق أهراس، أتم تعليمه ونال الشهادة العليا، أمس مختار بلجي أول فرع للكشافة الإسلامية بسوق أهراس سنة 1938.

رفض من التجنيد العسكري في سبتمبر سنة 1939 بسبب حيلته في تجويع نفسه حتى أنهك جسده، انضم إلى حزب الشعب ثم المنظمة الخاصة ليصبح مسئولاً بسوق أهراس وضواحيها ألقت القوات الفرنسية القبض على مختار بلجي سنة 1950 وزج به في السجن لمدة ثلاث سنوات. وفي ربيع سنة 1954 كلفه ديدوش مراد بتكوين أول جماعة مسلحة بالقطاع الأوسط من منطقة الحدود الشرقية، كما كَوّن في المدينة جماعة تقوم بالدعاية وجمع الأموال والتجنيد وكان مختار بلجي ضمن مجموعة الاثنين والعشرين الذين هبّوا لاندلاع الثورة المباركة وبذلك أصبح من بين المطاردين من طرف الاستعمار الفرنسي، وفي صبيحة 20 نوفمبر 1954 حاصر الجيش الفرنسي بالرشاشات بيتا في سوق أهراس كان يأوي الشهيد ومعه 15 من رفاقه وبعد معركة عنيفة انتهت باستشهاد المجاهدين وكان أول قائد يستشهد في الثورة التحريرية.

ولد عبد الرحمن ميرة في قرية ثاغلاط بدائرة أقبو ولاية بجاية سنة 1922، تولى عبد الرحمن ميرة بشوم الأب فتكفل به عمه، وعندما بلغ سن التاسعة رحل عبد الرحمن وأخته الأكبر إلى عنابة وظل سبع سنوات فيها ثم التحق بالجزائر العاصمة وهناك عمل حمالاً في مطار القدر البيضاء ولم يلبث هناك طويلاً حتى دخل السجن من جرّاء تشاجره مع مستعمر فرنسي ظل به 3 أشهر ثم عاد إلى قريته. وفي شهر نوفمبر سنة 1946 سافر إلى فرنسا لكنه أدخل السجن نتيجة إهانة أحد الفرنسيين له فانهال عليه ضرباً، وفي السجن احتك بمجموعة من الثوارين الجزائريين وبالتالي تعمقت في ذهنه فكرة النضال وتحرير الوطن وبعد خروجه من السجن 1948 عاد إلى الوطن وفتح مقهى في شارع (فيليكس فور) وكان هذا المقهى همزة وصل بين الجامعيين والشعب الجزائري ومقر اجتماعاتهم، وفي 1953 اضطر إلى بيع المقهى بسبب الرقابة المشددة والمضايقات الفرنسية.

عرف عبد الرحمن ميرة بشجاعته وصلابته وغيته العجيبة على وطنه شارك في عدة عمليات عسكرية قبل اندلاع الثورة أهمها معركة سيدي علي بوناب في نوفمبر 1954 أسفرت على خسائر مادية وبشرية، وفي 1955 رقي إلى رتبة ملازم من طرف قيادة الثورة وبعد مؤتمر الصومام تطوّع عبد الرحمن ميرة في تنظيم الولاية السادسة تحت قيادة شافعي أحمد وخلال هذه الفترة رقي إلى رتبة نقيب.

من بين المعارك التي خاضها عبد الرحمن ميرة مع العدو الفرنسي في الولاية الثالثة معركة تحلّلت في أكتوبر 1956، معركة جبل ديرة 1957 ومعركة غارحناش في جبل بوزيد ومعركة إغرم ناحية امشدالة في 13 أوت 1957، وهي أول معركة استعمل فيها العدو قنابل التابلن والقذات المحرقة، ومعركة بلعكان.

وأثناء كمين نصبه العدو الفرنسي للقبض عليه في قرية إغيل أحمد أصيب ميرة بجروح
وخلال تلك الفترة تلقى أمرا من قيادة الثورة بالسفر إلى تونس لتمثيل الولاية الثالثة في
الجلس الوطني للثورة المنعقد سنة 1957 ولما أنهى عمله عاد إلى وطنه في شهر فيفري 1959
وعين قائدا للولاية الثالثة خلفا للشهيد العقيد عميروش.

استمر عبد الرحمن ميرة في نشاطه الثوري دون تعب ولا ملل وفي مجلاته إلى غاية 7
نوفمبر 1959 أين سقط شهيدا بالقرب من أقبو على إثر كمين نصبته كتائب الجيش
الفرنسي بناء على معلومات تلقاها من أحد الحوثة.

ولد محمد بوضياف يوم 23 جوان 1919 بالعرقوب بمدينة المسيلة (عاصمة الخضة)، وهو من أسرة فقيرة مثل أغلب الأسر الجزائرية في عهد الاستعمار، لكنها معروفة جدًا في المنطقة بتدينها ووطنيتها فأبوه يُدعى خير الدين أما أمه فهي عياشي خديجة بنت علي. وقد أرضعت هذه الأسرة محمد وإخوانه حب الوطن والدين منذ نعومة أظفارهم.

التحق الطفل محمد بوضياف بالكتاب لحفظ القرآن والتشيع بقيمه مثل أغلب أطفال العائلات الجزائرية آنذاك ثم دخل المدرسة الابتدائية الفرنسية بمدينة بوسعادة أين لاحظ عنصرية المعلم الفرنسي ضد الأطفال الجزائريين وتوقف الطفل عن الدراسة في السنة الخامسة تكميلي بسبب فقر عائلته والعراقيل التي كانت الإدارة الاستعمارية تضعها في وجه التلاميذ الجزائريين الذين تبدو عليهم بوادر الروح الوطنية والدينية.

وقد لاحظ معلمو محمد بوضياف بوادر الغضب والتلمع على وجهه كلما قل لهم المعلم في المدرسة إن وطنكم هو فرنسا وأصلكم من الغالين، وكيف لا يبدو ذلك الغضب على بوضياف الذي يعرف جيدًا أن هذه الأقوال أكاذيب وتزييف للحقيقة وهو الذي عرف في الكتاب وعلى لسان أبوه أن الفرنسيين غزاة احتلوا وطنه ونهبوا خيراته وهم وراء الفقر والبؤس الذي تنخبط فيه عائلته وأغلب العائلات الجزائرية.

التحق محمد بوضياف بالحياة العملية وهو شاب يقع اضطر للسفر والاشتغال بعيدا عن أسرته لمساعدتها ملجأ فاشتغل كموظف في مصلحة الضرائب بميجل ليتقل بعدها إلى برج بوعريج فلحقك الجزائريين آخرين يشترك معهم في الدين واللغة والعادات والتقاليد في الوقت الذي يتميز فيه هؤلاء عن الفرنسيين في كل شيء.

في عام 1943 والحرب العالمية الثانية في أوجها استدعي الشاب محمد بوضياف لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي، فنقل إلى قسنطينة أين تعلم أساليب الحرب الحديثة فترقى إلى رتبة عريفه وبقي في الخدمة مدة سنتين قضاهما في نشر الفكرة الوطنية في صفوف الشبان الجزائريين ويذكرهم بضرورة الاستفادة من الخدمة في الجيش الفرنسي بالتدريب على استعمال السلاح لأنه سيأتي اليوم الذي سيقفون فيه السلاح في وجه المستعمر الذي اغتصب أرضهم. وتؤكد لهم ما كان يقوله الشاب محمد بوضياف عندما سرحوا من الجيش بعد نهاية الحرب العالمية الثانية في عام 1945، فعندما علوا إلى ديارهم وجدوا الجيش الاستعماري قد ارتكب أبشع الجرائم أثناء حوادث 8 ماي 1945. فتأكدوا أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وأن الاستعمار الغاشم لا يفهم إلا لغة السلاح.

يمتثل محمد بوضياف بالجدية والصرامة والانضباط والأخلاق العالية، والتدين الشديد ورفض الرياء لأنه نوع من الشرك بالله فكان لا يظهر كل ما يقوم به من أعمال جليلة حتى فرائض الدين، فيروي عنه السيد عبد الحكيم بن الشيخ بن الحسين أحد رفقاته المناضلين القدامى بأنه إذا حان وقت الصلاة يعتزل جلساته للمحظات دون إخبارهم أنه ذاهب إلى أداء الصلاة التي كان يحافظ على أوقاتها تطبيقاً لقوله تعالى ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾. فهذه الصفة هي التي جعلته منضبطاً ومحترماً للوقت والعمل بإخلاص دون أن ينتظر جزاء أو شكوراً من أحد، فكان يقول «ليس لأحد حق على الوطن... الوطن هو الذي له حق علينا، ومن عمل واجبا فلا يُشكر عليه».

كان بوضياف ابن 17 سنة عندما انخرط في حزب الشعب الجزائري الذي كان يدعو إلى استقلال الجزائر استقلالاً تاماً، وبسبب إخلاصه ونجده ووطنيته وأخلاقه العالية وكفاءته ارتقى في المسؤوليات داخل الحزب، فمن مناضل بسيط إلى مسؤول محلي في برج بوعريج إلى مسؤول ولائي بسطيف في عام 1946 عندما أصبح الحزب يحمل اسماً جديداً وهو حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

تأكد مناضلو القضية الوطنية ومعهم أغلبية الشعب الجزائري بعد مجازر 8 ماي 1945 بأن الاستعمار لا يفهم إلا لغة السلاح، وبأن الأساليب السياسية والسلمية غير مجدية معه. فعمد حزب

حركة الانتصار للحريات الديمقراطية عام 1947 إلى تأسيس المنظمة الخاصة وهي عبارة عن تنظيم عسكري تابع للحزب كانت مهمتها التحضير للعمل الثوري المسلح ضد الاستعمار بتدريب المناضلين عسكرياً وجمع الأسلحة والمؤن لاستعمالها في اليوم الموعود.

وبما أن المناضل محمد بوضياف كان من أشد المؤمنين بالعمل المسلح ضد الاستعمار عُيِّن مسؤولاً للمنظمة الخاصة في الشرق الجزائري عند تأسيسها فكان تحت قيادته رجل عظماء كابن مهدي وابن بولعيد وابن طوبال وزيفود يوسف... وغيرهم من الذين فجروا ثورة نوفمبر 1954 فيما

بعد

في شهر مارس من عام 1950 اكتشف البوليس الاستعماري المنظمة الخاصة التي كانت تعمل في السرية فشرع في اعتقال أعضائها فهرب الكثير منهم، وكان من هؤلاء الهاربين محمد بوضياف الذي دخل السرية التامة، وقد حكمت عليه محكمة عنابة غيابياً بشماني سنوات سجناً بتهمة المساس بلن الدولة الفرنسية، وكما حكمت عليه أيضاً محكمة البليدة غيابياً بعشر سنوات سجناً بتهمة التحضير للعمل المسلح ضد الدولة الفرنسية.

ولم يكن أمام بوضياف إلا الاختفاء المستمر عن البوليس الاستعماري الذي لم يتوقف في البحث عن هذا الرجل الخطير، مما دفعه إلى التمويه وتغيير ملامح وجهه وتغيير اسمه عدة مرات فعُرف بـ «القلب سرية منها الصديق» وعلي، والطيب، واسم الطيب أطلقه عليه العربي بن مهيدي الذي كان يجنح معه في بيت عيسى كشيلة بالقصبة وهو أحد مناضلي الحزب المخلصين، ولكن أشهر لقب عُرف به بوضياف هو «الطيب الوطني» الذي يرمز إلى طبيته ووطنيته.

وفشل البوليس الاستعماري في إلقاء القبض على محمد بوضياف الذي كان يجيد السرية وتطبيق مبدئه المعروف الذي كان ينصح به إخوانه الهاربين من البوليس فكان يقول لهم «إن أحسن عمل سري هو ذلك الذي يقوم به المناضلون تحت أعين الشرطة» بمعنى التصرف العادي والطبيعي الذي

لا يثير الشكوك والشبهات، ومن هذه التصرفات العادية كثرة ذهابه إلى قاعات السينما مع بن مهيدي لمشاهدة الأفلام وخاصة الثورية والحربية دون المبالاة بمراقبة الشرطة والبحث عنهم. مثلما كان أثناء سريته كثير المطالعة وخاصة كتب السياسة والتاريخ لاستلھام الدروس والعبر التي يمكن أن تُفيله في خدمة وطنه وتحريره من الاستعمار الغاشم.

إن قدرة بوضياف الفائقة في الاختفاء عن أعين البوليس الاستعماري سمحت له بالانتقل إلى فرنسا في جويلية من عام 1953 دون أن يشعر به أحد لتنفيذ المهمة التي كلفه بها حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وهي تنظيم مناضلي الحزب الموجودين في المهجر.

بينما كان بوضياف يقوم بمهامه النضالية في فرنسا، عرف حزبه حركة الانتصار للحريات الديمقراطية أزمة حادة فانشق إلى طرفين هما المصاليون والمركزيون الذين كانوا يتصارعون فيما بينهم وكان الاستعمار يغني تلك الصراعات فاضطر بوضياف إلى العودة إلى أرض الوطن لإنقاذ الحزب من التشتت فأسس في مارس 1954 «اللجنة الثورية للوحدة والعمل»، وكانت مهمتها الوقوف على الحيل بين المتصارعين ومحاولة التقريب بينهما وتوحيد الحزب ثم الشروع مباشرة في العمل المسلح ضد الاستعمار، فالسلاح كان يجب أن يُوجه إلى صدر العدو الاستعماري الذي اغتصب الأرض، ويقول بوضياف أنه حرام أن يُوجه جزائري سلاحه إلى جزائري آخر.

وأصدر بوضياف جريدة "الوطني" التي كانت تعبر عن أفكار اللجنة الثورية للوحدة والعمل الداعية إلى الوحدة وعدم التشتت وجمع القوى الوطنية لمواجهة الاستعمار الفرنسي العدو المشترك لكل الشعب الجزائري.

لكن باءت كل محاولات اللجنة الثورية للوحدة والعمل بالفشل، وكاد بوضياف أن يذهب ضحية هذا الصراع الملمر عندما ضرب ضربا مبرحا على يد مجموعة من المصاليين المتعصبين لزعم الحزب مصالي الحاج إلى درجة العبادة بذلك التعصب للحق والمبادئ والأفكار والوطن. ولحسن حظ

بوضياف أنه أنقذ على يد أحد مناضلي الحزب الذي نقله إلى البيت قبل وصول الشرطة الفرنسية التي
تالتت متلفي عليه القبض حتما بعدما تكتشف أنه بوضياف المحكوم عليه غيابيا والذي تبحث عنه
منذ أربع سنوات.

وامام هذا الوضع لم يبق أمام بوضياف وإخوانه من المنظمة الخاصة إلا المبالغة بإشغال فتيل
الثورة ضد الاستعمار لإنقاذ الحركة الوطنية، ف عقدوا اجتماعاً ضم 22 عضواً من المنظمة بالسعدنية
بالعاصمة في شهر جوان 1954 لدراسة موضوع الثورة، فقل لهم بوضياف "نحن الأعضاء السابقون في
المنظمة الخاصة ينبغي علينا أمام أزمة الحزب ووجود حرب تحرير في كل من تونس والمغرب أن
نتشاور ونقرر ماذا ينبغي علينا عمله في المستقبل". فدار نقاش حاد بين الحاضرين وكان من بينهم بن
بولعيد وديدوش مراد وغيرهما. واحتدم النقاش بين أنصار الشروع فوراً في العمل المسلح وبين
الذين يرون تأجيله، مما دفع الشهيد سويداني بوجعة إلى القول للحاضرين وعينه مغرورقتان بالدموع
هل نحن ثوريون أم لا؟ وإذا كنا نزهاء مع أنفسنا فماذا ننتظر للقيام بالثورة، ثم تبعه الشهيد العربي بن
مهيدي بالقول «أعلنوا الثورة وارموا بها إلى الشارع فسوف يحتضنها الشعب، فتحت تأثير هذه
الكلمات قرر الجميع إعلان الثورة في أقرب وقت ممكن، فانبثقت عن اللقاء لجنة لإعداد الثورة برئاسة
عبد بوضياف وتضم بن بولعيد وبن مهيدي وديدوش مراد ورابح بيطاط، ثم انضم كريم بلقاسم إليها
شرعت هذه اللجنة في التحضير المكثف للثورة المسلحة، أما بوضياف فكان كثير التنقل إلى الخارج
لإقامة شبكات تهريب السلاح إلى الجزائر والتنسيق مع الوفد الخارجي المتكون من أحمد بن بلة
وعبد خيلر وحسين آيت أحمد.

وفي أواخر أكتوبر من عام 1954 اتفقت اللجنة على أن تكون ليلة الفاتح من نوفمبر كتوقيت
لإشعال نار الثورة ضد الاستعمار الغاشم. فعاد كل عضو إلى منطقته، أما بوضياف فقد انتقل إلى مصر
لإخبار الوفد الخارجي بتوقيت إعلان الثورة وقراءة بيان أول نوفمبر التاريخي عبر إذاعة «صوت العرب»

بمصر على جميع أصماع العالم، ليعرف الجميع الدوافع التي دفعت هؤلاء الرجال المخلصين إلى إعلان الثورة.

اندلعت الثورة المسلحة ليلة أول نوفمبر 1954، فتابع بوضياف أخبارها من الخارج، ثم حاول العودة إلى أرض الوطن لمواصلة مهمة التنسيق بين مختلف المناطق إلا أنه لم يقدر على ذلك بسبب الحصار الذي ضربه الاستعمار الفرنسي على البلاد فاضطر بوضياف للالتحاق بالوفد الخارجي كمعضو مكلف بالشؤون العسكرية وبإدخال السلاح إلى المنطقة الغربية التي كان يقودها العربي بن مهيدي. واستطاع بوضياف الدخول إلى هذه المنطقة في شهر مارس 1955، فالتقى بالبطل بن مهيدي الذي اشتكى له من قلة السلاح فقال له «السلاح، السلاح يا محمد وإلا اختنقنا» بمعنى أن الثورة في خطر بسبب قلة الأسلحة.

فمنذ تلك اللحظة ركز بوضياف جهوده كلها على تهريب الأسلحة إلى المنطقة الغربية، فاستطاع تهريب كمية ضخمة جدا منه على باخرة الملكة دينا التي حملت أيضا على متنها مجاهدين جلدًا وكان منهم هواري بومدين.

ركب محمد بوضياف وأعضاء الوفد الخارجي وهم ابن بلة وآيت أحمد وخيدر ومعهم صحافي الثورة مصطفى لشرف الطائرة المغربية في الرباط يوم 22 أكتوبر 1956 التي كان يقودها طيار فرنسي وكانت متوجهة إلى تونس للالتقاء بكل من ملك المغرب آنذاك محمد الخامس والرئيس التونسي الحبيب بورقيبة للتباحث في كيفية تنسيق العمل النضالي على مستوى المغرب العربي.

وكان من المفروض أن تمر الطائرة عبر مطار مايوركا بإسبانيا ثم الانتقال إلى تونس، فعندما كانت تحلق في الجو أرسلت قيادة سلاح الطيران الفرنسي مكالمة هاتفية إلى قائد الطائرة الفرنسي تأمره بالهبوط في مطار الدار البيضاء بالجزائر، لكن قائد الطائرة رفض الخضوع لذلك لأنه طيار يعمل في الخطوط الجوية المغربية، فأخبر بأن أسرته رهينة في يد المخابرات الفرنسية فإن لم يفعل ذلك فإن

طائرات عسكرية فرنسية ستضطر لإرغامه على النزول، فحدث ذلك فعلا حيث أرغمت الطائرة على النزول بالجزائر وهي محاصرة من بعيد بطائرات عسكرية فرنسية، وبعد لحظات دخلها كومندوس فرنسي وألقي القبض على الوفد الخارجي للثورة وكان على رأسهم محمد بوضياف.

فرح الاستعمار الفرنسي بإلقاء القبض على هؤلاء الأبطال معتقداً بأن ذلك سيضع حدا للثورة إلا أن الاستعمار الفرنسي لم يكن يعلم أن الشعب الجزائري كله وراء الثورة، وقد هب العالم كله يندد بهذه العملية الإرهابية الخسيسة والدمية، والتي اعتبرتها المخابرات الفرنسية عملاً بطوليه فهل اختطف الطائرات عمل بطولي؟ فسجل التاريخ منذ ذلك اليوم أن فرنسا هي أول من اختطف الطائرات في التاريخ ومن الواجب أن يتذكر العالم الحادثة التي وقعت للقادة الجزائريين كلما وقعت عملية اختطاف طائرة في عالم اليوم.

نُقل الزعماء الأربعة بوضياف وآيت أحمد وخيدر وابن بلة ومعهم الصحافي مصطفى الأشرف إلى السجن في فرنسا ثم ضُم إليهم في عام 1961 المجاهد رابح بيطاط مسؤول منطقة الوسط الذي أُلقي عليه القبض في بدايات الثورة. فالتقى هناك خمسة رجال كانوا معا في المنظمة الخاصة ومن الأوائل الذين فجروا نار الثورة. وقد نُقل هؤلاء إلى سجون لاصانتي ثم افران ثم الونوي. ورغم التعذيب والموان فإنهم بقوا صامدين ويتابعون أخبار الثورة وانتصاراتها على الاستعمار. وكانت قيادات الثورة في الداخل والخارج تستشيرهم في كل صغيرة وكبيرة بطرق خاصة.

وأطلق سراح بوضياف مثل كل المعتقلين الجزائريين بعد انتصار الثورة وعقد اتفاقيات إيفيان يوم 19 مارس 1962، فلمب إلى تونس ثم ليبيا للمشاركة في مؤتمر طرابلس لتحضير عملية الانتقال من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو بناء الدولة الجزائرية كما أرادها الشهداء قوية ومتقدمة يسودها العدل والحرية. ثم دخل بوضياف أرض الوطن يوم 5 جويلية 1962.

عارض بوضياف سياسة الرئيس أحمد بن بلة، فأسس حزبا معارضا في 20 سبتمبر 1962 سمى
حزب الثورة الاشتراكية، فاضطر ابن بلة إلى سجنه بعد ما ألقى عليه القبض وهو في طريقه إلى الحلاق
في العاصمة، فبقي في السجن في بشار ثم في العاصمة من جوان 1963 إلى 2 نوفمبر 1963، فكتب
أثناء سجنه كتابا عنوانه «الجزائر إلى أين؟» متحسرا على تضحيات الشهداء التي تذهب سدى بسبب
الفوضى والقمع والصراعات على السلطة.

وبعد خروج بوضياف من السجن ذهب إلى أوروبا لمواصلة معارضته لنظام بن بلة وهيكله
حزبه. وفي 19 جوان 1965 أطاح بومدين بنظام بن بلة فدعا بوضياف للعودة إلى أرض الوطن معززا
مكرما كأحد كبار زعماء الثورة الجزائرية وقادتها الكبار لكنه رفض ذلك وفضل البقاء في المعارضة وحل
بوضياف حزب الثورة الاشتراكية واعتزل السياسة نهائيا في عام 1972. بعد ما رأى أن الدولة الجزائرية
أصبحت قوية وأن بومدين قد رد الثورة إلى مسارها الحقيقي وأقام عدالة اجتماعية ومشاريع اقتصادية
ورأى بوضياف من متفاه كيف أن الوطن الذي ضحى من أجله أصبح يسير في الطريق الصحيح مثلما
أراد.

انتقل بوضياف إلى المغرب الأقصى للشرع في أعمال حرة فبنى ورشة صغيرة لصناعة الأجر
تحتوي على آلات قديمة يعود عمرها إلى خمسين سنة وقليل من العمل، فكان يشتغل مع عماله في الطوب
لصناعة الأجر، فليل له يوما كيف تقوم بذلك وأنت الرجل العظيم وأحد قادة أعظم ثورة في التاريخ
المعاصر، وبأن الدولة الجزائرية مستعدة للتكفل بكل حاجاتك فرد بغضب "اعتبر نفسي قد أدبت
واجبي كمجاهد ومناضل وانتهى. وأنا لا أطلب من الجزائر أي شيء... ومن عمل واجبا فلا يشكر
عليه". وكان بوضياف يرفض كل الامتيازات التي يمكن نيلها بصفته مجاهدا وقائدا عظيما للثورة، لأنه
كان يرى أن ما قدمه من مجهودات وتضحيات أثناء الثورة واجب وطني، وما عليه بعد الاستقلال إلا أن
يشعر على ساعديه للعمل كغيره من المواطنين، وكيف لا يقوم بذلك وهو الذي تعلم في صغره أن

إسلام يعتبر إلى العمل عرفة فهل هو أحسن من الأنبياء والرجال الذين كانوا يكفرون ويعملون وقد
كان رسول الله ﷺ "ما أكل أحد طعاماً قط خيراً" من أن يأكل من عمل يده وإن أكل الناس منه عليه
السلام فلا يأكل من عمل يده".

وبعد أن وفر بوضياف قليلاً من المال أدى فريضة الحج في عام 1987.

اشتد الصراع على السلطة في الجزائر منذ عام 1988 ودخلت البلاد في فوضى عارمة حيث
ضعفت مؤسسات الدولة وانتهى كل ذلك إلى استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد يوم السبت 11
جانفي 1991، فانهارت كل مؤسسات الدولة، ولم تبق إلا مؤسسة الجيش سليمة وقوية، وأصبحت
البلاد مهددة بحرب أهلية مدمرة.

ولمّ هذا الوضع الخطير اقترح البعض الاتصال بالمجاهد محمد بوضياف لإنقاذ الدولة من
الانهيار، وقالوا إنه كما أنقذها أثناء أزمة حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في عام 1953
بقتله إنقاذاً من المارتن الذي وقعت فيه الدولة التي ضحى في سبيلها مليون ونصف مليون من
الشهداء.

وتم الاتصال بمحمد بوضياف بالمغرب الأقصى ومحاولة إقناعه بضرورة توليه السلطة على رأس
المجلس الأعلى للدولة، فرفض في البداية لكن بعد الإلحاح عليه وإدراكه بأن الوضع خطير، وأن
الواجب الوطني يفرض عليه ذلك لبى النداء وقبل تحمل المهمة الصعبة، واعتبر أن رفض ذلك هو
خيانة وتخل عن واجبه الوطني، وكان كثيراً ما يردد لأصدقائه إن الجزائر تعيش وضعية خاصة وخطيرة،
ولا أريد أن تسيل الدماء من جديد في بلادي.

عاد بوضياف إلى أرض الوطن يوم الخميس 16 جانفي 1992 على طائرة خاصة وحظي
بمستقبل كبير من قبل الشعب وكبار المسؤولين في الدولة، وعندما سُئل عن شعوره وهو يعود إلى

وطنه المفقدي فقل من الصعب في الواقع أن أعبر عما كان يخلج في صدري، ولكنني تذكرت في حينها زيارتي الأولى للبقاع المقدسة عام 1987. لقد خشعت خشوعاً كبيراً أمام الكعبة المشرفة وأمام نبي الرسول ﷺ والشعور نفسه أحسست به. عودتي إلى الجزائر، فيا له من شعور مؤمن صلتق بحب وطنه مثل حبه للبقاع المقدسة.

لم يرتح بوضياف بعد عودته إلى أرض الوطن فباشر العمل بعد أدائه اليمين الدستورية في اليوم نفسه قبدأ عمله باستقبال مختلف إطارات الدولة والجيش والشخصيات والمواطنين البسطاء بهدف معرفة الوضع بدقة ثم وضع الخطط والحلول الكفيلة بالقضاء على الأزمة المستعصية التي وقعت فيها الجزائر والتي أصبحت تهدد الدولة بالانهيار التام، وكان شغله الشاغل هو كيفية إنهاء الفوضى وإعادة الاستقرار ثم إعادة بناء دولة قوية في كل المجالات كما كان يحلم بها الشهداء.

بعد أكثر من خمسة أشهر من الحكم رأى بوضياف ضرورة الاحتكاك مباشرة بالشعب لمعرفة همومه اليومية وطموحاته، فزار المعرض الدولي بالعاصمة، ثم انتقل إلى الغرب الجزائري فزار مدينة عين تموشنت يوم 24 جوان 1992، وكان يفكر في الاتصال المباشر بالشعب دون أية تشريفات، لكن أنه نصحه بعدم القيام بذلك، وقيل أنه لو ترك لنزل إلى المقاهي لمعرفة الحقائق لأنه كان يؤمن بالاتصال المباشر بين الشعب وقيادته دون الوساطات التي كثيراً ما تصور الواقع على غير حقيقته.

ومباشرة بعد عودته من الغرب الجزائري أراد الانتقال إلى مدينة عنابة لحضور الملتقى الوطني للإعماج وترقية الشباب والملتقى الجهوي للاقتصاد.

ركب الرئيس بوضياف الطائرة مع الوفد المرافق له يوم الاثنين 29 جوان 1992 صباحاً ليصلها على العاشرة ويحظى باستقبال كبير، ثم زار معرضاً لأعمال الشباب، ليصل في حدود الحادية عشرة إلى قصر الثقافة لمدينة عنابة أين استقبله الحاضرون بتصفيق حاد.

وشرح بوضياف في إلقاء خطابه المهم الذي تعرض فيه إلى الكثير من القضايا وعندما وصل إلى قوله ولا بد للمسلمين الحقيقيين أن يقتنعوا بالتقدم المجتمع الذي هو جدير بالفضل لا ينبغي له أن يقل كل شيء. فما الذي تفوقت به علينا الأمم الأخرى؟ لقد تفوقت علينا بالعلم والدين الإسلامي.

وبالضبط عند نطقه بهذه الكلمات خرج شخص بلباس قوات التدخل السريع ليطلق الرصاص ويفرغ ثلاثين رصاصة في رأس وظهر الشيخ المجاهد فعمت الفوضى القاعة وهرب القاتل ليلقى عليه القبض فيما بعد ويدعى لمبارك بومعرافي وهو ضابط في الأمن.

وهكذا استشهد محمد بوضياف بعد ثلاثين سنة من استقلال الوطن الذي ضحى في سبيله وأعطى له أعز ما لديه طلب بوضياف الشهادة أثناء الثورة والجهاد الأصغر فلم ينلها لكنه نالها وهو يوتي الجهاد الأكبر ومعركة البناء والتشييد لم يستشهد شابا واستشهد شيخا في الثالثة والسبعين من عمره إنه الأجل وقد لبى الله دعوته وتمنياته حيث كان يقول «والشيء الوحيد الذي أتمناه هو أن أموت في أرض إسلامية فكان له ذلك وشاء الله أن تكون آخر كلماته هي ملخص لمبادئ وأهدافه التي كان يؤمن بها طوال حياته.

وودع الشعب الجزائري ابنه البار يوم الأربعاء 31 جوان 1992 إلى مقبرة العالية ودُفن بمربع الشهداء إلى جانب بن مهدي وعميروش والابطل الأمير عبد القادر وبومدين... وغيرهم من الذين ضحوا بالنفس والنفيس لتحرير الجزائر حرة أبية كريمة. وبقي الجميع يتساءل هل يعقل أن يُقتل بوضياف علي يد شاب عاش حراً وترعرع وتعلم بفضل الدور الكبير الذي لعبه الشهيد في تحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي؟ فهل لقي بوضياف جزاء سنمار؟

محمد خيضر

ولد محمد خيضر سنة 1921 بالعاصمة، استدعي لإجراء الخلدمة الإجبارية سنة 1941 فقفى بها أربع سنوات كاملة بسبب الحرب، ثم التحق بحزب الشعب سنة 1945 وعند تأسيس المنظمة وقع الاختيار ليكون من بين أعضائها الأوائل، شارك في عملية بريد وهران في أبريل سنة 1949 وهو من قلة سيارة العملية، ألقى عليه القبض بعد شهر من ذلك وسجن بالجزائر ثم بوهران لكنه تمكن من الفرار واستأنف مسيرته النضالية بفرنسا.

انضم إلى صف مصالي الحاج في أزمة 1953-1954 واستجاب إلى نداء الثورة المسلحة وألقى عليه القبض يوم 25 سبتمبر 1955 بحي المقرية وبقي في السجن إلى غاية وقف إطلاق النار وبعدما عين عضوا دائما في المجلس الوطني للثورة ووزير دولة في الحكومات المؤقتة الثلاث.

وقف إلى صف بن بلة بعد الاستقلال وأصبح كاتبا لجهة التحرير ثم قدم استقالته بعد خلاف حول مسألة دور الجيش. اعتبر محمد خيضر نظام بومدين غير شرعي بعد انقلاب 19 جوان 1965، وتعرض للاغتيال يوم 4 جانفي 1967.

الأخضر بن طوبال من مواليد 1923 بميلة أقي عليه القبض بعد حل المنظمة الخاصة عام 1950، بعدما عين عضوا في اللجنة الثورية للوحدة والعمل ومجموعة "22" التي فجرت الثورة التحريرية. أدى دورا رائدا في هجومات 20 أوت 1955 في الشمل القسنطيني واستخلف زيغود يوسف بعد استشهاده في الولاية الثانية، كان عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية ولجنة التنسيق والتنفيذ الثانية. عين وزيرا للداخلية في الحكومة المؤقتة الأولى والثانية، قبل أن يصبح وزير دولة في أوت 1961، بعد الاستقلال بقي بعيدا عن الصراعات والأمور السياسية.

عيسات إيدير

ولد عيسات إيدير عام 1919 بقرية جمعة الصهاريج بتهيزي وزو حيث بدأ دراسته الابتدائية ثم انتقل إلى العاصمة فتونس بين 1935 و1937 للدراسة الاقتصاد السياسي. بعد عودته الحزب في صفوف حزب الشعب الجزائري. أصبح عيسات إيدير مسؤولاً عن اللجنة العمالية التابعة لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية ومن المحررين الرئيسيين لجريدة الجزائر الحرة من 1949 إلى 1954.

تم إيقاف المناضل عيسات إيدير ليلة 23 و24 ماي 1956 وسجن بالبرواقية نتيجة تنظيم عدة إضرابات ناجحة زيلة على جمع التبرعات ونشر الوعي الوطني المساند للثورة. وبعد خروجه من السجن لم يتوقف المناضل عن نشاطه السياسي حيث ألقى عليه القبض مرة ثانية يوم 13 فيفري 1959 فسلطت عليه السلطات الفرنسية تعذيباً شديداً خلال عدة أسابيع استشهد على إثرها يوم 26 جويلية 1959، متأثراً بالحروق التي عمّت جسمه.

ولد في العاشر من جانفي سنة 1922 بمدينة قللة، انقطع عن الدراسة بسبب ظروفه الاجتماعية الصعبة فدخل الحياة العملية صغيرا، المخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري وأبلى قدرات في القيادة والتوجيه حتى عُيِّن قائد فوج ثم فرقة تتكون من 30 مناضلا.

انضم بوجمعة سنة 1943 إلى صفوف الناصي الرياضي ترجي قللة، وفي المظاهرات التاريخية لأبناء المدينة يومي 1 و8 ماي 1945 كانت بصمة الشهيد واضحة بحماسة ووطنية، قام بمدة عمليات فدائية مهاكمت مفتش الشرطة الفرنسي "كولي" بمدينة بودواو واقتحام خزانة البريد بوهران وخزانة شركة جبل العنق بالونزة.

حضر اجتماع "22" لتحضير الثورة وفي ليلة أول نوفمبر قاد هجوما على ثكنة بوفاريك واستطاع أن يلحق بقوات العدو وممتلكاته خسائر جسيمة.

استشهد يوم 17 أبريل 1956 عندما قرر التوجه بدراجة نارية في مهمة بنواحي الصومعة لكنه فرج بوجود أشخاص مسلحين بالزي المدني فتبادل معهم إطلاق النار وسقط على إثرها شهيدا.

عبد الرحمن طالب

ولد الشهيد عبد الرحمن طالب يوم 3 ماي 1930 في حي القصبة. كان يتابع دراسته بكلية العلوم بالجزائر لتحضير شهادة ليسانس في الكيمياء، التحق بصفوف الكفاح المسلح وقام بإنشاء مخبر كيميائي لتزويد الثورة بالمتفجرات وساهم بتموين حرب العصابات والفداء بالعاصمة.

في 10 أكتوبر 1956 اضطر الشهيد عبد الرحمن طالب إلى الخروج من العاصمة والالتحق بمنطقة متيجة برتبة ملازم أول في جيش التحرير الوطني، سقط في كمين بطريق البليدة في 5 جوان 1957، وخلال عملية أسره بسجن بربروس لم يحصل المجاهدون على أي معلومات عنه حتى نفذ فيه حكم الإعدام بالمقصلة يوم 24 أفريل 1958.

عمر أوعمران

ولد عمر أوعمران يوم 19 جانفي 1919 بـذراع الميزان، تحصل على الشهادة الابتدائية ثم تفرغ لمساعدة أبيه في الفلاحة، تجند في الجيش الفرنسي وحكم عليه بالإعدام إثر اشتباكات جرت بين الجزائريين والفرنسيين سنة 1941 ولجأ منه، ساهم في تكوين خلايا سرية مدربة على السلاح بإحدى المدارس في شرشل، وفي سنة 1945 حكم عليه بالإعدام غداة أحداث 8 ماي لكنه استفاد من العفو، والذي عليه القبض مرة ثانية في سنة 1947 لكنه تمكن من الفرار، كان من بين أبرز الشخصيات الذين فجروا ثورة الفاتح نوفمبر وكان نائب كريم بلقاسم في المنطقة الثالثة ثم خلف رابع بيطاط في المنطقة الرابعة.

وفي 22 أكتوبر 1956 تم اختطاف أعضاء الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني وأسند إلى أوعمران تولي الأمور في تونس وضبط الأوضاع على الشريط الحدودي وما بين فترة 1957 - 1958 تقلد رتبة عقيد ثم أسندت إليه مهمة التسليح في لجنة التنسيق والتنفيذ الثانية.

وخلال تشكيل الحكومة المؤقتة عين رئيسا لبعثة جبهة التحرير الوطني بتركيا وبعد وقف القتل في الجزائر دخل إلى بلاده وساهم في محاربة المنظمة السرية الإرهابية وانتخب بعد الاستقلال نائب في المجلس التأسيسي لكنه سرعان ما انسحب احتجاجا على طريقة تسيير بن بلة، توفي أوعمران في 29 جويلية سنة 1992.

عبد الحفيظ بوصوف

ولد عبد الحفيظ بوصوف بولاية ميله سنة 1926 لما بلغ سن الشباب التحق بوصوف المناضلين في الحركة الوطنية وكان عضوا في اللجنة الثورية للوحدة والعمل، كما ساعد العربي بن مهيدي في تفجير الثورة بناحية وهران، ثم عيّن عقيدا ومسئولا على الولاية الخامسة عند انتقال بن مهيدي إلى العاصمة.

أسس عبد الحفيظ بوصوف مصلحة المخابرات والاستعلامات خلال الثورة التحريرية، وعيّن عضوا في المجلس الوطني للثورة بعد مؤتمر الصومام، كما عيّن وزيرا للاتصالات العامة في الحكومة المؤقتة الأولى ثم وزير التسليح، أدى العقيد بوصوف دورا هاما في إبعاد المدنيين من مراكز قيادة الثورة ما بين عامي 1957 و1962، وبعد الاستقلال اعتزل المجال السياسي، توفي بوصوف سنة 1982 بالجزائر العاصمة.

ولد المصطفى سعد دحلب سنة 1919 بقصر الشلالة بتيارت، درس بمسقط رأسه ثم بالمدينة
 والبلدية المحرقة في حزب الشعب سنة 1944 بعد تسريحه من الخدمة العسكرية وألقي عليه القبض من
 أبريل 1945 إلى أوت 1946. انتخب عضوا في اللجنة المركزية لحركة الانتصار والتحرر بجهة التحرير
 الوطني في صائفة 1955، وفي فيفري سنة 1956 كلف من طرف عيان رمضان وبن يوسف بن خلة
 بالانتماء بالولايتين الأولى والثانية بقصد الإطلاع والتنسيق، وفي خريف 1956 ألقى عليه القبض
 وبمنا هو في السجن عين في المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنبثق عن مؤتمر الصومام وعضوا في لجنة
 التنسيق والتنفيذ مكلفا بالإعلام والتوجيه وبعد إطلاق سراحه اتجه إلى القاهرة حيث تشكلت هناك أول
 حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية بتاريخ 19 سبتمبر 1958 وفيها أصبح نائبا لمحمد يزيد وزير الإعلام
 وفي الحكومة الثانية عين أمينا عاما لوزارة الشؤون الخارجية في الحكومة المؤقتة الثالثة شهر أوت 1961
 بطرابلس، وعين في 1966 سفيرا في المغرب ثم انسحب من الساحة السياسية.

توفي سعد دحلب يوم 16 ديسمبر 2000 في الجزائر.

محمد الأمين دباغين

وُلد محمد الأمين دباغين سنة 1917 بمدينة شرشال، دخل معهد الطب والمحط في جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا فكانت البوابة التي دخل منها إلى عالم السياسة والنضال، لم يتجاوز دباغين العشرين من عمره عندما المحط في حزب الشعب الجزائري الذي كان برئاسة مصالي الحاج حيث رفض التوقيع خلال الحرب العالمية الثانية وكان الثمن السجن ثم أفرج عنه، وفي أحداث 8 ماي 1945 أصبح من قيادي حزب الشعب.

وفي جوان 1955 أُلقت السلطات الفرنسية القبض عليه بتهمة تكوين مجموعة أشرار وسجن لمدة ستة أشهر، وبعد خروجه التحق بصوف جبهة التحرير الوطني بواسطة عيان رمضان. غادر الجزائر بعد أن حوَصر بيته ووضع تحت الإقامة الجبرية وأقام ببباريس عدة أسابيع ثم انتقل إلى القاهرة حيث عيّن مسؤولاً عن الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني. كان محمد الأمين دباغين عضواً في المجلس الوطني للثورة الجزائرية ثم في لجنة التنسيق والتنفيذ الموسعة عام 1957 ليتولى منصب أول وزير للشؤون الخارجية في الحكومة المؤقتة الأولى. ابتعد الأمين دباغين عام 1959 عن السياسة بعد دخوله في صراع ضد أول رئيس للحكومة المؤقتة فرحات عباس وعبد الحفيظ بوضوف الرجل المخبراتي القوي في الثورة الجزائرية.

بعد الاستقلال تفرغ لمهنة الطب في العُلَماء قبل العودة إلى العاصمة حيث توفى فيها يوم 20 جانفي 2003.

من مواليد عام 1923 بعين الحمام (تيزي وزو)، تابع دراسته بالمدرسة العليا ببوزريعة المحوط في حزب الشعب الجزائري وأصبح ممثلا لمنطقة القبائل في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ثم عضوا في اللجنة المركزية للحزب، اعتقل سنة 1948 وتعرض للتعذيب، أطلق سراحه سنة 1951، هاجر إلى فرنسا للعمل في أحد المصانع، وعاد إلى الجزائر في 1955 بعدما انضم إلى جبهة التحرير الوطني

عين عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وصار كاتب دولة في التشكية الأولى للحكومة المؤقتة (1958-1960) ثم شغل منصب مكلف بمهمة من قبل جبهة التحرير الوطني في كوناكري
1960.

انضم إلى صفوف حزب الشعب الجزائري لكن الشرطة الفرنسية ألقت عليه القبض في 31 ماي 1945 ثم أطلق سراحه بعد صدور العفو العام في مارس 1946. بعدها عين مسؤول ناحية دلس - تيفزيرت يعتبر أحد مناضلي منطقة القبائل الخمسة عشر الذين حضروا للمؤتمر الأول لحركة انتصار الحريات الديمقراطية وذلك في فبراير 1947 بعدها أصبح مسؤولا جهويا للمنظمة الخاصة في منطقة القبائل السفلى، التي عليه القبض عام 1949 في منطقة بغلية، ثم أطلق سراحه عام 1951. بعدها انتقل إلى فرنسا والتحق مباشرة بجهة التحرير الوطني.

زار المغرب عام 1959 بعد إلقاء القبض على مسؤولي الفيدرالية الساقة : محمد لبجاوي وصالح الونشي في فبراير 1957 أصبح مسؤول فيدرالية جهة التحرير بفرنسا ثم عضوا في المجلس الوطني للشورة عام 1959 إلى غاية الاستقلال 1962.

اسمه بن علي بودغن، ولد بتلمسان يوم 07 ماي 1934، التحق بالمدرسة الابتدائية بمدينته، نال الشهادة الابتدائية عام 1948، سافر إلى المغرب لمواصلة دراسته الثانوية بمدينة وجدة لكنه عاد بعد سنة إلى تلمسان لينضم إلى مدرسة مزدوجة التعليم (فرنسي-إسلامي)، وفي هذه المدرسة بدأ يتشكل وعيه السياسي فالتحق بصفوف جيش التحرير تاركا مقاعد الدراسة.

التحق بصفوف جيش التحرير الوطني في أكتوبر 1955 بالمنطقة الخامسة وشغل منصب الكاتب الخاص للشهيد سي جابر لثلتحق به زوجته في نفس المنصب. كلف بعدها بقيادة قسم تلمسان وسيدو واشرف على تشكيل الخلايا السرية لجهة التحرير الوطني، وأخذ اسما ثوريا هو "سي إبراهيم" واستطاع بفطنته وحسن تنظيمه أن يؤسس للعمل الفدائي في الولاية الخامسة، إذ شهد مطلع سنة 1956 تكثيف العمليات الفدائية ضد الأهداف الفرنسية.

مع اكتشاف البترول سنة 1956 بالجنوب الجزائري وزيادة اهتمام فرنسا بالصحراء تطوع "سي إبراهيم" في صيف 1956 لقيادة العمليات العسكرية في الجنوب وخاض عدة معارك ضارية أسفرت عن خسائر معتبرة في صفوف العدو، مثل معركة جبل عمور بنواحي أفلو يوم 2 أكتوبر 1956 التي شارك فيها زهاء 500 جندي من جنود جيش التحرير الوطني كبدوا القوات الفرنسية خسائر فادحة.

وفي جانفي 1957 عيّن قائدا على المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة برتبة نقيب ثم رائد بمنطقة القلو تحت اسم لطفى كما أصبح عضوا في مجلس إدارة الولاية الخامسة. وفي شهر ماي 1958 رقي لطفى إلى رتبة عقيد وعيّن قائدا للولاية الخامسة وهي فترة عرفت تكالبا فرنسيا شرسا بعد مجيء ديغول وبنائه خطي شل وموريس على الحدود الغربية والشرقية، مما دفع العقيد لطفى إلى بذل جهد عسكري وتنظيمي كان له أثره في الحد من المجهود الحربي الفرنسي

كما شارك مع فرحات عباس في زيارة إلى يوغوسلافيا للبحث عن الدعم العسكري للثورة. بعد
نهاية أشغال المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقد في طرابلس بداية سنة 1960 فضّل العودة مع قوة
صغيرة حتى لا يثير انتباه العدو الذي ضرب حصارا على الولاية الخامسة إلا أن القدر كتب له أن
يستشهد في معركة غير متكافئة مع قوات الاستعمار استخدمت فيها الطائرات والمدفعية الثقيلة وكان
ذلك يوم 27 مارس 1960 بجبل بشار.

ولد الحاج لخضر واسمه أحمدي محمد الطاهر سنة 1916 بقرية أولاد أفساح ببلدية عين التوتة ولاية باتنة من عائلة فقيرة. غادر الوطن إلى فرنسا سنة 1936 بحثا عن العمل وسنه 20 سنة وكان يفكر دائما في طريقة للتخلص من العدو وهناك التقى بمجموعة من الجزائريين كانوا يلتقون من حين إلى آخر يتحدثون عن الوطن ويضعون الخطط من أجل إخراج العدو من الوطن. عاد الحاج لخضر إلى الوطن بعد أن قضى أربع سنوات في المهجر وأول ما قام به هو تكوين خلية سرية بمدينة باتنة سنة 1939 لا يتعدى عدد أفرادها 15 وكان مقر اجتماع الخلية دار السيد مزيان الحلواني. واستمر العمل لمدة ثلاث سنوات. وكان أول اتصال للخلية بالمناضل مصطفى بن بولعيد سنة 1941 حيث قدم لهم برنلجا جديدا. بعدها كون الحاج لخضر خلية أخرى بمدينة عين التوتة سنة 1942. أما سنة 1944 فقد كلفه المناضل مصطفى بن بولعيد بتولي مهمة استقبال المناضلين القادمين من شمال قسنطينة، وكان يقوم بجمع الأسلحة بمساعدة خضر بن كاوحة وبلقاسم بلعياش وكذلك المجاهد محمد بن خضر بقرية الحجاج. وليلة الفاتح من نوفمبر التقى الحاج لخضر بالقائد مصطفى بن بولعيد ومجموعة كبيرة من المجاهدين واختاره بن بولعيد قائدا لأحد الأفواج. واصل جهاده في الأوراس، وترقى في المناصب العسكرية.

وكان الحاج لخضر من الذين تعاقبوا على قيادة الولاية الأولى التاريخية قبل أن يستدعى من قبل القائد للإلتحاق بتونس. وتوفي المجاهد الحاج لخضر يوم 23 فيفري 1998 بمدينة باتنة.

من مواليد 20 جانفي 1920 بالقصبة (الجزائر)، تلقى تعليمه الأول بالقصبة حتى سن الرابعة عشر حين احتل الجيش الأمريكي والإنجليزي في 08 نوفمبر 1942 المدرسة واتخذوها مقرا لهم. لجأ إلى الحياة العملية بمخبرة العائلة، بدأ نشاطه السياسي مبكرا إذ شارك في المظاهرات التي نظمها حزب الشعب الجزائري في 01 ماي 1945 ثم مظاهرات الثامن ماي 1945، كما قاد الحملة الانتخابية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية في المدينة والعاصمة. بعد هجرة دامت سنتين إلى فرنسا عاد إلى أرض الوطن ليبدأ اتصالاته مع أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل ويتكفل بربط الاتصالات مع خلايا المناضلين بالقصبة. سنة 1955 أرسل إلى سويسرا للاتصال بممثلي بن بلة هناك وألقي عليه القبض لكن أطلق سراحه 04 أشهر بعد ذلك.

بعد عودته واصل نشاطه في سرية إلى غاية 1956 تاريخ بداية معركة الجزائر أين عين قائدا للمنطقة المستقلة للعاصمة، وساهم رفقة حسية بن بوعلي وعلي لابوانت وغيرهم من الفدائيين في تكثيف العمل الفدائي للعاصمة، وكان يتخذ من القصبة ملجأ له ولباقي الفدائيين. واصل نضاله إلى غاية اعتقاله من طرف فرقة المظليين بتاريخ 23 سبتمبر 1957، وتعرض للتعذيب وحكم عليه بالإعدام. أفرج عنه بعد وقف إطلاق النار.

ولد أحمد فرنسيس بمدينة غليزان عام 1912، تابع جل تعليمه بفرنسا، أين تحصل على دكتوراه في الطب من جامعة باريس، عاد إلى الجزائر وباشر مهنته بمدينة سطيف عام 1942.

باشر أحمد فرنسيس نضاله السياسي وهو طالب بكلية الطب الفرنسية، في إطار جمعية طلبة شمال إفريقيا حيث كون رفقة أحمد بومنجل لجنة من الشباب المهتمين بالبحوث السياسية المتعلقة بالقضية الجزائرية. عند عودته للجزائر استأنف نشاطه السياسي مع فرحات عباس حيث أصبح من أكثر المقربين إليه شارك في تأسيس حركة أحباب البيان والحرية.

بعد مجازر 8 ماي 1945 تم اعتقاله ورحل إلى مراكز الاعتقل بالصحراء، وبقي هناك حتى عام 1946 ليطلق سراحه. في عام 1946 ساهم أحمد فرنسيس في تأسيس حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وعين مندوبا للحزب لدى المجلس الجزائري، أين واصل نشاطه السياسي حتى اندلاع الثورة التحريرية.

لم يلتحق أحمد فرنسيس بصقوف الثورة إلا في عام 1956 بعد انضمام فرحات عباس إليه بعد مؤتمر الصومام عين عضوا إضافيا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية. قام بعدة جولات إلى أوروبا وأمريكا اللاتينية خلفة للقضية الجزائرية، والتقى خلالها بعدة شخصيات سياسية.

وفي شهر جوان 1958 عين أمينا دائما في مؤتمر طنجة لوحدة المغرب العربي. أصبح وزيرا للمالية في التشكيلة الأولى والثانية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية برئاسة فرحات عباس (1958-1961). شارك في مفاوضات إيفيان الأولى. أقيل من منصبه بعد عزل فرحات عباس، ليغيب عن الساحة السياسية حتى الاستقلال.

وبعد الاستقلال عين نائبا بالمجلس التأسيسي الأول، ووزيرا للعمل في 27 سبتمبر 1962.

التحقّت بالثورة على مستوى الولاية الثانية سنة 1956 ساهمت في عدة عمليات فدائية وقد أثبتت من خلالها شجاعة فخرية وكانت آخر هذه العمليات الفدائية تلك التي نفذتها إلى جانب زميلها الشهيد الحملاوي وكانت هذه العمليات ضد المؤسسات والمنشآت العسكرية ومراكز الشرطة وقتل الحونة والحركة وبعد الوشاية بهما تم اكتشافهما لذا لجأ الاثنان إلى أحد المنازل التي تم محاصرتها من طرف الجيش الفرنسي الذي قام بنفسه بالديناميت لتسقط المجاهدة مريم بوعتورة شهيدة الوطن في 08 جوان 1960.

من مواليد 4 مارس 1921 بقسنطينة وسط عائلة فقيرة، كان أبوه يمتحن حرفة "بلاغجي".
عندما بلغ الثامنة من عمره توفي أبوه فتكفلت والدته بتثنيته، فأرسل إلى المدرسة القرآنية ثم المدرسة
الإبتدائية لكنه طرد من هذه الأخيرة في 1935 وذلك بسنة قبل بلوغ مستوى الشهادة الإبتدائية لتجاوز
السن القانوني. ونظرا للوضعية المزرية التي كان يعيشها كأغلب الجزائريين، فقد التحق بمدرسة للتكوين
الهندي حيث تعلم النقش على النحاس وبعض الحرف ثم دخل مدرسة أخرى لتعلم "الإحكام"
AJUSTAGE إلى غاية 1938 حيث وجد نفسه في الشارع عرضة لكل الإنزلاقات خاصة في غياب
رعاية الوالدين. وهكذا حاول الإختراط في البحرية لكنه رفض لعدم بلوغه 18 سنة، بينما قبل ضمن
الزوجة

في هذا السلاح عمل مشاطي في اللاسلكي. وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية وجد نفسه على
الجبهة في تونس ضد الإيطاليين، وبعد سقوط فرنسا نقل إلى الجزائر. وعند نزول الحلفاء في 1942 عاد
ثانية إلى تونس ومنها إلى وهران حيث جهز الجيش ليرسل في ديسمبر 1943 إلى إيطاليا على عدة
جبهات ليعيش النزول ثم تحرير عدة مناطق فرنسية إلى غاية 8 ماي 1945. وفي مرسيليا علم من أحد
الفرنسيين بأحداث 8 ماي 1945 في الجزائر. وعند عودة وحدته إلى الجزائر لم ترسل إلى حملتها
الموجودة بسطيف وقسنطينة وإنما خيمت في عين طاية أين بدأت حملة شرح ماجرى.

وخلال شهر العطلة الذي منح له اطلع مشاطي من طرف قريب له على حقيقة الحوادث التي
وقعت وعلى النظام السري الموجود وكذا حركة أحباب البيان والحرية. بعد انتهاء العطلة عاد إلى وحدته
العسكرية ليقيم استقالته النهائية من الجيش الفرنسي. وفي هذه الأثناء كان قد انحرف ضمن خلية لحزب
الشعب الجزائري السري. ومن هنا بدأ نضاله الكامل والواعي. وقد تدرج في المسؤولية وعلى إثر
فضول محمد بلوزداد في حوادث 8 ماي 1945 فقد اضطر إلى الدخول في السرية، وقام الحزب بإرساله

إلى قسنطينة لإعادة بناء حزب الشعب. ولذلك كان في حاجة إلى عناصر قادرة وكفؤة لربط الإتصال ونقل الرسائل، ومن هنا جاء اختياره لـ عبد الرحمن قراس، محمد مشاطي، عبد السلام حباشي للقيام بالمهام السرية جدا مثل تلقي المناشير القادمة من العاصمة لتوزيعها بشرق البلاد مثل عنابة، سطيف، تبسة، سكيكدة، عين البيضاء وسكرة.

ثم جاء قرار تكوين المنظمة السرية في 1947 التي عين على رأسها محمد بلوزداد كقائد لهيئة الأركان وحسين آيت أحمد نائب قائد الأركان ومسؤول عمالة القبائل بمعية قلعة أربع عملات هي: قسنطينة، الجزائر 1، الجزائر 2 ووهران. وقد تم التركيز للإنخراط في هذه المنظمة على ذوي الخبرة العسكرية خاصة في الهيئة المسيرة. وقد اختير مشاطي طبقا لخبرته العسكرية وإيمانه بالقضية وارتقى سريعا درجات المسؤولية ليصبح قائد فصيلة SECTION.

وفي ديسمبر 1949 تقرر تعيين محمد بوضياف مسؤول عمالة قسنطينة ضمن عضوية هيئة الأركان الوطنية للمنظمة السرية، ولهذا استخلفه محمد العربي بن مهيدي على رأس هذه العمالة. وهكذا ارتأى بوضياف أن يحضر معه إلى الجزائر مشاطي من أجل إقامة جهاز إرسال، ونظرا لعدم تأهيله لذلك كلف بالتنظيم ابتداء من سبتمبر 1949 واستخلف جيلالي ريغيمي على رأس منطقة واسعة تمتد من بشر خلام، بودواو، الأخضرية، المدية، البرواقية إلى قصر الشلالة. ولتفقد كل هذه المدن والوقوف على وضعية التنظيم بها كان الأمر يتطلب منه شهرا كاملا ثم يعود بعدها إلى الجزائر ليقدّم تقريره لرئيسه المباشر محمد بوضياف. وقبل اكتشاف المنظمة السرية بقليل نجح مشاطي من التوقيف بأعجوبة حيث كان يقضي ليلته في وكالة عقارية هي في الحقيقة مركز بريد للمنظمة، عندما داهمت الشرطة المكان دون أن تقتحمه.

وبعد اكتشاف المنظمة السرية في مارس 1950 بقي مشاطي في العاصمة حيث أوتيه رفاة سويداني بوجمعة عائلة الإخوة "قويقح" ببودواو والتي كانت تملك مزرعة صغيرة ملاصقة لمزرعة رئيس بلدية بودواو. وكان سويداني يعمل في الأرض عند هؤلاء الإخوة وقد حصلت وشاية وحوصر مكان

تواجهنا في الساعة الثانية صباحا حيث تفطن سويداني لذلك وأيقظ مشاطي ولكن الوقت كان قد فات وحصل الإشتباك وهكذا قتل سويداني شرطيا وجرح محافظ الشرطة واستطاع سويداني ومشاطي من الفرار كل من طريق مختلف. وبعد مسيرة صعبة وشاقة مشيا على الأقدام عبر الحقول علا مشاطي إلى الغولف ومر أمام مخبزة عائلة ديدوش مراد الملاصقة للمنزل وقد لاحظته أخو ديدوش فأرسل قاسي عبد الله عبد الرحمن للإستفسار في شأنه. وبعد التعارف وأخذ الإحتياط قضى مشاطي ليلته في غرفة صغيرة بحديقة شقيق ذبيح شريف بالغولف. وفي الغد أخذوه إلى منزل مراد بوقشورة أين وجد بن مهدي عبد الرحمن قراس وديدوش مراد وقد ظل في منزل بوقشورة عدة شهور إلى أن توقفت عمليات البحث والتفتيش. ونظرا للوضعية التي أصبح عليها الحزب الذي اتخذ قرارا سياسيا بعدم الإعتراف بالمنظمة السرية معتبرا العملية من تدبير الإدارة الفرنسية لتحطيم حركة انتصار الحريات الديمقراطية بغية حلها وبعد ذلك توجيه عناصر المنظمة السرية للعمل السياسي وأرسلت مجموعة من هؤلاء إلى منطقة وهران مثل بن مهدي، مشاطي، بن عبد المالك، بوصوف وقراس للعمل هناك كرؤساء دوائر. وقد كلف مشاطي بدائرة معسكر التي كانت تضم سعيقة، مشرية، عين الصفراء، البيض، بني ونيفه، بشار وقناسة ولزيرة كل هذه المناطق كان ذلك يتطلب منه شهرا كاملا حيث كان يجتمع ليلا بالشباب خاصة الثانويين وكذلك الناضلين.

وبعد الأزمة التي مر بها الحزب ومن تم الإنشقاق الذي حصل فقدت الثقة التي كانت موجودة بين الناضلين نظرا للموقف الذي اتخذته مصالي. وفي بداية 1954 عاد محمد بوضياف رفقة ديدوش إلى الجزائر بعد أن كان الحزب قد أرسلهم مع قراس إلى فرنسا بعد اكتشاف المنظمة السرية ولذلك تم تكوين اللجنة الثورية للوحدة والعمل التي ضمت أربعة عناصر هم: دخلي بشير وبوشبوبة رمضان عن اللجنة المركزية ومحمد بوضياف ومصطفى بن بولعيد عن المنظمة السرية. وكان الهدف منها إقلمة الصلح بين المصاليين والمركزيين لكن العملية فشلت لتعنّت الطرفين. وعندما اختار محمد بوضياف الـ 21 مناضلا لحضور الإجتماع التاريخي وقع اختلاف بين عناصر قسنطينة ومنهم مشاطي مع محمد

بوضياف وذلك على المستوى التنظيمي لأن هؤلاء كانوا يريدون حضور مسؤولي المنظمة السرية عبر كامل التراب الوطني غير أن بوضياف كان مستعجلا ولهذا كانت أغلبية أعضاء مجموعة الـ 22 من قسنطينة.

في أواخر سبتمبر 1954 هاجر مشاطي إلى فرنسا واستقر في مدينة ليون حيث دخل إلى المستشفى للعلاج، وهناك زارته الشرطة لإلقاء القبض عليه لكنه كان مريضا جدا. وبعد خروجه من المستشفى اتصل به عبد الرحمان قراس ليناضل في جنوب فرنسا. وبعد شهر التقى في باريس كل من: عبد الرحمان قراس، فضيل بن سالم، أحمد دوم ومحمد مشاطي وتم تقسيم التراب الفرنسي إلى أربع مناطق أهمها على الإطلاق منطقة باريس. وإثر إلقاء القبض على طربوش، زروقي وماضي كلف الأربعة بإنشاء فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا تطبيقا لأوامر محمد بوضياف. وقد كلف محمد مشاطي بشرق فرنسا، قراس عبد الرحمان بالجنوب الغربي، فضيل بن سالم بالشمال وأحمد دوم بباريس، وشرع في العمل باللقاهي عن طريق إجراء مواجهات بين المناضلين (مناضلو حركة مصالي ومناضلو جبهة التحرير) الذين يعرفون بعضهم جيدا والتأكيد على أن الثورة ستقوم بها جبهة التحرير الوطني وليس مصالي أو اللجنة المركزية.

وقد تمت هيكلة جبهة التحرير الوطني بفرنسا على نفس نسق حركة انتصار الحريات الديمقراطية أي عن طريق لجان القسامات. وكانت المسؤولية جماعية. وتم القيام بعمل جبار لجلب المصاليين إلى الجبهة. وعندما بدأت هذه العملية الصعبة تعطي ثمارها تم إلقاء القبض على مشاطي في أوت 1956 وأحمد دوم في نوفمبر من نفس السنة لتحل محلها فيدرالية ثانية عرفت نفس المصير بعد شهرين من تنصيبها. ولم تتم محاكمة هؤلاء الإثنين (مشاطي ودوم) لأن أسماءهما وجدت ضمن وثائق أحمد بن بلة بعد اختطاف الطائرة في 22 أكتوبر 1956 وقد صرح مشاطي ودوم لقاضي التحقيق العسكري بأنهما لا يعترفان بالعدالة الفرنسية. وفي السجن واصلتا نضالهما السياسي إلى غاية إعلان وقف إطلاق النار.

محمد مرزوقي من مواليد 04-11-1927 بقصر البخاري ولاية المدية وبقي هناك لفترة تتلخص
ببعض سنوات تلقى خلالها قسطا من التعليم، ليعود بعدها إلى العاصمة حيث واصل دراسته الابتدائية
بمدرسة القبيطة (سور السائرة) إلى أن تحصل على الشهادة الابتدائية التي تفتح أمام صاحبتها العمل بالإدارة
بذلك الأشغل البدوية. بعد ذلك دخل مرزوقي مسابقة الإلتساب إلى الثانوية التقنية بالعناصر والتي درس
بها إلى غاية 1942، استولى الحلفاء على كل المدارس فانقطع عن الدراسة ليلتحق في السنة الموالية
1943 بعالم التشغيل في الإدارة الفرنسية بالمديرية العامة للبريد والمواصلات لدى الحكومة العتقة.

في 1944 انتهى مرزوقي للحركة الوطنية ضمن صفوف حزب الشعب الجزائري ببلكور وفي
نفس السنة أصبح مسؤول فوج، ومن الذين ناضل معهم يتذكر أسماء أحمد بوق، لحضر ريلح، أحمد بوقرة
العقيد) وكان مسؤول النظام في الحركة الوطنية آنذاك ريجيمي الجيلالي.

قبل الفاتح ماي 45 كانت عدة أحزاب مثل الحركة الوطنية (سرية) أحباب البيان والحرية التي
كونه فرحات عباس، الحزب الشيوعي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وقد اندمج أحباب البيان
والحرية والحركة الوطنية في تنظيم جديد يدعى أحباب الحرية والديمقراطية وتحت هذه التسمية انطلقت
مظاهرات الفاتح ماي 1945 التي شارك فيها محمد مرزوقي التي انطلقت من نقطتين ساحة الشهداء
والقصة للإلتقاء عند مدخل نهج بن مهيلي من ناحية ديبع الشريف والتوجه نحو البريد المركزي وهناك
وقعت حوادث دامية سقط إثرها أربعة شهداء برصاص الشرطة الفرنسية.

بعد الحرب العالمية الثانية خرجت الحركة الوطنية من السرية لتحمل اسم حركة انتصار الحريات
الديمقراطية المعتمدة ونظرا للانحداد السياسي خاصة بعد انتخابات 1946 المزورة فقد تم عقد اجتماع
1947 في معمل المشروبات الغازية لصاحبه مولود ميلالين وهو مناضل قديم. وفي هذا الاجتماع كونت
الحركة المنظمة العسكرية L'OS التي كان مسؤولا عنها محمد بلوزداد وقد تم اختيار أفضل المناضلين

لتكوين هذا النظام الجديد الذي انضم إليه مرزوقي في 1948 وفيه تعرف على الزبير بوعجاج مسؤول الناحية وقد تميز هذا التنظيم بالسرية التامة حيث مناضل الخلية لا يعرف إلا المسؤول المباشر، كما تلقى مناضلو المنظمة السرية التلريبات العسكرية على استخدام الأسلحة والذخيرة وكذا تركيب وتفكيك السلاح وبعد ذلك صناعة المتفجرات وكانت الأسلحة مخبأة في البيوت وقد اشترت المنظمة السرية الأسلحة التي أشرف عليها محمد بلوزداد وقامت بتخزين قسم كبير منها بمنطقة الأوراس عند مصطفى بن بولعيد ونقل القسط الثاني إلى منطقة القبائل أما الحصة الثالثة فبقيت في العاصمة وتم تخزينها عند مصطفى زرقاوي بالقصبة.

عند اكتشاف المنظمة السرية في مارس 1950 اتصل مسؤول التنظيم التومي بمحمد مرزوقي ليلا وأعلمه بذلك كما قاما بالإتصال ببقية المناضلين بغية حرق بعض الوثائق وتخبئة البعض الآخر في أماكن آمنة وفي العاصمة لم يلق القبض على أي مناضل في المنظمة السرية.

في 1951 تعرف محمد مرزوقي على ديدوش بواحدة الزبير بوعجاج وقد أثر هؤلاء على مرزوقي ليعود مرة ثانية للعمل السياسي وتم تكليفه بمسؤولية فرع الشباب ببلكور، بعد ذلك بفترة أعيد إحياء التنظيم العسكري ولكن بعدد قليل من المناضلين وبصرامة أكبر حيث يتم معاقبة وتكذيب المناضلين الخارجين عن الطريق السوي.

في مارس 1954 وصلت رسالة من مصالي الحاج تقرر أنه نزع الثقة من اللجنة المركزية وتطلب تجميد الأرضة المالية الموجودة في حوزة المسؤولين وطبقا لذلك عقد مرزوقي اجتماعا علما للمنتسبين شرح لهم فيه أوامر مصالي. وبعد العودة من الاجتماع الذي انعقد بمقر الحزب لشرح الخلاف الحاصل بين مصالي الحاج واللجنة المركزية والإعلان بأن مصالي موجود في الخارج وبالتالي لا يمكنه تسيير الحزب عقد مرزوقي اجتماعا علما آخر لمناضليه شرح لهم فيه أوجه الخلاف القائمة بين الطرفين واقترح عليهم التزام موقف الحياد إلى أن تنتضح الأمور أكثر. في هذه الأثناء اتصل مرزوقي بالزبير بوعجاج

والخامسة على الإنشقاق الحاصل وموقف الحيلاد الذي التزمه فرع الشباب ونفس الإنشقاق نقله إلى أحمد
بوقرة عندما التقاه

بعد عدة اتصالات ومشاورات أنشئت اللجنة الثورية للوحدة والعمل والتي كان من بين
أعضائها مرزوقي ولم يكن الهدف منها إنشاء حزب جديد وإنما التوحيد بين المناضلين بعد الإنشقاق
الحاصل بين المصاليين والمركزيين وتم الإتصال بالطرفين قصد الانضمام للجنة المركزية الذين رحبوا
بالفكرة بعد تكوين اللجنة الثورية للوحدة والعمل أصدرت هذه الأخيرة نشريّة "الوطني" LE *
PATRIOTE * التي طبعت منها سبعة أعداد تم توقفت. وعلى مستوى العاصمة كانت اللجنة
الثورية للوحدة والعمل تضم محمد مرزوقي (بلكور)، زيوي (حسين داي)، قصاب نذير (القبة)، الهادي
بني جراح (العناصر)، بن واضح (الحراش)، قسمية عبد القادر (لارودوت)، سعدون (قسمية الشباب
بالحراش).

في جويلية 54 عقد مصالي الحاج اجتماع هونو (بلجيكا) واتخذ موقفا تمثل في استعانة كل
شكلك الحزب من سيارات ومقرات وأن مصالي رئيس ملى الحيلة وتم طرد أعضاء اللجنة المركزية مثل:
خوله بن خلة كيوان بودة.

عندما وصلت الأمور إلى هذه الدرجة وقع الإنشقاق الذي لا توحيد بعنه وأجريت عدة اتصالات
ونقله ثنائية وجماعية إلى أن تم الاتفاق على عقد اجتماع الـ 22 الذي وقع حسب مرزوقي في أواخر شهر
جويلية 54 وقد تدارس الحاضرون بل اجتماع المدنية ثلاثة نقاط هي:

- هل نقوم "بحركة" منفصلين عن النظام أو عن طريق الإتحاد مع القاعدة؟

- الانتخابات لتعيين مسؤولي الثورة.

- هل تكون الثورة مؤقتة أم مستمرة؟

كما تناول الاجتماع أيضا الوضعية السياسية بالنواحي، وفي اجتماع المدينة تم الإتفاق على توحيد القاعدة التضاللية لأن الخلاف موجود بين المسؤولين ولا دخل للمناضلين فيه ثم تقرر أن تكون الثورة مستمرة حتى تحقيق الهدف النهائي وهو الإستقلال وأخيرا تم انتخاب المسؤول سرييا وبالأرقام فقط.

بعد انتهاء الاجتماع تكفلت جماعة العاصمة بالقائمين من داخل الوطن وهكذا استضاف جعفر (محمد مرزوقي) كلا من بن طوبال، بن عونة وزيفود للمبيت عنده وفي الصباح أوصلهم إلى ديدوش مراد

كان مرزوقي يعرف مناضلا في فرع الشباب يؤدي الخدمة العسكرية في ثكنة بالبليدة وهو محل ثقة فسأله عن كيفية الدخول إلى الثكنة لأخذ بعض الأسلحة، وقد زاره مرزوقي في الثكنة ولكنه منع من الدخول. ولهذا تقرر أن يلتقيا في منزل ذلك الشاب كلما أخذ إجازة وشرعا في رسم خطط الثكنة وأماكن نوم العساكر ومخزن الأسلحة وغير ذلك. وقد تطلب منهما ذلك العمل مدة شهر كامل، كما أحضر ذلك المناضل كل أماكن تواجد مخازن البارود بالنتيجة، لأن مرزوقي كان يريد أن يتفقد عملية الهجوم ليلة أول نوفمبر على هذه الثكنة لكن ديدوش مراد ارتأى أن يقوم بها سويداني بوجعة. وهكذا التقى هذا الأخير مع مرزوقي الذي سلمه قفة تضم كل أوراق المخطط بالإضافة إلى مسدس.

وعندما اقترب الموعد طلب من بعض المناضلين القيام بتربص للتدريب وكان ذلك بمزرعة قدور الهجيم بالخراسية وضم: محمد مرزوقي، مصطفى بن بولعيد، العربي بن مهيدي، ديدوش مراد رابح بيطاط، الحاج بن علة، بن عبد المالك رمضان، كوليني ناصر، قاسي عبد الله عبد الرحمان، قاسي عبد الله مختار، عثمان بلوزداد والزيير بوعجاج وتم خلال هذا التربص التدريب على تلحيم القنابل وهي نوعان: قنابل نارية ومفجرة.

وفي شهر أكتوبر 54 التقى مرزوقي بيطاط وبن مهيدي في عدة اجتماعات وفي الإجماع الأخير الذي عقد عند قسمية عبد القادر بلارودوت تقرر مهمة كل واحد من الجماعة واختار كل واحد

الهدف الذي سيطرحة في اليوم الموعود. وهكذا اختار محمد مرزوقي راديو الجزائر الناطق بالفرنسية
والواقع بنهج هوش HOCHÉ وقد كان مسؤولاً عن الفوج الذي يضم: عبد القادر شعل، عبد
الرحمن توجين، عباسي مدني، عمر بوتوش ومحمد بليمان.

وبعد حوالي شهرين من انطلاق الثورة تم إلقاء القبض على العديد من مفجري الثورة ومنهم
محمد مرزوقي وبعد الاستنطاق تحت التعذيب الشديد حكم عليه بالسجن إلى غاية الاستقلال حيث
نقل بين سجون مركاجي (17 شهرا) الحراش، لامبيز (حوالي أربع سنوات)، وبعد ظهور المنظمة
للسلحة السرية نقل مرزوقي إلى سجون فرنسا (ماتس، لا بومين، ديجون وغيرها) حتى تم إطلاق سراحه
بعد وقف إطلاق النار حيث تفرغ للعمل المدني.

ولد عام 1914، تربى في رعاية والديه في دوار تازيننت، أين زاول دراسته.

أدى الخدمة العسكرية الإجبارية خلال الحرب العالمية الثانية في تبسة ووهران حتى نهاية الحرب سنة 1945. عاد بعدها لممارسة تجارة الأسلحة والأقمشة بين الجزائر وتونس. في سنة 1948 لى لزهر شريط نداء الجهاد من أجل فلسطين، فترك وراءه زوجته حاملا وغادر مدينة تبسة متوجها إلى فلسطين مروراً بالقطر التونسي. إلا أنه فشل في تحقيق أمنيته بسبب منع السلطات البريطانية عبور المتطوعين الأراضي المصرية.

في سنة 1953 انتقل إلى تونس وانضم إلى الجيش التونسي كمتطوع، وساهم في جمع الأسلحة من لمساندة الثورة التونسية.

عاد في سنة 1954 إلى الجزائر والتحق بالمجاهدين في منطقة الجبل الأبيض فقام بتشكيل أفواج من 7 إلى 12 جندياً. بدأت هذه الأفواج عملها، وراحت تتصل بالأغنياء لجمع الأموال للثورة. عين مسؤولاً على المنطقة الممتدة من الجبل الأبيض إلى الحدود التونسية حيث قاد العديد من المعارك كمعركة وادي العلق، ثم معركة داموس الملح في الجبل الأبيض ومعركة أرقو. وقد أصاب ببندقيته القائد الفرنسي بيجار.

سي محمد بونعامة المعروف باسم الجيلالي من مواليد 6 أفريل 1926 بقلب الونشريس قضى سي محمد طفولته في هذه المنطقة الجبلية بين أحضان أسرة متواضعة، التحق بالمدرسة الابتدائية وطردها في سن مبكر ثم التحق بمنجم ليكمل به نظرا للحالة الاجتماعية الصعبة لعائلته. التحرق كعضو في حركة العمل الحريات الديمقراطية حيث تقلد منصب مسؤولية قسم، والتحق في المنظمة الخاصة وظل ينشط في العمل السياسي، تمكن من حضور مؤتمر هونرو ببلجيكا، نظم إضرابا عاما لعمال المناجم عام 1951 والذي دام حوالي 5 أشهر.

عند اندلاع الثورة تمكن سي محمد بفضل حيويته وصلابته من جعل منطقة الونشريس قلعة قوية لجهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني منذ 1955 في سنة 1956 حسب التنظيم الذي أقره مؤتمر الصومام أصبح سي محمد بونعامة يحمل رتبة ضابط أول عسكري وبدأ يكون وحدات تنطلق لمهاجمة مراكز العدو وضرب تجمعاته في كل حدود الولاية الرابعة.

في سنة 1957 ارتقى إلى رتبة رائد قائد المنطقة الثالثة حيث قام بالتنظيم السياسي والإداري والاجتماعي وجعل هذه المنطقة محرمة على المستعمر. في سنة 1958 عين بمجلس الولاية الرابعة كرائد عسكري إلى جانب سي محمد بوقرة وبعد استشهاد هذا الأخير واصل سي محمد وسي صالح تسيير إدارة الولاية وعندما قلد الولاية الرابعة اختار مدينة البليدة قلب متيجة مركزا لقيادة الولاية ومنها أصبح القائد بعد وينظم العمليات العسكرية، وكان له الضلع الأكبر في تنظيم مظاهرات 11 ديسمبر 1960. إن اغتيال والديه، وتوقيف أخيه الأكبر وتهديم منزل عائلته لم يقلص من عزيمة الشهيد الذي سقط في ميدان الشرف في معركة وسط مدينة البليدة بتاريخ 08 أوت 1961.

الطاهر الزبييري

من مواليد 14 أفريل 1929 بأم العظايم بولاية سوق أهراس، اشتغل منذ صغره في منجم الحديد بالونزة، المحرط منذ 1950 في صفوف حزب الشعب، وعند اندلاع الثورة التحريرية كان من أوائل المنخرطين فيها بنواحي قللة، ألقى عليه القبض وحكم عليه بالإعدام من قبل محكمة قسنطينة سنة 1955، تمكن من الفرار من السجن في نوفمبر 1955 رفقة مصطفى بن بولعيد.

ترقى في المناصب القيادية، حتى أصبح قائدا للقاعدة الشرقية ثم عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية في جانفي 1960.

سنة 1960 عين قائدا للولاية الأولى وبقي في منصبه إلى غاية 1962.

ولد الطيب بولحروف يوم 9 أبريل 1923 بمنطقة وادي زناتي (قللة)، نشأ في أسرة متواضعة، زاول دراسته بمدينة عنابة ولم يتسن له مواصلة التعليم إذ طرد من المدرسة وهو في المرحلة الإعدادية. ساهمت عدة عوامل في تذكية شعوره الوطني ونمو وعيه السياسي أهمها:

-الوضعية المزرية التي كان يعاني منها الشعب الجزائري بالمقارنة مع ما كان يتمتع به المستوطنون الأوروبيون من امتيازات.

تشبعه بمبادئ وروح الإسلام والعروبة، احتكاكه بالعديد من الوطنيين أمثال أحمد جلول، حسن النوري.

لقد كان الطيب بولحروف من المطالعين باستمرار لجريدة الأمة لسان حال نجم شمال إفريقيا ومن السامعين أيضا في تكوين الأفواج الأولى للكشافة الإسلامية بمنطقة عنابة.

شارك في تنظيم مظاهرة تضامنية مساندة للحزب الدستوري التونسي ولهذا أودع السجن لأول مرة في عام 1938. ومنذ حل حزب الشعب الجزائري صيغ على نشاط الطيب بولحروف طابع السرية وقد سعى لتوسيع القاعدة الشعبية للحزب المنحل. شارك في تأسيس حركة أحباب البيان والحرية.

كان أحد المنظمين لمظاهرات 8 ماي 1945 وعلى إثرها اعتقل مرة أخرى ولم يطلق سراحه إلا بعد صدور قرار العفو على المساجين السياسيين، بعد خروجه من السجن ساهم مع زملائه في تأسيس المنظمة الخاصة وفي إطارها عين مسؤولا على المنطقة المتكونة من: عنابة، سكيكدة، عين البيضاء، وفي عام 1948 اعتقل للمرة الثالثة وأودع سجن بارباروس، قام حينها بإضراب عن الطعام مطالبا بالحقوق السياسية للوطنيين الجزائريين.

عين عضوا في اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية عام 1949. على إثر اكتشاف المنظمة الخاصة التي عليه القبض ليطلق سراحه في عام 1951، بعدها التحق بفعالية الحزب بفرنسا رفقة محمد يزيد عام 1952 وهناك تولى الإشراف على إدارة صحيفة "بجزائر الحرة" لسان حال الاتحادية.

وعند نشوب أزمة حركة الانتصار وقف موقفا معارضا لمصالي الحاج، وبتهمة المساس بأمن الدولة الفرنسية الخارجي التي عليه القبض في بداية 1954 ولم يطلق سراحه إلا في أوت 1954. عند اندلاع الثورة كان الطبيب بولحروف بفرنسا، فالتحق بصفوف الجبهة في إطار اتحادية جبهة التحرير الوطني بفرنسا قصد التعريف بأهداف الثورة ومبادئها لدى الرأي العام الفرنسي. ومن أجل هذا الهدف سعى إلى ربط اتصالات مع بعض الشخصيات الشيوعية في فرنسا محاولا كسب الحزب الشيوعي الفرنسي لصف الثورة إلا أنه لم يفلح في ذلك. ساهم أيضا في طبع جريدة المقاومة الجزائرية بفرنسا ثم سويسرا.

وفي إطار الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مارس عدة مهام من بينها عين ممثلا للجبهة في كل من روما وجنيف حيث لعب دورا هاما في الاتصالات الأولية مع السلطات الفرنسية هذه الاتصالات التي توجت باتفاقية إيفيان التي واكب أهم مراحلها بدءا بالاتصالات السرية بجنيف 1961 إلى التوقيع النهائي للاتفاقيات في 18 مارس 1962.

اسمه بن حلو بوحجر من مواليد نوفمبر 1927 بعين تموشنت، ناضل منذ صغره في صفوف حرب الشعب الجزائري، وحركة أحباب البيان ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية. وأصبح عضوا في اللجنة الخاصة والتقى بين مهدي ورابع بيطاط.

اعتقل في ماي 1950 وسجن بوهراي أين تعرف على أحمد زبانة وحمو بوتليليس، حول إلى الجزائر وأفرج عنه بعد تدهور حالته الصحية سنة 1952، كلف بعدها بجمع الأسلحة من المغرب لمضمار البداية الثورة.

كأن من بين مفجري الثورة في الجهة الغربية، وأشرف سنة 1956 على عمليات فدائية كبرى نزلت في حرق مزارع المعمرين.

رقي إلى رتبة نقيب بعد مؤتمر الصومام قائدا للمنطقة الثالثة من الولاية الخامسة التحق سنة 1957 بمركز القيادة بوجلة والتقى هناك العقيد هواري بومدين والعقيد عبد الحفيظ بوصوف.

سنة 1958 رقي إلى رتبة رائد وأصبح عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية بعد استشهاد العقيد لطفى عين قائدا للولاية الخامسة برتبة عقيد وبقي في منصبه إلى غاية الإستقلال.

توفي رحمه الله في 27 أوت 1977 بمستشفى مصطفى باشا بالعاصمة.

من مواليد المدنية، ناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية وكان من المناضلين النشيطين والثقة على مستوى العاصمة ولهذا اختير منزله بالمدنية ليحتضن الاجتماع التاريخي لمجموعة الاثني والعشرين. وعكس ما تذهب إليه بعض المراجع من أن دوره اقتصر على تأمين المكان والأكل فإنه من غير العقلاني أن تجتمع صفوة المناضلين على المستوى الوطني عنه لو لم يكن دريش من المناضلين المؤمنين بالثورة المسلحة وبالتالي فقد ساهم في هذا الاجتماع كغيره من الحاضرين.

بلعاج بوشعيب المدعو أحمد من مواليد 13 جويلية 1918 بعين تيموشنت وهو أكبر أبناء العائلة زاول دراسته بالمدرسة الأهلية وتحصل منها على شهادة التعليم الابتدائي وبعد ذلك بسنة توفى مشواره الدراسي ليتفرغ لمساعدة والده بالقصابة طيلة عدة سنوات قبل أن يحصل على وظيفة ساعي بريد مستخلف بمركز بريد عين تموشنت، المحرط في صفوف حزب الشعب الجزائري ابتداء من سنة 1937 كالعديد من أبناء جيله حيث تشبع بالمبادئ الوطنية والقيم النضالية، وكغيره حفظ ورد نثيد "فداء الجزائر" الذي كان بمثابة النشيد الوطني.

في سنة 1938 استدعي لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي فالتحق بالفيلق 137 للمشاة وفي أوج الحرب العالمية الثانية وتحديدًا في 1940 تم تحويل بوشعيب إلى الجهة الغربية لتحرير هولندا من الغزو النازي.

بعد سقوط فرنسا واحتلالها من قبل الجيوش النازية اعتقل هذا الأخير وسجن بمعتقل هاملشتاين بألمانيا. لكن ذلك لم يثن من عزمه بل قام بمحاولتين للفرار من سجنه خلال سنة 1940 غير أن محاولتين لم تكللا بالنجاح حيث تم اعتقاله وترحيله إلى الجزائر.

هناك جند في الفيلق السادس للقناصة المتمركز بتلمسان ومغنية حيث التقى بأحمد بن بلة الذي كان ضمن تشكيلة الفريق الإسلامي لكرة القدم. في نوفمبر 1942 وأثناء نزول جيوش الحلفاء بشمال إفريقيا نقل بوشعيب إلى جبهات القتال الأوروبية حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية وتسريحه في ديسمبر 1945. وقد عاد مباشرة إلى مدينته عين تيموشنت وهناك وقف على فلجة مجازر 8 ماي 1945 وعلم باعتقال أخيه.

في هذه اللحظات المشحونة اتصل به سي حوفة وضرب له موعدا مع محمد يوسف. وقد ترأس على هذا اللقاء تكليف بوشعيب بإعادة بحث خلايا الحزب ليصبح بعد ذلك مندوبا عن حزب الشعب الجزائري بعين قوشنت. ولتنموية نشاطه السياسي قام بتشكيل فريق لكرة القدم وأعاد هيكلة فروع الكشافة الإسلامية الجزائرية.

بعد إنشاء المنظمة السرية في فيفري 1947 اتصل به أحمد بن بلة قصد الانضمام إلى هذا الجهاز الجديد ونظرا لتشيعة بقيم الحزب ومبادئه وولائه له فقد الحزب في التنظيم دون تردد. وقد كلف بالوقوف على مدى تحضير واستعداد المنطقة التي كان مسؤولا عنها في نفس الوقت الذي أوكلت إليه مهمة استقبال الفارين من البوليس الفرنسي من مناضلي وأنصار حزب الشعب الجزائري وتدريبهم على السلاح تأهبا لمباشرة الكفاح المسلح. بعد الضائقة المالية التي عرفها الحزب غداة انتخابات أفريل 1948 المزورة وعقب الحملة الانتخابية كان حتميا تدبير المال لتغطية هذا العجز ولذلك تم التفكير في السطو على مركز بريد وهران. ولتنفيذ هذه العملية كلف بوشعيب بالتنقل إلى وهران وترصد ومراقبة الحركة حول المركز المذكور بأمر من أحمد بن بلة. وقد دامت مهمة المراقبة شهرا كاملا ورغم كل التحضيرات فشلت العملية وذلك في أفريل 1949. لكن هذا الفشل كان حافزا لمحاولة ثانية تم خلالها الإستحواذ على ما لا يقل عن ثلاثة ملايين فرنك فرنسي.

لما اكتشفت المنظمة الخاصة كان بوشعيب من ضمن العناصر التي جددت الشرطة الإستعمارية في البحث عنهم، وإثر وشاية اضطر للإنتقال إلى الجزائر العاصمة رفقة سويداني بوجعة إثر الأزمة التي مر بها الحزب ونظرا لبلوغ نقطة اللارجوع بين طرفي الصراع (المصاليين والمركزيين) تم إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل، لتوحيد الجهود من أجل القيام بعمل مسلح. وفي هذه الأثناء كان محمد بوضيف على اتصال مستمر ببقايا المنظمة السرية ومنهم بوشعيب وسويداني، وهكذا اتصل بهما لحضور الإجتماع المصيري الذي أصبح يعرف بمجموعة الـ 22 بالمدينة حيث التقى بأغلبية قادة المنظمة الخاصة.

بعد فترة التقى بوشعيب مع ديدوش مراد وحسين لحول بأولاد يعيش (البليدة) وطلب من لحول إعطائه أموال الحزب لكن هذا الأخير رفض ذلك مبررا موقفه بانتظار انفراج الأزمة التي كان يمر بها الحزب. هذا الرفض كان مؤشرا على ضرورة الإعتماد على النفس.

بعد فشل عملية الهجوم على ثكنة بيزو بالبليدة والتي كان الغرض منها سياميا ودعائيا لإعطاء صورة الشمولية للثورة، استقر بالنتيجة لمدة قاربت السنة إلى حين إلقاء القبض عليه في 1955 حيث تنقل بين سجون البليدة، سركاجي ووهران. وفي هذه المعتقلات الرهيبة استمر بوشعيب في عمله التضالي دفاعا عن قضايا المسلحين وقام بشن إضراب عن الطعام خلال سنة 1958. ولم يطلق سراحه إلا بعد الإستقلال، حيث أولى اهتمامه لحزب جبهة التحرير الوطني. ولم يبرز اسمه إلا مع إنشاء اللجنة انكلفة بالتحقيق في اغتيال محمد بوضياف.

سي صالح "محمد زعموم"

محمد زعموم المعروف باسم سي صالح من مواليد نوفمبر 1928 بعين طاية "الجزائر"، بعد دراسته الأولى اشتغل كاتباً عاملاً بلبلدية إيفيل أمولا.

بدأ نشاطه السياسي مبكراً رفقة أخيه علي. أصبح عضواً في المنظمة الخاصة مسؤولاً عن خلايا بمناطق مختلفة بالقبائل، وقد مكنته وظيفته بالبلدية من مساعدة المناضلين في الحصول على وثائق مربية مزيفة، اعتقل من طرف السلطات الفرنسية وأطلق سراحه في ربيع 1954.

انتقل إلى حيلة السرية إلى غاية اندلاع الثورة حيث أشرف على التحضير لها في منطقة القبائل بالتنسيق مع كريم بلقاسم.

سنة 1956 حكمت عليه السلطات الفرنسية بالإعدام غيابياً. عين عضواً في مجلس الولاية الرابعة، ليخلف العقيد سي أحمد بوقرة على رأس الولاية الرابعة سنة 1957، التحق بتونس لبحث قضية وصول الأسلحة إلى الداخل وأصبح عضواً في المجلس الوطني للثورة الجزائرية سنة 1958. بعد عودته من تونس ونظراً لظروف الولاية الرابعة الصعبة في مواجهة جيوش الإستعمار، غامر بالانصاف بالجنرال ديغول في محاولة لإيجاد تسوية للقضية الجزائرية. لكن تصرفه هذا اعتبر خارج القانون لأنه لم يستشر قيادة جبهة التحرير الوطني. وعرفت القضية بلقاء الاليزي. طلبت منه قيادة الحكومة المؤقتة الإنتقال إلى تونس لشرح القضية، وفي الطريق إلى تونس وقع في كمين نصبته قوات الإستعمار فاستشهد قرب مشدالة (البويرة) في 20 جويلية 1961.

صالح بوبنيدر المعروف بإسم "صوت العرب" من مواليد سنة 1929 بوادي الزناني "قلعة" من عائلة فلاحية بسيطة بدأ مشواره السياسي منذ 1945 في صفوف حزب الشعب الجزائري ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وأصبح عضوا في المنظمة الخاصة. اعتقل سنة 1950 وسجن بعنابة ثم الجزائر إلى غاية 1952 كان من مفجري الثورة التحريرية بمنطقة الحروب وعين من طرف زيفود يوسف مسؤولا عن منطقة وادي الزناني منذ نوفمبر 1954.

ترقى في المناصب حتى صار عضوا في قيادة الأركان، برتبة عقيد. وكان من أبرز القادة العسكريين في الشمال القسنطيني. خلف العقيد علي كافي على رأس الولاية الثانية بعد انتقال هذا الأخير إلى تونس، وهو آخر قائد للولاية إلى غاية الإستقلال.

3	
9	1. مقدمة
14	2. روضة
21	3. الأمير عبد القادر
23	4. حسان بن عثمان خوجة
25	5. الحاج أحمد باي
27	6. الشيخ بوزيان
29	7. الشيخ بويغلة
37	8. لا فاطمة نسومر
38	9. ابن ناصر بن شهرة
40	10. الشريف محمد بن عبد الله
41	11. المفتي محمد ابن العتامي
43	12. الشيخ الحفاد
44	13. مولاي الشقفة
45	14. محمد بن عبد الرحمن
46	15. الحاج سيدي السعدي
47	16. الشريف بوشوشة
48	17. الشيخ أمود
49	18. البطل محمد المقراني
50	19. الشيخ بوعلملة
51	20. الشيخ عبد الحليم بن سحاية
53	21. الشيخ حسان الزويبي
58	22. الأمير خالد
69	23. عبد الحميد ابن بلاليس
80	24. الشير الإبراهيمي
	25. الشيخ سارك الميلي

81	الشيخ الطيِّب العتي	24
83	محمد الأمين العمودي	25
85	الدكتور محمد بن أبي شبيب	27
87	الدكتور بن جلون	28
89	الدكتور ابن انتهامي	29
90	الدكتور بن فذحج	30
91	مصالي الحاج	31
102	محمد العبد آل خليفة	32
105	العربي التسي	33
114	الفضيل الوردبيلاني	34
115	الشهيد محمد بوراس	35
117	محمد بلورداد	36
118	عيسى لغورود	37
120	علي عماري	38
121	ملاح سليمان	39
122	حبة بن بوعلی	40
123	شيخاني بشير	41
124	سعيد بوعلی	42
125	بن عوف بن مصطفى	43
129	بن عبد المالك رمضان	44
130	نواورة أحمد	45
132	عمود بوحيلي	46
133	عمود الشريف	47
134	فرين بلقاسم	48
135	الصغير "عمر ياسف"	49
136	الطب الجفلاي	50
137	أحمد زمانة	51

142	53	أحمد رضا جوجو
145	54	فرحات عباس
157	54	مبدئي زكريا
164	55	ديدوش مراد
171	56	مصطفى بن بولعيد
180	57	العربي بن مهيقي
188	58	كريم بلقاسم
197	59	زيمود يوسف
208	60	عبد رمضان
215	61	عميروش
224	62	الشهيد سي الخواص
225	63	الشهيد سي أحمد بوقرة
227	64	الشهيد علي ملاح
229	65	محمد شعراي
230	66	أحمد محلس
231	67	السعيد محلي
232	68	ختار باجي
233	69	الشهيد عبد الرحمن ميرة
235	70	محمد بوضياف
246	71	محمد شمس
247	72	الأخضر بن طويك
248	73	حيات إندري
249	74	بوحمدة سويداني
250	75	عبد الرحمن طالب
251	76	عمر أوعمران
252	77	عبد الحفيظ بوصوف
253	78	محمد دحلب

254	محمد الأمين دهاجين
255	عمر أوصديق
256	عمر بوشاود
257	العقيد لطفي
259	الحاج حمصر
260	ياسف سعدي
261	أحمد فرنسيس
262	مريم بو عتورة
263	عبد مشاطي
267	عبد مرزوقي
272	لزمير شريط
273	الجيلالي بونعامة
274	الطاهر الزبيري
275	الطيب بولحروف
277	العقيد عثمان
278	الياس دريش
279	بلحاج بوشعيب
282	سليمان دهايس
283	صالح بونيلدر

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة 2008

رقم الكتاب: 978-6041-929-21-9